مستشرقون

سياسيون - جامعيون - مجمعيون

تأليف
نذير حمدان

الناشر



مكتبة الصديق
للنشر والتوزيع
ص.ب ٢٣٦٨ ـ هاتف: ٧٣٢٣٣٣٧
الطائف ـ المملكة العربية السعودية

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م



بسم الله الرحمن الرحيم

(المدخل)

﴿ ياأهلَ الكتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الحَقَّ بِالبَاطِلِ وتَكْتُمونَ الحَقَّ وأنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾
(آل عمران : ٧١) .

﴿ ... أَلَمْ يُؤخَذْ عَليهِمْ مِيثَاقُ الكتَاب أَلَّا يقُولُوا عَلى الله الّا الحقَّ ودَرَسُوا مافِيه ... ﴾

(الأعراف : ١٦٩)

﴿ ومَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افترى عَلَى الله كِذباً أو كذَّبَ بالحقِّ لمّا جَاءَهُ ... ﴾
(العنكبوت : ٦٨)

إنّ (أزمة) المستشرقين (الفكرية) و(الأخلاقية) والمشكلات الناتجة عنهما قد أساء اليهم أيما إساءة . فيكاد (تشويه) الحقيقة الفكرية : دينية أو تاريخية أو لغوية أو عملية ، يصبح ظاهرة عامة في العمل الاستشراقي المبطن والسافر ، المباشر وغير المباشر .

وإذا نجت مسائلها من بعض المستشرقين فإنا نحسن الظن بهم على أنهم أنصفوها ، ووضعوها في نصابها من الفكر الإنساني .

ومهما يكن من أمر فان التشويه بالتزييف أو بالتزيد أو بالتشكيك ، أو بطرح شبهات فإنه تجني على هذه الحقيقة وسير في إسار الرواسب .

وإذا برزت حقائق فكرية وعملية بعد الثورة الفرنسية (١٧٨٩م) وأضحت الصليبية تصارع الزحف العلمي الناهض فإن تآزر الكنسيين والعلمانيين في تشويه الحقيقة الفكرية الاسلامية جعل منها ظاهرة استشراقية تكاد تكون عامة .

وهؤلاء وأولاء قد ألبسوا تشويهاتهم ثوباً مذهبياً كنسياً ، وثوباً مذهبياً علمياً ، واستغلوا الحماية الدينية في المذهبية الأولى ، والعقلانية المنطقية في الثانية ليمنحوا دراساتهم قناعات عاطفية وعقلية .

فمن المعروف أن (التنصير) رصد أموالاً وجهوداً في مجالين كبيرين : الارساليات ، والمستشرقين بلغت (١٠٠٠) مليون دولار عام ١٩٥٨ و(مئات) المجلدات في النواحي المختلفة التي يجب أن يهتم بها المبشرون . كما أنه من الملاحظ أن العلمانية ظاهراً ، والصليبية باطناً أبرزت مجالين : فكراً غربياً متحاملاً على الشرق ، واستشراقاً متصلاً بالثقافة العربية الإسلامية وببلادهم .

والمجالات الأربعة يمكنها أن تصب في آسن من الضحالة المذهبية ، هى الغزو الفكري ، الذي بدأ مع ظهور الإسلام ، ونشط بعد الحملات الصليبية ، وبلغ عنفوانه أواخر القرن التاسع عشر ، وعمل في إطاره الدبلوماسي المغلف في القرن العشرين .

ومن هنا فإن تشويه الحقيقة عاش في التاريخ الفكري العربي ، كما عاصرت أحداثه ووقائعه ، في الزمن المعاصر ، وله تطلعات في المستقبل لاتفتر ، تحت ستار معسول الأسلوب ، ورائق العبارة ، وزائف التركيب .

والباحث المسلم يتأمل في الأبعاد التاريخى منها والمعاصر ، والمستقبل ، فتحته المسئولية إلى متابعتها جميعاً ، أو متابعة بعضها ، ليلقي مزيداً من الأضواء عليها ، فيكشف عوارها ، ويحصن الفكر الإسلامى من تربيتها ، ويجردها من التزيدات التافهة ، ويضع الحقيقة ناصعة مجردة من التشكيك والشبهات .

وكنت أقول إن التجني على الحقيقة الفكرية لايسيء إلى الفكر الاسلامى بقدر مايسيء الى الفكر العالمى ، لأن الإسلام في دوره الحضاري العالمي مكن للفكر الإنسانى بآفاق لم يكن يدركها ، وبأبعاد جديدة لم يكن يعرفها .

وإذا تركنا العمل الفكري الموضوعي جانباً ، والتمسنا إطاره (الأخلاقي) من ناحيته الخاصة ، واخلاقية الباحث الغربي من ناحيته العامة ، فإن أدنى الوفاء للثقافة العربية الاسلامية ، أن تبرز معالمها وتوضح مزاياها بعد كشف حقيقتها ، فأين هذا من أخلاقية الفكر الاستشراقي ، وأخلاقية المستشرقين عامة ؟ بل وأين هذا من صدق الوفاء وحسن العهد ؟

وصدق الوفاء ليس التزاماً ببيان الحق ، وجلاء الفكر وحسب ، وإنما هو في الالتزام الخلقي بحسن العهد الذي خانهم في أحيان كثيرة ، بعد أن أعلنوا وفاء المسلمين في نقل التراث الإنساني القديم ، ورفده بالمستجدات التي يشعر المنصفون أنها فضائل فكرية إسلامية تابعت المسيرة الحضارية ، ولذا فما دام الإسلام قدم ويقدم حضارة فكرية : علمية وعملية وروحية ، فإن من صدق الوفاء أن يعطى حقه من الوجود الحضاري ، وأن يشاد بدوره تياراً عالمياً واتجاهاً إنسانياً ، ومنهاجاً بشرياً .

وليس من مبرر لأي تخوف طائفي أو فكري في مد حضارته الإنسانية في أرجاء الأرض .

فإن الفكر الإسلامي رباني الأصل يهدف إلى صياغة الفكر العالمي بحقائق إلهية صالحة للناس جميعاً ، ويدفع الى السلوك الأمثل بدافع من هذا الفكر ، وينشر العلوم والآداب والفنون من هذه المنطلقات . فهل يضنّ (التنصير) و(الاستشراق) عليه ببيان دوره الحضاري ذي الفضائل والمزايا مادام هو يضنّ بهم في هدفيه صياغتهم فكراً وسلوكاً وعلماً .

ومع هذا وذاك فإن (الاستشراق) خاصة يحتاج من الفكر الإسلامي إلى أن يضعه بالصورة الصحيحة ضمن الحقائق أو الزيوف التي لايحتاج الإسلام من بعدها إلى ثناء مستشرق ولا الى مديح غربي ، مهما زعمنا ان كلاً منهما مخلص في مديحه وثنائه .

وعلى كل حال فإن الذي يطرح نفسه هنا ، هو أن تشويه الحقيقة لايليق بالفكر كما لايليق بالأخلاقية . أما تشويه الحقيقة من حيث الفكر فقد كان من فعل المستشرقين عموماً ، مما أدى إلى نفور إسلامي عام ، وأما من حيث تشويه الأخلاقية الفكرية والعامة فقد كان اتجاهاً للمستشرقين أيضاً ، ولكنه يبرز بصورة خاصة في (المستشرقين السياسيين والاستعماريين) .

ولا حاجة بنا الى تأكيد القول : ان انحراف الفكر الاستشراقي عموما الى تشويه الحقيقة صورة صادقة لإصداراتهم القديمة والمتوسطة والحديثة .

وهي إذ تدل على فرض هذه الظاهرة نفسها في مجموع انتاجهم الفكري فإن اطارها غير الأخلاقي يزيدها تشوها وغثاثة ، وبعداً عن الالتزام الموضوعي .

ولكن الانحراف الفكري الذي يؤسس مطبوعات المستشرقين السياسيين ويواكب أعمالهم الاستعمارية أحيانا ، يفرض بصمات قاتمة من الخيانة العلمية والأخلاقية ، بل والإنسانية أيضاً .

وهل نتصور مستشرقاً يقدر أن يلتزم بالأخلاقية وهو يشارك في عمليات تخطيطية لاستعمار بلد أو فكر إسلامي ؟ وهل يغني جهده الفكري ودأبه البحثي مهما ارتقى في سلم الدقة والعمق إذا كان يغني الاتجاه الاستعماري بمعلوماته الجغرافية من الخرائط الطوبغرافية والمعارف الانسانية والاجتماعية ؟

وفي رأيي أن انسلاخ المستشرق السياسي من أخلاقية الباحث وأخلاقية الانسان لاتعوضه ترقيات رسمية مادية أو معنوية ، ليس في مجال الحقيقة الفكرية والأخلاقية فحسب ، وإنما لدى مواطنيه وذويه أيضاً بعد انحسار الاستعمار أو ضعفه .

ولا إخال الشهرة القومية أو العلمية التي نالها في النجاحات العسكرية والنفوذية أن تطمس إنسانية المستشرق الذي يعلم جرائم الاستعمار في القتل والتدمير والإبادة .

وان الفكر الاستعماري الذي كان يرفده ويدعمه الفكر الاستشراقي لايضعنا في مواجهة تحولات في المفاهيم الأخلاقية وحدها وإنما يرسخ العداء الصليبي لحضارة الإسلام والمسلمين ، ويعلن عن نفعية متطرفة في المصلحة تلبست بمضامين فكرية لتسير في ركاب الاستعمار .

ومن الصعب استثناء واحد من المستشرقين السياسيين في طهارة النفس ونقاء الفكر وصفاء الدافع طالما أن ظاهرة تشويه الحقيقة تكاد تصبح ظاهرة عند المستشرقين جميعا .

والقضية المعكوسة هنا ، هي أن الاستعمار لم يكن في خدمة الاستشراق وهو مايجب أو يصح أن يكون ، وإنما أضحى الاستشراق في الجانب الأعظم من

الاستعمار إن لم يكن في جميعه ، وفي خدمته ، ولو ان الاستعمار في آخر أمره كان يهيئ بيئة صالحة لنشاط استشراقي وتنصيري دائم .

إن وزارات الخارجية والمستعمرات وأجهزة المخابرات ، كما هو معلوم ، في الدول الاستعمارية تتنافس في الاستزداة من معلومات وأفكار المستشرقين التي كانت في غاية السرية ثم عرف منها الشيء القليل .

وهو ليست كما يظن ، من أفراد قلة ، وانما يمكن أن تعد جمهرة قد وظفت نفسها وأخلاقها ، أو وظفها واستخدمها الاستعماريون للإفادة من كل مايستفاد منه ، وبأى أسلوب أو وسيلة ممكنة .

ولو أنها عملت ، السياسة برغبة الدفاع عن شعب مظلوم ، أو تحقيق هدف إنسانى لقلنا : إن المبدئية ونصاعة الدافع جعلت من أعمال المستشرقين وأفكارهم السياسية مسوغاً للاتجاه السياسي ، ولكنها قضية أطماع وتوسعات ، ومن ورائها الحقد الصليبي في الفكر والأرض والانسان .

ولا يخطرن بالبال أن المقدمة والبحث هنا في الشئون السياسية الدولية والعربية وإنما هما في بحث قضية هامة من قضايا الاستشراق يتضح فيه بمنهجية وموضوعية انحراف البحث العلمي إلى الاتجاه السياسي وانحراف الباحثين المستشرقين إلى السياسة الاستعمارية .

١ ـــ فالمستشرق الانكليزي (بالمر) (١٨٤٠ ـــ ١٨٨٢) (لقي حتفه جزاء وفاقا لعمله) حيث كان في هيئة الاستكشاف في فلسطين (١٨٦٩) وارتاد صحراء سيناء واتصل بالبدو وتضلع من لهجاتهم وعاداتهم وعرف بينهم الشيخ عبد الله وعمل : رحلة في شبه جزيرة سيناء وتاريخ القدس (١٨٧١) ، ومسح غرب فلسطين (١٨٨١) و : موجز جغرافية الكتاب المقدس .. وسافر الى لبنان ومنه إلى دمشق ثم إلى جبال العلويين ثم إلى استنبول . وعمل كتاباً في كمبردج ١٨٧٠ مزوداً برسوم وخرائط ..

٢ ـــ والمستشرق الألماني (بكر) (١٨٧٦ ـــ ١٩٣٣) حيث تلقى دراسته

الحقيقية على يد الرحلات وقراءة كتب المستشرقين الكبار فزار عدداً من عواصم أوربية ، ثم تجول في مصر والتقى بالشيخ محمد عبده ، وبعد قيام الحرب العالمية الأولى صار (بكر) يشتغل بمسائل السياسة الشرقية وكتب فيها أبحاثاً صغيرة ثم عين ١٩١٦ مستشاراً مقرراً ، إلى أصبح وزيرا ١٩٢١ وعرف في آخر حياته مديرا لمجلة (الإسلام) .

٣ ـــ والمستشرق النمساوي (دودا) (١٩٠٠ ـــ ١٩٧٥) حيث خدم في الجيش الألماني في تركية وتخصص بالتركيات واهتم بمجالات الاصلاح اللغوى فيها على عهد كمال اتاتورك ، وتوفر على الوثائق العثمانية في كوبنهاجن ، ودرس تاريخ البلقان في العهود التركية ، وأسس (مجلة التعليم العالي النمساوي) (١٩٤٩) ثم عمل : من الخلافة إلى الجمهورية (١٩٤٨) .

٤ ـــ والمستشرق الايطالي (روسي) (١٨٩٤ ـــ ١٩٥٥) حيث ارسل سنة ١٩١٢ الى ليبيا ضمن الجيش الإيطالي وبدأ في طرابلس تعلم العربية ، ثم عاد الى إيطاليا ليشترك في القتال الدائر بين ايطاليا والنمسا . وساعد في تحرير مجلة (الشرق الحديث) التي كانت تهتم بالأحوال الراهنة في العالم الإسلامي ، ثم راح يدرس تاريخ منطقة البحر المتوسط في العصر الحديث وخاصة تاريخ طرابلس تحقيقا ودراسة .

٥ ـــ والمستشرق الفرنسي (كولان) (١٨٩٣ ـــ ١٩٧٧) حيث عمل أولاً في الجيش الفرنسي المقيم في (تازة) المغربية ثم انتدب مترجماً مساعداً في مصلحة الاستخبارات ، ثم وضع تحت تصرف الحماية الفرنسية في مراكش سنة ١٩٢١ مع استمراره موظفاً خارج الإطار الدبلوماسي في وزارة الخارجية ، وتدرج في عمله الدبلوماسي الى أن أصبح قنصلاً عاما ١٩٤٦ ومن أعماله : تعليقات تتعلق باللهجة العربية في شمال منطقة تازة (١٩٢٠) ، وبالحياة المراكشية (١٩٣٠) وغيرهما مما له علاقة باللهجات العربية العامية المراكشية .

ومستشرقون كثيرون آخرون ، وإسبانيون وبلجيكيون وروس وهولنديون وبولنديون عرفوا بالاتجاه السياسي والعمل الإستعماري . سنأتي على ذكرهم .

إن الكشف عن هؤلاء يلقي أضواء على الاجتياح العسكري والفكري للعالم العربي الإسلامي مع مايوضحه من تواطؤ الجهود الاستشراقية الواسعة في مجالات وميادين أبعد ماتكون عن البحث والدراسة المنهجية الموضوعية التي يدعيها المستشرقون ، وإصدارات ومطبوعات أشد بعداً ولكنها أكثر عمقا في الميدان السياسي الاستعماري .

وكثير منهم يسوغون وجهتهم السياسية بدافع وطني قومي ، وبالاتجاه الاستعماري الأوربي العام الذي اجتاح تياره الغربي إبان القرن التاسع عشر .

وإذا صح من وجهة نظرهم شغل المستشرقين في السياسة وهم في بلادهم أو متجولون أو مستقرون إلى حين في العالم العربي الاستعماري فكيف يصح لهم أن يمارسوا أعمالاً وأحوالاً سياسية وهم جامعيون أو مجمعيون داخل بلادهم وخارجها ؟

فمسئولية الجامعي نقل المعارف العليا العلمية والعملية وإعداد ملكات الدرس والبحث العلمي والأدبي ، ودفع النخبة من الطلاب لقيادة البلاد في مجالاتها المختلفة .

فالمهمة إذاً تعليمية من حيث التحصيل أو الإعداد ، والصلة الطلابية مع الأساتذة صلة تعلم واقتباس معرفة ، وانتظام في سلك العلمية ومايتصل بها من إنماء القدرات الخاصة بها ، والدوافع لكل من الطلاب والأساتذة علمية مبرأة من شوائب المزاجات الشخصية والسياسية براءتها من المنطلقات المذهبية والنزعات المغرضة ، والإتجاهات الإقليمية الضيقة .

إن الرحب الإنساني في المبدأ والعمل والغاية بمفهومه السليم أعظم سمات العلمية الجامعية روحاً وعملاً واتجاهاً ، ويفخر المسلمون بمثل هذه الممارسات العلمية الراقية في طول بلادهم وعرضها ، وبخاصة في المدن الإسلامية الكبرى حيث كانت مؤسساتهم العليا تستقبل طلاب العلم من إسبانيا والبرتغال وفرنسا وانكلترا والمانيا ... فينهلون من ينابيع المعرفة في أجواء بعيدة عن التمييز العرقي والاستعلاء العلمي والانغلاق الإقليمي ، ثم يعودون الى بلادهم وقد تغيرت في

عقولهم مفاهيم ، وانتهجت مناهج فيها من الجدة والحداثة أكثر مافيها من رواسب التقليد والمحاكاة .

حتى إن الرهبان ورجال الدين تعلموا العربية ، ومعها شيء من العلوم الدينية والعلمية الإسلامية ولم يبخل عليهم الاساتذة المسلمون بأية معرفة مهما كانت دوافعهم وغاياتهم .

وهذا ماكان يتوقعه المسلمون ويرجونه في الوقت الحاضر من الجامعيين الغربيين عموماً والمستشرقين خصوصاً ، لامكافأة على إسداء ، أو وفاء بمعروف وحسب وإنما هو مقتضيات رحابة العلم وانسانيته كما يجب أن تكون .

ولكن الواقع كان شيئاً آخر ، فتخلفت المتوقعات وخابت الرجاءات وأضحت منابر الجامعات وسيلة فعالة في الغزو الفكري أكثر منها وسيلة في التحصيل والتعليم .

ولا غرو فإن في هذا المسلك المنحرف الذي ينبغي له أن يتجرد من السلوكيات الشخصية والأهواء الوطنية والمذهبية دلائل على اختلافات شديدة في نفسيات المحاضرين ، وفي البيئات العلمية والغاية من التعليم ، وبين علماء العالمين المسلمين والغربيين .

وربما كان السبب الأهم فيه هو خضوع البلاد الإسلامية الى التسلط الاستعماري ، وتخلف المسلمين علمياً واقتصادياً واجتماعيا وفكريا .

ولكن من الضروري أن ننوه بالثمرات العلمية التي قطفها طلابنا من الجامعات الأجنبية ، وعادوا ببعضها إلى بلادهم بينما استقر معظمهم في الخارج مع العقول والخبرات العربية الإسلامية التي هاجرت أو تهجرت .

فإن إنكار مثل هذا تطرف فكري وانحراف خلقي يأباه المسلمون .

والجامعيون الغربيون والمستقدمون كانوا يحاضرون غالباً في العلوم الإنسانية وليس في العلوم التطبيقية ، مستأثرين لأنفسهم بالتقدم العلمي المادي الذي يزيد من

تطورهم ومن تخلفنا . فهم وان حاضروا أو حاضر قلة منهم في اللغة والفلك وتاريخ العلوم فان غالبيتهم حاضروا في العربية فقهها وآدابها ، والفلسفة نظرياتها وتاريخها ، وفي التاريخ العربي الإسلامي ، والتاريخ القديم واللغات السامية ، والكتاب المقدس ، والموسيقى والحقوق ، وغيرها من المواد التي يتطلب معظمها غوصاً في الشرعيات وعلومها .

وعلى الرغم من أن قلة منهم لم تعرف لهم مهمات سياسية أو تجاوزات مذهبية عموماً مثل : عبد الكريم جرمانوس المجري (ولد ١٨٨٤) وجورج سارتون الامريكي الجنسية (١٨٨٤ ــ ١٩٥٦) ، وروسيني الايطالي (١٨٢٧ ــ ١٩١٢) وماسه الفرنسي (١٨٨٦ ــ ١٩٦٩) وغيرهم فإن أكثريتهم كان غارقا في حمأة الاستعمار عسكرياً وسياسياً لايخشى من الالتزام الفكري أن يدور في فلك الاتجاه الاستعماري المتسلط بصورة علنية أو مستورة .
ومنهم :

١ ــ ليون بيرشه الفرنسي (١٨٨٩ ــ ١٩٥٥) الضابط في الجيش الفرنسي وهو مدير معهد الدراسات العليا بتونس .

٢ ــ توماس أرنولد الانكليزي (١٨٦٤ ــ ١٩٣٠) عميد مدرسة اللغات الشرقية في لندن وهو أستاذ في جامعتي عليكرة بالهند والجامعة المصرية .

٣ ــ سبيسر الأمريكي (ولد ١٩٠٢) رئيس قسم الشرق الأدنى في فرع الأبحاث والتحاليل في مكتب التنظيمات العسكرية خلال الحرب العالمية ، وأستاذ بالمدرسة الأمريكية ببغداد ، كما سيأتي تفصيله .

٤ ــ اما فيلبي الانكليزي (١٨٨٥ ــ ١٩٦٠) ، وكراوس التشيكي (١٩٠٤ ــ ١٩٤٤) ، وماسينون الفرنسي (١٨٨٣ ــ ١٩٦٢) ، وجريفيني الإيطالي (١٨٧٨ ــ ١٩٢٥) وغيرهم كثير فإن الحديث عنهم بتفصيل فيما بعد .

فمن الأمانة العلمية والمسئولية الفكرية أن يوضّح شيء من دورهم السياسي المترافق مع النشاط الجامعي ، وتبرز بعض أفكارهم الاستعمارية المتزامنة مع الاجتياح العسكري الغربي والصهيوني ماأمكن ذلك .

أما الفئة الثالثة التي سأعرض لها في بحثي فهي مجموعة كبيرة من المستشرقين المجمعيين من معظم الدول الغربية والشرقية ومعظمهم جامعيون ، أو جامعيون سياسيون أيضاً .

فقد كرمتهم المجامع العربية في دمشق والقاهرة وبغداد وجعلتهم أعضاء شرف أو مراسلين ، وأحياناً أعضاء مؤسسين ليس لغزارة علمهم وفقههم في العربية وانما لتوسعهم في معرفة اللغات السامية التي منها العربية ، وتضلعهم باللغات اللاتينية أيضاً .

وإذا أحسنّا الظن باختيارهم ـــ وهو الواقع غالباً ـــ فإن كثرة المستشرقين في المجامع لا تتناسب مع ضآلة إنتاجهم المجمعي الذي يتسم بالبحث اللغوي عموماً .

ولكن لابد من الإشارة الى زمرة منهم تنوعت نشاطاتهم الجامعية والإدارية والسياسية كما تعددت عضويتهم في مجامع عربية وغربية .

وهذه الزمرة التي عرف من تاريخهم ارتباطهم بالاتجاه الإستعماري العسكري أمكنهم أن تتسرب الى أعلى المستويات اللغوية بأكثر من دافع وغرض ، حتى برزت أسماؤهم في أرفع المؤسسات المجمعية العربية والغربية .

ويدهش الباحث من عضوية المجمع الدمشقي للوزير الإنجليزي آربري (١٩٠٥ ـــ ١٩٦٩) وفي أكثر من مجمع عربي وغربي ، والوزير الفرنسي المفوض بالمشرق ، جبريل فران (١٨٦٤ ـــ ١٩٣٥) عضواً في مجمع دمشق فقط ، وزميله آرثور (١٨٧٤ ـــ ١٩٢٨) . والقنصل في حيفا وطرابلس الغرب وأزمير ، والألماني هارتمان (١٨٥١ ـــ ١٩١٨) مستشار القنصلية في بيروت ، كما يدهش من عضوية المجمع العربي في القاهرة لسفير بغداد ولبنان المستشرق الاسباني (جوميز) ، والمستشار بوزارة المستعمرات ماسينون الفرنسي (١٨٨٣ ـ ١٩٦٢) . ووزير الأنباء الإنكليزي السابق (آربري) بالإضافة إلى المستشرق الأنكلو أمريكي (جب) (١٨٩٥ ـــ ١٩٧١) مدير مركز الدراسات للشرق الأوسط .

ويبدو أن المجمع العلمي العربي الدمشقي قد استأثر وحده بعضوية العسكريين من الضباط وقادة الحروب كما سيأتي معنا من أمثال جرفيني الإيطالي (١٩٧٨ — ١٩٢٥) أمين إدارة أركان حرب طرابلس ، وماليجو العقيد الفرنسي (١٨٧٣ — ١٩٢٦) وموزيل اللواء التشيكي (١٨٦٨ — ١٩٤٤) ...

أما المجمع العراقي فكان يستقبل المحاضرين والأعضاء بعدد أقل ، واختيار أدق ، وهم على قلة عددهم بالنسبة الى المجمعين المصري والدمشقي لم يستمروا طويلاً في النشاط المجمعي ، ولم يقدموا انتاجاً مجمعياً يستحق الذكر .

ومن المستشرقين الأعضاء فيه : الفردجيوم (١٨٨٨ —) الإنكليزي (سيأتي التفصيل عنه) الذي اتجه في دراسته إلى تاريخ اليهود وفلسطين ، وكان يحاضر في الجامعة الأمريكية وجامعة استنبول — وقد عرف أيضاً بافتراءاته على الإسلام والرسول . وزميله المستشرق (ج . د . اندرسن) المعروف بدراسته الفقهية مثل : الشرع والفقه الإسلامي (١٩٤٩) ، وإبطال الزواج على المذهب الحنفي (١٩٥٠) ، وجريمة القتل في الاسلام (١٩٥١) ، والأحوال الشخصية في العراق (١٩٥٣) ، وفي سوريا (١٩٥٥) ، وللطائفة الدرزية (١٩٥٤) .

بالإضافة الى المستشرق الفرنسي (ماسينون) والمجري المسلم عبد الكريم جرمانوس .

إن المجامع مؤسسات لغوية رفيعة ، وعمل المستشرقين فيها أخذ طابعين : طابع البحث اللغوي ومحاولة طرح شبهات على العربية ليصار الى العامية ، ومن ثم النفوذ الى الأصول الاسلامية التي استوعبتها العربية ، وتشويهها عن طريق اللغة ماأمكنهم الى ذلك . وطابع سياسي ومذهبي ومحاولة التأثير به على العربية والعرب وبخاصة المجمعيين .

ولا ريب أن إعجاب مجمعيينا بالأساليب الاستشراقية في المعالجات اللغوية التي تبدو بصورة العمق اللغوي والاستقصاء والتتبع والموازنة باللغات الأخرى ، لم يكن في موضعه المناسب بعد أن خاب أملهم في نشر أبحاث لغوية استشراقية

متميزة ، ومن هنا فإن البحث يهتم بالكشف عن شخصياتهم وأعمالهم وشيء من شبهاتهم وافتراءاتهم لا للتاريخ الفكري والمجمعي وحسب وانما لتأكيد تحرر مجامعنا من أعمال شخصيات لم يوظفوا عضوياتهم في مسئولياتهم الكبرى وحسبي أنني وضعت بين أيدي المثقفين جداول بأسمائهم وإنتاجهم وأعمالهم ، لم أسبق اليها ، وبدراسات متأنية أو نوعا ما عن أهم شبهاتهم وزيوفهم ، راجياً المثوبة من الله فهو ولينا ونعم النصير .

أولاً

مستشـرقـون سيـاسيـون

اهتمام غربي بعربية المستشرقين :

إن الجهود المادية والمعنوية الأجنبية ، أخذت تتنامى سطحاً وعمقاً في تعريب اللسان الغربي والشرقي لكبار المبشرين والمستشرقين على الصعيدين : الرسمي والشعبي .

فقد تنوعت المؤسسات على تنافس فيما بينها ، في اختيار نماذج من شعوب مختلفة لتحمل الأفكار الاستشراقية ضمن أعمال دبلوماسية ، أو تغذي هذه الأعمال بتجارب فكرية وعملية تسهل الاتجاه الاستعماري .

فمنذ القرن العاشر الميلادي حملت الكاتدرائيات العبء الأكبر عن الأديار ، فذاعت شهرة مدارس (أوبيدو) و(ليون) و(برشلونة) و(سانت ياجو) ، وقامت مثيلات لها في (باريس) و(أورليان) و(تور) ، وفي كبرى مدن ايطاليا وانكلترا وبلجيكا وغيرها .

ثم أشرف (ريموندلل) على مدرسة ميرامار (١٢٧٦)م خلال عشر سنوات ، وتعلم فيها العربية (١١) راهباً ، وقرر مجمع كليكلة (١٢٥٠)م الإنفاق على ثمانية رهبان دومينكيين .

وتطور بعض مدارس الكاتدرائيات الى جامعة بلنسية (١٢٠٨) ، ومعهد الدراسات الشرقية في طليطلة (١٢٥٠) وجامعة لشبونة (١٢٩٠) .

وكان رجال الدين في الفاتيكان يؤلفون معظم المستشرقين الذين تعلموا علوم المسلمين لتخريج أهل جدل يقارعون فقهاء المسلمين واليهود ، ويردون عليهم ببراهين من كتبهم ، فقصد الدومينكيون إلى بلغاريا ورومانيا والشرق (١٢٥٢) ، والفرنسسكانيون إلى المغرب حيث قتل خمسة منهم (١٢٢٠) .

ثم لتدريب أدلاء يتخاطبون بالعربية للقيام على خدمة الحجاج من أصقاع العالم إلى الأراضي المقدسة ، وكلّف الفرنسسكانيون بمن يفدون إلى فلسطين ، والدومينكيون بمن يقصدون سورية ومصر . وأسس البابا جمعية الجوالين (١٢٥٠) وقد انتشرت انتشاراً واسعاً (١٣١٨) وطبع الأب (مارتن روث) الدومينكي دليل : الحج لبرناردي برايدنباخ ، اشتمل على أبجدية عربية كاملة مع طريقة النطق بها في حروف لاتينية ، وخريطة لمدينة القدس ، فكان أول ماعرفت أوربا من الطباعة العربية (١٤٨٦) ، ثم تكررت طبعاته إحدى وأربعين طبعة (١٧٢٨) .

وكان الفاتيكان أسس جامعاته ومدارسه لتعليم العربية والعبرية كما سبقت الاشارة اليها ، واستعان بالملوك والأمراء والبلديات على تأسيس مدارس اللغات الشرقية في عواصم بلدانهم ، وتخصيصها بكراسي مستقلة في كبرى جامعاتهم ، وانتظمت بدءاً من مجمع **ڤيينا** (١٣١١ ــ ١٣١٢) بإنشاء كراسي للعبرية والعربية والسريانية في رومة على نفقة الفاتيكان ، وفي باريس على نفقة ملك فرنسا ، وكان الفاتيكان ينفق على عشرين طالباً اكليريكياً من الشرق في باريس بقرارات بابوية في أعوام ١٢٤٨ ، ١٢٥٨ ، ١٢٨٥ ، وفي أكسفورد على نفقة ملك إنكلترا ، وفي بولونيا على نفقة رجال الدين فيها ، وقد خصت كل لغة من اللغات الثلاث بكرسيين ، وعين أساتذتها ، وأجزل أجرهم وذلك لقاء تعليمهم القراءة والكتابة فيها ، ثم لقاء ترجمتهم لمصنفاتها الى اللاتينية ترجمة علمية وثيقة . ثم توسع الفاتيكان في إنشاء الكراسي والمدارس والمكتبات والمطابع والمجلات في ايطاليا ، وعاون على مثلها في الغرب والشرق وعلى ترجمة التراث الانساني عن العربية نصارى ومسلمون ويهود ، وانشأوا لذلك مكاتب المترجمين منها في طليطلة (١١٣٠) وصقلية (١٢٢٠) ... [١] .

ولابد من أن يكون في أثناء تعلم الرهبان وغيرهم التراث الإسلامى أن يقفوا على قليل أو كثير من الحياة والبيئة في البلاد الاسلامية التي سيقدمون إليها على شكل إرساليات تنصيرية وتعليمية .

١ ــ مؤسسات دبلوماسية للمستشرقين :

وإلى جانب المعاهد العلمية العامة السابقة اقتضت الحاجة الإستعمارية إلى إنشاء معاهد سياسية ، يدرس فيها المستشرقون أحوال المسلمين وبلادهم ولغاتهم إلى جانب دراساتهم الدبلوماسية التي توثق الصلات التجارية والاستعمارية بين حكوماتهم وحكومات المسلمين .

فقد رأى (كولبر) وزير الملك لويس الرابع عشر أن مقتضيات الدولة باتت في حاجة إلى علماء يتقنون اللغات السامية كتابة وخطابة ، فألف بعثة عرفت بفتيان اللغات ، بقرارات رسمية وقع عليها الملك في سنوات ١٦٩٩ ، ١٧١٨ ، ١٧٢١ ، فتعلم فتيان فرنسا اللغات السامية في معاهد باريس ، وفي مدرسة الشباب الملحقة بمعهد لويس الكبير ، على نفقة الملك ، ثم ارسلوا إلى القسطنطينية ، فلما تضلعوا منها ألحقوا بالسلك السياسي أو انتدبوا للترجمة ...

ثم أنشئت المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية في باريس (١٧٩٥) للسفراء والقناصل والتجارة إلى بلدان الشرق أسوة بالمدرسة التي أنشأتها الامبراطورة (ماريا تريزيا) في فينا . ومن المدارس الدبلوماسية التي أنشأتها فرنسا : المدرسة الشرقية في القسطنطينية (١٨٠٢) وقد عنيت بتخريج رجال السلك السياسي ، وأشرف عليها مستشرقون مشهورون[٢] .

ثم مدرسة المستعمرات في باريس التي يدرس (ديمومبين) (١٩٥٧) العربية فيها منذ (١٩٠٥) وترك التدريس فيها (١٩٢١)[٣] .

وإنكلترا حرصت على اطلاع المستشرقين وطلابهم على الأوضاع الإسلامية في الأقسام الشرقية من جامعاتها حتى انشأت لها مراكز متعددة في أنحاء العالم منها : مركز الدراسات العربية في الشرق الأوسط : بـ (شملا) في لبنان ، وهو لتعليم رجال السلك السياسي البريطاني في الشرق الأوسط[٤] .

بالإضافة إلى تأسيس (معهد الدراسات الشرقية) التابع لجامعة لندن (١٩١٧) ، وكراسي الدراسات الإسلامية في جامعة كمبرج منذ عام

(١٩٣٢)[٥] . ويبدو أن النمسا بحكم علاقاتها الدولية الخاصة مع السلطنة العثمانية ، وبسبب خيانات بعض السفراء واتهاماتهم بالتجسس كانت في طليعة الدول الأوروبية تنظيماً للسفراء والسفارات والوظائف القنصلية الأخرى . فقد أنشأت الأمبراطورة ماريا تزيزيا (١٧٤٠ ــ ١٧٨٠) مدرسة اللغات الشرقية في ڤيينا (١٧٥٣) كما أشرت سابقاً ، وأعدتها للسفراء والقناصل والتجار والعلماء ، وتوالى على إدارتها : جوزيف فرانز (١٧٥٣) ، وجوزيف نكرب (١٧٧٠) ، وهوك (١٧٨٥) ثم الكردينال روشر . وهؤلاء الإداريون وإن لم يكونوا من المستشرقين فإن أساتذة هذه المدرسة من أعلام المستشرقين وبعض الشرقيين مثل : حسن المصري مصنف كتاب (أحسن النخب في معرفة لسان العرب) بالعربية والألمانية (ڤيينا ١٨٦٩) ، وسعد الدين أحمد .

وتخرج من هذه المدرسة سفراء وقناصل ومترجمون مشهورون من أمثال : فردريخ فون لوكاو (ت ١٨٣٨) الملقب بالمترجم الشرقي .

وربما كان من أعظم آثارها إنشاء كل من ألمانيا وروسيا وإيطاليا وإنكلترا مدارس على غرارها لمثل غرضها وقد أصبح اسمها اليوم أكاديمية (القناصل)[٦] .

وأدخلت الحكومة السوفيتية تعليم العربية في معهد التجارة الخارجية ، ومعهد العلاقات الدولية (١٩٤٦) الذي صنف لفيف من أساتذة قسم اللغة العربية فيه القاموس الروسي العربي (موسكو ١٩٥٥ ، ١٩٥٧) .

وقد انجلى الاستشراق الرسمي عن علاقات بلاده ببلدان الشرق على أيدي العلماء والقناصل والمدارس ، وعمل المستشرقون رحلات استكشافية وطبية في أنحاء متفرقة من العالم العربي .

وتخرج (بازيلي) من مدرسة العلوم العليا بمدينة (نيجين) في معهد أوديسا بأوكرانيا ، وعين قنصلاً في سورية ولبنان (١٨٣٩ ــ ١٨٥٣) فصنف كتابه : سوريا وفلسطين تحت الحكم التركي (١٨٦١ ــ ٦٢) ، وخلفه (بتكوفيتش) في قنصلية روسيا بسوريا ولبنان وفلسطين[٧] ...

ومامن شك أن في مقدمة أعمال الدبلوماسيين السوفييت مراقبة النشاط الشيوعي ودعمه مادياً ومعنوياً وربط أحزابه وجماعاته بروسيا الأم التي تحرص الحرص كله أن تتوازن مع القوة الأمريكية العالمية في مكاسبها الفكرية والمادية الى جانب مصالحها الدولية .

وفي الولايات المتحدة الأمريكية كما سيأتي الكلام كانت لجامعة كولومبيا المبادرة بالاهتمام بلغات الشرق الأوسط واتفقت مع (١٨) معهداً وجامعة في إعداد منهج شرقي حديث تسهم الحكومة في نصف نفقاته ، ثم أعدت برامج عن الشرق الأوسط درست في (٢١) جامعة وكلية (١٩٦٢ ـــ ٦٣) ، وثلثا أساتذتها أجانب بينهم لبنانيون كالدكتور شارل مالك ، ثم الدكتور جورج مقدسي في جامعة هارفارد ، والدكتور جورج حوراني أستاذ العلوم الإسلامية بقسم دراسات الشرق الأدنى في جامعة ميتشيجان ، والدكتور شرابيه مضف كتاب : حكومات الشرق الأوسط وسياسته في القرن العشرين (١٩٦٢) ، والدكتور عزيز عطية رئيس مركز الشرق الأوسط في جامعة أوتاوة ، ماعدا المتجنسين بالجنسية الأمريكية وهم كثيرون مثل : د / فيليب حتي ، و : د / نوفل المترجم الشرقي في البيت الأبيض ...

ومعروف أن هاملتون جب الانكليزي الجنسية كان مشرفاً على مركز الشرق الأوسط في جامعة (هارفارد) الذي يدرس فيه (٢٨) برنامجاً وذلك في سنة ١٩٥٥[٨] .

وتشترط جامعة برنستون على طلاب الدراسات العليا القيام بسياحة في ربوع الشرق الأدنى ، إلى جانب الدراسات الجامعية .

وواضح هنا أن الدراسات الشرقية وبخاصة العربية والإسلامية قامت في معظمها على أيدي أساتذة من النصارى الذين تأثروا بعاملين في دراساتهم : الأول : الرواسب الدينية الكنسية التي لايستطيعون الانفكاك منها . والثاني : الحصيلة الدرسية والثقافية الأجنبية التي طعّموها بدراسات عربية وإسلامية لم تكن لتتحرر من الشبهات والمطاعن التي تلقن للطلاب عموماً وللدبلوماسيين خصوصاً .

ولكن المعهد الدبلوماسي المتخصص هو ذلك الذي أنشأته وزارة الخارجية باسم : (معهد السلك الخارجي) (١٩٤٧) بناء على توصية من الكونغرس ، وقد درست فيه (٧٠) لغة ، منها العربية الفصحى ولهجاتها العامية كالشامية والعراقية والسعودية والمصرية والمغربية ، وبها (١٤) ألف شريط مسجل ، ومكتبة خاصة خلا مكتبة وزارة الخارجية تحتوي على ٨ آلاف كتاب و ٧٥٠ مرجعاً و ٥٠ صحيفة ، وثلاثة فروع : في بيروت للعربية ، وفي فرموزا للصينية ، وفي طوكيو لليابانية .

ثم أوصى الكونغرس (١٩٦٠) بتوسيع برامجه فأشرف على برنامج الشرق الأوسط (ادوين رايت) ، وكان من برنامجه دراسة التيارات السياسية في الشرق الأوسط وسياسة أمريكا تجاهها .

ولا يفوتنا الكلام على معهد آخر هو : (معهد الثقافة الآسيوية) الذي أنشئ في سان فرانسيسكو بفضل هبة لويس جنربرج من كبار رجال الأعمال ، لإعداد الطلاب للعمل فيما له علاقة بالشرق ، وقد أشرف على المعهد (ألن وطسون)(١٩٥٦) .

بالإضافة إلى جامعات ومعاهد اتفقت مع جامعة كولومبيا على المنهج الشرقي الحديث ، وبينها جامعات نيويورك وويسكونسن ، وكان من أساتذتها (وسترمن) فعينه (ولسن) في أثناء الحرب العالمية الأولى مستشاراً في الشئون العثمانية .

ويلحق بما سبق جامعتا بيروت والقاهرة ، ومدرسة الدراسات الشرقية الأمريكية في القدس ، والمدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية في بغداد[٩] .

وفي البلدان الأخرى شرقية وغربية معاهد أو مراكز للدراسات الشرقية تحظى الدراسات الدبلوماسية بنصيب وافر أو ضئيل .

يقول الدكتور محمد عبد الفتاح عليان ناقلا ومحللاً[١٠] .

ومن الملاحظ أن الدول الغربية لما قويت في العصور الحديثة وبدأت تتطلع إلى استعمار الشرق لعب الاستشراق دوراً هاماً في هذا الانفتاح الغربي على الشرق ، فلما

أرادت هذه الدول عقد الصلات السياسية بدول الشرق والاعتراف من تراثه ، والانتفاع بثرائه والتزاحم على استعماره ، أحسنت كُل دولة استعمارية الى المستشرقين فيها ، فضمهم الملوك إلى حاشيتهم كأمناء أسرار وترجمة ، وانتدبوهم للعمل في سلكي الجيش والدبلوماسية الى بلدان الشرق ، وولوهم كراسي اللغات الشرقية في كبرى الجامعات والمدارس الخاصة ، والمكتبات الخاصة والمكتبات العامة والمطابع الوطنية ، وأجزلوا لهم عطاءهم في الحل والترحال ، ومنحوهم ألقاب الشرف وعضوية المجامع العلمية .

ثم يذكر أن الشركة الهندية الشرقية الانكليزية ضمت عدداً من المستشرقين الذين وضعوا نتائج دراستهم بين أيدي السلطات الانكليزية ، كما اشترك مستشرقون فرنسيون في الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨ ــ ١٨٠١) . حيث ظهر قائدها نابليون أمام المصريين بصورة المستشرق ، إذ تظاهر باعتناق الإسلام ، وشارك المصريين احتفالاتهم الدينية وارتدى العمامة والجبة والقفطان في بعض الأحيان ، وزار علماء الأزهر في بيوتهم ... ولكن جنده اقتحموا جامع الأزهر فيما بعد .

ومن ناحية ثانية : فإن الاستعمار الغربي مكّن هؤلاء المستشرقين من الصولان والجولان في حرية تامة بالتجول بين مكتبات الشرق ، يسطون أحياناً على مخطوطاتها ، أو يصورونها وينسخونها بحسب رغبتهم ، وينبشون الآثار القديمة ويسلبون معظمها ليملئوا بها المتاحف الغربية ...

ثم يقول ناقلا عن محمد عزت الطهطاوي في كتاب (الاستشراق والتبشير) : وكان الغرض الأساسي من إنشاء المؤسسات المذكورة هو تزويد السلطات الاستعمارية بخبراء في الشئون الإسلامية ، وأن تكون في خدمة الحكومات المستعمرة ، لتحقيق أهدافها في البلاد الإسلامية ، حتى إن رجال السياسة هناك كانوا على صلة وثيقة بأساتذة تلك الكليات ، ويرجعون الى آرائهم في البتّ في المسائل السياسية ، (بل ان بعض أولئك الأساتذة كان يستغل صداقته للبارزين من رجال تلك الدول الشرقية ، ويتخذ منها ستاراً يقوم من ورائه بأعمال التجسس في السلم والحرب)[١١]

٢ ــ رحلاتهم السياسية :

والأسلوب النظري والعملي من المستشرقين هو قيامهم برحلات علمية واستكشافية واستطلاعية ، يخدم بعضها جوانب علمية للمستشرق ، كما يخدم بعضها الآخر جوانب سياسية توضع في إطار الفكر والعمل الإستعماريين .

فلم يعرف عن (جولدزهير) (١٨٥٠ ــ ١٩٢١) المستشرق المجري صلات سياسية في رحلاته إلى مصر ولبنان وسورية سوى استطلاعه على المكتبات الإسلامية ولقائه بالعلماء المسلمين .

ومثله (رينان) (١٨٢٣ ــ ١٨٩٢) الذي نزل بدير الآباء اليسوعيين في (غزير) بلبنان ، وألف كتاب : حياة يسوع[١٢] .

وبادىء ذي بدء فإن من المناسب أن ننوه برحالة غربيين ليست لكثير منهم صفة الاستشراق ولا صلات المستشرقين ، وهم يحاولون أن يشبعوا تطلعاتهم إلى معرفة أحوال الشرق بلاداً وعباداً ، ثم تدوين الغرائب والعجائب من هذه الأمصار التي يغلب عليها رونق الخيال والإثارة أكثر مما تحقق رصداً علمياً في حاضر المجتمعات وجغرافية بلادها .

ومن ذلك رحلة (ماركوبولو) المدونة في جزئين (١٤٨٥) ، ورحلة (شاباي) التي تكثر فيها الضلالات ليس أقلها قوله : إن للشرقيين ثمانية أنامل ورأسين .

ومن أواخرها تجنياً وافتراء ماكتبه (دي بروسلوس) بعد أن طوّف بسورية ولبنان وفلسطين ومصر (حيث اتهمهم بأنهم واليهود سواء ، لاعهد تجاري لهم ، ولا ذمام فيهم ، فهم مراءون متقلبون انتهازيون ، يخفون جميع ذلك تحت برقع من السذاجة المصطنعة والكلم المعسول) .

ويفترض أن مثل هؤلاء الرحالة وإنتاجهم لم يحقق كثيراً من المكاسب السياسية ، سوى أنهم يشوهون صورة الشرق في عيون الغربيين ، ويدفع بهم إلى اغتنام مواقع الضعف فيهم ، والتفكير في استعمارهم فيما بعد .

وحسب الاستعماريين من مطبوعات الرحلات أنهم يكسبون إعلاماً مضللاً يدفع بأقوامهم إلى الزحف العسكري والفكري بأي دافع كان .

ولكن الكتابات الإستشراقية لها وزنها وأهميتها في المعايير الاستعمارية ، فكانت الدول تقدمهم للتنقيب والدراسة الجزئية أو الشاملة للشعوب الشرقية ، وفي طليعتها الشعوب الإسلامية .

فقد عرف عن (ماسكراي) (١٨٤٣ ــ ١٨٩٤) عميد كلية الآداب في الجزائر دراساته عن التقاليد الشعبية في الجزائر (١٨٧٩) ، وعن لهجات البربر والطوارق[١٣] .

ثم صنف (جرنبه) كتاباً بعنوان : البربر والاسلام وفرنسا ، في مجلدين ، وضمنهما خرائط للمغرب العربي (١٩٥٠ باريس) ، وكذلك الرحالة (ديفيريه) (١٨٤٠ ــ ١٨٩٢) عن : طوارق الشمال (١٨٦٤) ، ومباحث في الطريقة السنوسية (١٨٨٤)[١٤] .

وسيأتي معنا تفصيل الكلام عن المستشرق الانكليزي (فيليبي) (١٨٨٥ ــ ١٩٦٠) الذي رأس البعثة البريطانية إلى الجزيرة العربية (١٩١٧ ــ ١٩٨٠) ، والبعثة البريطانية في الأردن (١٩٢١ ــ ١٩٢٤) ، واجتاز صحراء الربع الخالي وزود أجهزة المخابرات البريطانية بخرائط طوبغرافية ومعلومات بشرية وطبيعة هامة . وكذلك (كراوس) التشيكي (١٩٠٤ ــ ١٩٤٤) المتجول بين فلسطين ومصر حيث كان يقوم بدوره الإرهابي الصهيوني في المستويات العلمية والسياسية الاستعمارية .

و(هورجرنبه) (١٩٥٧ ــ ١٩٣٦) الهولندي الذي كتب عن الحج : موسم الحج في مكة ، بعد أن زار جدة مدة استعدادا لدخول مكة باسم مستعار : عبد الغفار ، ثم اقام في (جاوة) عاصمة اندونيسيا (١٧) سنة يزود بلده بمعلومات عن البيئة الإسلامية من النواحي الإجتماعية والدينية والجغرافية والتاريخية . وأمثالهم كثير سيأتي الحديث عنهم فيما بعد .

وإذا قام بعض المستشرقين السابقين برحلات علمية حرة فإن آخرين منهم وظّفوا من قبل حكوماتهم ليقوموا برحلاتهم السياسية في وظائف قنصلية أو سفارات بين حكوماتهم والدول الأخرى .

وبين هؤلاء وأولئك نجد فئة عريضة من المستشرقين الموظفين في عمليات أو رحلات استكشافية وعلمية وتنقيبية في ظاهرها ، ولكنها سياسية ماكرة في حقيقتها ، وربما تكون جاسوسية في دوافعها وأعمالها .

ولا يضير هؤلاء أن يتعرضوا إلى مخاطر الصحراء والغابات ، وغربة الأوطان والديار بعد أن تعرضوا الى شطف العيش ومشاق السفر .

كما لايهمهم أن يقدموا بعد رحلاتهم رصيداً علمياً مبتكراً أو مكروراً عن آثار كشفوا عنها ، وعن مجاهل اكتشفوها ، وغرائب وعجائب أجلوا أسرارها ودقائقها .

ومع الرصيد المعرفي المجهول والتنقيب في مجالات الطبيعة والإنسانية المغرضة كانت أقلام بعض الكاتبين تعرض ذلك كله في أسلوب أدبي ، عرف بأدب الرحلات ، الذي يشد إلى معرفته طوائف من الناس لما فيه من الإثارة في الشكل والمضمون ، إلى جانب مايفيد منه السياسيون الإستعماريون إعلامياً وعلميا .

(وقد أفاد هذا اللون من الأدب الغربي سياسياً وعسكرياً في معرفة الطرق البرية والبحرية ، والمواقع الاستراتيجية في بلاد المسلمين ، بل وأكثر من ذلك ، أفاد في معرفة خصائص الإسلام وأحوال المسلمين ، الأمر الذي سهل للغرب غزو البلاد الإسلامية عسكريا وفكريا ، كما أفاد أدب الرحلات الغربيين في حملاتهم التجسسية على المسلمين)(١٥) .

وسواء اتسم انتاجهم عن (الرحلات) بالطابع الأدبي أو بالطابع العلمي ، أو جمع بعضهم هذا إلى ذاك فإن الاستعمار أفاد من أدبها وعلمها ، كما أفاد من الكفاءات الشخصية والخاصة لمؤلفيها ، بالاضافة إلى التقديرات والملاحظات والاستنتاجات غير المدونة ، والتي يحرص الاستعمار عليها أكثر من حرصه على المدونات الأدبية والعلمية المتداولة ، كما يفترض أن يكون .

٣ ـــ بواعث سياسية فكرية محتملة :

ويتساءل الباحثون عن البواعث التي دفعت معظم الدول الأجنبية الى توظيف كثير من المستشرقين ، والعمالقة منهم خاصة في مناصب عديدة في العمل السياسي الخارجي .

وهؤلاء المستشرقون المتفرغون للأعمال الفكرية يواصلون بحوثهم ودراساتهم في الثقافة الشرقية وبخاصة العربية الإسلامية ، وفي مقدمتها الأصول الإسلامية والتراث . فما الصلة بين اختصاصهم وتفرغهم وبين هذه الأعمال الديبلوماسية ؟ ولماذا خصت الدوائر الرسمية نوعية معينة منهم ؟ وبتعبير آخر : مامعنى أن يصبح المستشرق سياسياً أو في منصب تتوقف عليه سياسة بلده الخارجية ؟ ثم مامدى مايتوقع من إنتاجه وأعماله من دراسات موضوعية ؟

كان بعضهم يزيد من انتاجه الفكري عن أربعة مئة أثر مثل (ماسينون) الفرنسي الرحالة المستشار في وزارة المستعمرات الفرنسية الذي تربو آثاره على ٦٥٠ بين مصنف ومحقق ومترجم ، وبين مقال ومحاضرة وتقرير ونقد ومقدمة وسيرة ، وكان عضواً في مجامع علمية عدة منها : المجمع اللغوى المصري والمجمع العلمي العربي بدمشق[١٦] .

ومثل (بروفنسال) الفرنسي الجوال المكلف بمهام خطيرة (١٩٤٣ ـــ ١٩٤٤) والذي عدّت آثاره بالمئات أيضاً[١٧] . و(فييت) الفرنسي الملحق بالمفوضية الفرنسية بسوريا (١٩١٨ ـــ ١٩١٩) والذي زاد انتاجه على (٢٢٩) أثراً .

هؤلاء وأمثالهم من المستشرقين المكثرين ، كيف يمكنهم القيام بالمهمات السياسية إلى جانب أعمالهم السابقة ؟

وكان بعضهم الآخر يعلن زهده بالسياسة وبوظائفها ليتفرغوا للبحث والدرس ، وأنهم تركوها فعلا مثل (رنية باسية) Basset, R الذي آثر التدريس والاستشراق على وظيفة (قنصل) في الجزائر .

ومثله (هيار) Huar, Cl الذي انصرف الى التدريس والتصنيف بعد أن شغل مناصب عديدة : مترجماً فقنصلاً ، ثم قنصلاً عاماً .

وكذلك (أماري) Amari, M الايطالي الذي عاش حياة سياسية متلبدة . فهؤلاء الزاهدون وأمثالهم بالسياسة وأعمالها إنما عرفوا أنها قائمة على الخداع والمكر والنفاق ، وأساليب الكيد والتآمر ، فرغبوا عنها ليس التزاماً بفضائل العلم وأخلاقية الفكر ، وإنما كانت محاولة منهم في تحقيق نجاحهم لتدمير الفكر الاسلامي إن عاجلاً أو آجلاً بما كانوا قادرين عليه من اختلاق الوسائل الدراسية التي تمكنهم من هذا النجاح دون المجال السياسي الخاضع للفشل والنجاح في بادئ الأمر ، ثم الآيل إلى الفشل الذريع فيما بعد .

أ ـ فقد يحتمل توظيف هؤلاء لما يتمتعون به من كفاءات ذاتيه ، وعلمية تحصيلية لايحملها سواهم .

ب ـ وقد يحتمل توظيفهم لما تقدمه لهم دولهم من التكريم والتقدير بسبب اتقانهم لغات وعلوماً متعددة وانتاجاً زاخراً .

جـ ـ وقد يحتمل أن يقصدوا من ذلك إبراز واجهات علمية فكرية لتحقق لهم أصداء عالمية رضية ، وسمات دعائية مغرضة ، وقناعات واهمة خادعة .

د ـ **إن أي** احتمال سابق وإن كان وارداً ومقبولاً فإنه ولاريب يدعم الاختيار النوعي لأفضل الوسائل الفكرية وأنسبها لاستتباب الغزو الإستعماري العسكري والنفوذي . إن توظيف الفكر الإستشراقي في خدمة السياسة الإستعمارية يعدّ المجال الفعال في توجيه الطاقات الإنسانية المتفوقة نحو استعباد الأرض والإنسان والمبدأ ، والمستشرقون من أكثر الغربيين علماً بمواطن الضعف فيدخلون منها ، وبمواطن القوة ويستخدمونها لصالح بواعثهم وبواعث دولهم .

إنهم وان كانوا غرباء أجانب عن الاسلام والمسلمين فإنهم أعرف بتاريخهم ولغاتهم وأحوالهم الإجتماعية وتراثهم ، فهم لهذا أقدر على التشكيك في معطيات الحضارة الإسلامية ، وأبلغ في طرح شبهاتهم وزيوفهم حولها ، وأنفع بالمشورة والرأى

لصالح أقوامهم وأوطانهم .

فكان منهم المخطط والمستشار والسفير في وزارات الخارجية ، والمستعمرات ، والمخابرات .

٤ ـــ زحف إستشراقي سياسي :

وسواء تضافرت البواعث أو انفردت فإن العالم الغربي والشرقي دفع بالكثيرين من المستشرقين ليساهموا في إدارة البلاد العربية ، وتنوه دراسة معجمية مستفيضة بأهمية الآثار في (العوامل السياسية والثقافية والاقتصادية يوم ألْفت الولايات المتحدة نفسها في حاجة الى تفهّم شعوب البلاد الإسلامية ، فأعدت لها عدة برامج دراسية في الجامعات ...) . ثم تبرز أشهر المستشرقين السياسيين مثل (فيلبس تالبوت) المولود (١٩١٥) أحد خريجي مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية (١٩٤٨) والحاصل على الدكتوراه من جامعة شيكاغو (١٩٥٤) ، وهو اليوم مساعد وزير الخارجية للشئون الشرقية ، و(أوكلينكوس) أخو (جاكلين كندي) رئيس منظمة الشئون الاسلامية بنيويورك ، وخبير الوفد الامريكي لدى الأمم المتحدة في الشئون العربية ، و(جون بارد) سفير أمريكا في القاهرة سابقاً ، ومدير معهد الشرق الأوسط بجامعة كولومبيا (١٩٦٤) ، وقد درس العربية يوم كان أستاذاً فعميداً للجامعة الامريكية في القاهرة (١٩٤٧) ..[١٨] .

والمتتبع تراجم المستشرقين لابد من أن يضيف الى ماسبق (جورج رنس) Rentz, G المولود (١٩١٢) الموظف في السفارة الأمريكية في القاهرة ، و(د / تشارلز آدمز) Adams, CH, المنتدب عميداً لمعهد الدراسات الشرقية في الجامعة الامريكية بالقاهرة ... وغيرهم .

وعرفت مجلات ذات طابع استشراقي سياسي مثل : مجلة جمعية الدراسات الشرقية ، ومجلة شئون الشرق الأوسط ، ومجلة الشرق الأوسط ...[١٩] .

ومن بلجيكا ترد أسماء (جاك بيرين) Pere nne, J مستشار الملك ليوبولد الثالث معيداً في جامعة القاهرة ، و(أرمان أبل) Abel, A مدير المركز الوطني

لدراسة شئون العالم الإسلامي وهو أستاذ في الجامعة المصرية أيضاً (١٩٢٦ ــ ١٩٢٨) .

ومن إنكلترا كثيرون أخص منهم (وليم موير) Muir, S, W الأسكتلندي الذي عين أميناً لحكومة الهند (١٨٦٥ ــ ١٩٦٨) ثم اختير رئيساً لجامعة أدنبرا ، واللورد (كتشنر)Kitchener, H الذي تولى الحملات الى مصر والسودان ثم جنوب افريقيا (١٨٩٩ ــ ١٩٠٢) ثم صار وزيراً للحربية (١٩١٤) ، و(ادوارد جرانفيل براون) Browne, E, G الذي صنف في دستور إيران ، و(ستتيورات هنري براون) Browne, S, H مساعد في قسم فلسطين (١٩٣٠) ومساعد مفوض عام (١٩٣٢ ــ ١٩٣٤) ، ومنظم البرامج العربية في الإذاعة البريطانية (١٩٣٨) ، وضابط استعلامات في عدن (١٩٣٩ ــ ١٩٤١) ، و(آربري) وزير الأنباء (١٩٤٠ ــ ١٩٤٤) ، ولاريب أن في مقدمتهم علماً وخبرة وحظوة (جب) الذي قال عنه د / محمد محمد حسين في (الاتجاهات)[٢٠] : مستشار في الخارجية البريطانية ، وكان يشارك بخبرته في نشاط الجاسوسية أثناء الحرب الأخيرة ، ثم تحول الى امريكا يخدم وارثة الاستعمار الأوربي في العالم الاسلامي .

وفي ألمانيا كان (فرموند) Wuhmmund, A معلماً للخديوي عباس الثاني ، وشاه ايران ، و(مارتــــن هارتمان) Hartman, M مستشاراً في بيروت (١٨٧٦ ــ ١٨٨٧) و(جوهان هنريخ موردتمان) Mordtmann, J,H المعين قنصلاً في الآستانة .

وفي السويد كان معظم المستشرقين يوجّهون الى استنبول ، كالأب (ستور سبينكر) Stuzt Zeneker, A ، المترجم في السفارة السويدية هناك ، و(دوهسون) و(أكربلاد) .

ونذكر من الدول الشرقية : (الويز موزيل) Musil, A التشيكي ، والمعلم في معهد الآداب الشرقية بالقدس ، ثم تقلد رتبة لواء ، وصحب الأمراء ، وهو عضو في مجمع دمشق اللغوي .

ومن بولونيا (سكورا توفيكس) نائب قنصل بولونيا في دمشق وغيرهم .

وهناك مايزيد عن مئة مستشرق اختلفت اعمالهم السياسية سنجد أسماءهم وجنسياتهم وحياتهم وأبرز أعمالهم في جداول لاحقة .

نماذج متغايرة ولكنها متشابهة : إن الإتجاه السياسي والروح الاستعمارية تجمع بين المستشرقين على اختلاف أصقاعهم في إطارها الكبير وإن تسلم بعضهم قيادة عسكرية أو منصبا دبلوماسيا أو جمع بينهما .

والروح الاستعمارية التي سيطرت على أوربة في القرن التاسع عشر لتمتلك منافع الشرق وتسيطر على خيراته كانت في تنافس شديد فيما بين دولها ، حتى أدى بها الى صراع تجاري أو مواجهات دولية ، كما هو معروف .

ولكن الملاحظ أن التغاير في البيئات والاتجاهات والدول لم يكن ليؤثر على اتجاههم السياسي الموحّد في حب السيطرة الاستعمارية ، كما لم يؤثر على منزعهم الاستشراقي في تناول الدراسات المختلفة بين مستشرق وآخر .

فنجد مستشرقاً بولندياً أو مجرياً يتتلمذ على مستشرق ألماني ، وآخر تحملة دراسته الجامعية على الانتماء الفكري لأساتذتها ، وثالثاً يستعين في بحوثه بمصادر سابقة أو معاصرة لمستشرق بعيد عنه في الديار ولكنه قريب منه في المبدأ والأفكار .

وإذا انتسب الفرنسي أو الإنكليزي أو الألماني أو المجري الى بلده فان آراءه وأقواله قد تنطلق إلى بلاد أخرى كما تترجم كتبه وبحوثه .

وعندئذ فإن الحواجز الدولية **والموانع** المادية لا تقف دون العمل الاستشراقي والاتجاه السياسي وإنما تلف الجميع أهداف واحدة أو متقاربة يمكن ان تبرز للعيان في مؤتمراتهم ودورياتهم واعمالهم الجماعية .

وحسبنا ان نعلم أن ١٠ ٪ من مستشرقي فرنسة البالغين ٣٠٠ مستشرق كانوا في مناصب سياسية مختلفة ، وهذا لايدل على تطلع للمعرفة العربية وحدها وإنما يظهر الزحف الاستشراقي للأعمال الاستعمارية . واذا كان ينبغي أن نسلط الأضواء الفاحصة على دراسات المستشرقين من الناحية العلمية الموضوعية فإن توظيف هذه الدراسات في المجال السياسي الاستعماري وخدمته يجعلنا أكثر حذراً منها في أي وقت مضى .

٥ ــ أعلام مستشرقون سياسيون :

إن الاتجاه التوسعي في الاستعمار الحديث جنَّد الفكر الغربي لخدمته في بسط نفوذه العسكري والفكري تستوي في ذلك دول كبرى وصغرى ، ورأسمالية وشيوعية .

ويعجب الباحث من ظهور أعلام السياسة الاستشراقية في دول لم يكن لها وزن في المجال السياسي الاستعماري مثل بولندا ، والبرتغال ، وهولندا .

ثم يزداد عجبه من استمرار هؤلاء فترات طويلة وهم يقدمون جهودهم الفكرية المشبوهة لدولهم في الوقت الذي يتأكد فيه من تخلف العالم العربي والإسلامي في المجالات الفكرية ، وضعفه وتفرقه في المجالات السياسية والاجتماعية .

ومع هذا وذاك فإن الزحف الاستشراقي السياسي الذي يمثل الفكر الاستعماري دوافع وأعمالاً وأهدافاً أخذ ظاهرة عموم البلوى المرفوضة في المنشأ وفي العمل ، تزامن وتآزر مع الأعمال العسكرية الاستعمارية في هجمات غازية ، أو توزعات دولية لحساب الدول الأجنبية .

وإذا تحررت معظم البلاد العربية والإسلامية من التسلط العسكري وبعضها من النفوذ الفكري فإن تداول الفكر الاستشراقي عموماً والسياسي خصوصاً يجعل رواسب الغزو الفكري تنشط في فترات يخطط لها الغزاة على صور بعثات أو إرساليات أو إعلام ظاهر ومستور .

إن جامعاتنا ومعاهدنا العلمية ومجامعنا اللغوية أضحت مراكز هامة للعمل الاستشراقي الذي حمِّل في طياته أو انطلق من دوافعه ، بدوافع سياسية استعمارية .

والفصول القادمة تظهر عمق الصلات بين نواح من التعليم الجامعي والمجامع العربية وبين الاستشراق السياسي ورجاله الذين قاموا بأخطر الأدوار التغريبية لصالح الاستعمار الدولي .

وسأكتفي بتفصيل الكلام على شخصيتين سياسيتين **مشهورتين** لسببين :

١ ـــ إن الإحصائية التي سأذكرها في ختام هذا الفصل توضح الحجم العددي الكبير لهم وتغنى عن ذكر آخرين .

٢ ـــ إن جلّ ماتحدثت أو أتحدث عن المستشرقين (الجامعيين) و(المجمعيين) كانوا معروفين بوظائف سياسية وبعضها عسكرية ، وهم أمثلة للاتجاه الاستشراقي السياسي .

١ ـــ الشخصية الأولى :

كريستيـــان سنـــوك هورجرونيـــــه Christiaan-Smowek-Hurgronje

(١٨٥٧ ـــ ١٩٣٦) الهولندي ، تخرج من جامعة (ليدن) بعد دراسته اللاهوت فيها عام ١٨٧٨ ، وبعدها بعام واحد حصل على الدكتوراه برسالة عنوانها : موسم الحج في مكة ، وفي عام ١٨٨١ عين مدرساً للعلوم الاسلامية في ليدن وفي عام ١٨٨٤ رحل إلى الجزيرة العربية وأقام بجدة حتى شهر شباط (فبراير) ١٨٨٥ استعداداً لدخول مكة ، وقد دخلها تحت اسم مزور : عبد الغفار ، وأقام فيها ستة أشهر ثم طرد منها ، ثم أقام في (جاوة) مدة ١٧ سنة مستشاراً في خدمة حكومته حيث عمل كتاب (مكة) في جزئين ١٨٨٨ و ١٨٨٩ و (أهل أتيه) في جزئين ١٨٩٣ و ١٨٩٤ كما ألقى محاضرات عن الاسلام ١٩١٤ الى جانب مقالات صغيرة عن الإسلام نشأة وتطوراً ومعاصرة . ومات في ليدن بعد أن عدّ عميد العربية عقب (جولدزهير) .

ويورد د / حافل بعض آثاره بعناوين أخرى مثل : الحج الى مكة وهو كتاب بالهولندية حافل بالرسم ، والفقه الإسلامي (١٨٨٦) ، والقانون الإسلامي (١٨٩٨) ، وابراهيم في القرآن (١٩١٢) ، بينما اشار (بارث)[٢١] في رسالة : العيد المكي (١٨٨٠) (لسنوك) الى حياة ابراهيم في القرآن .

ويبدو من حياته أنها حافلة بالدراسة والتدريس والتأليف ثم في خدمة الاستعمار الهولندي .

١ ـــ هورجرونيه ودائرة المعارف الاسلامية : وربما كان من أخطر نشاطاته الاستشراقية هو إنشاء دائرة المعارف الاسلامية التي (تختلف عن كتاب بروكلمن

في تاريخ الأدب العربي ـــ أنها قامت من الأصل على أساس من التعاون العالمي ، وأنها تمت على مر السنين والأعوام .

وقد اشترك (سنوك) في التخطيط لها اشتراكا حاسماً ، وقام على التنفيذ خلفه على كرسي ليدن ، المستشرق : ارنت بان فنسنك (١٨٨٢ ـــ ١٩٣٩) واشترك لفيف من المستشرقين الألمان في كتابة عدد عظيم من المواد)[٢٢] .

ولاريب أن التخطيط لمثل هذا العمل الضخم يقتضي تعاوناً دولياً في استكتاب لفيف من المختصين غالباً ، وكان نجاحه في طبعاته الثلاث الألمانية والانكليزية والفرنسية بعد جهود طويلة ، يعدّ ثمرة من تخطيط (هورجرونيه) المحكم ، بالاضافة الى تحقيق أعظم البواعث الاستشراقية خطراً وأثراً في تداول الموسوعة الكاملة في شتى بقاع العالم ، وباللغات الحية ومنها اللغة العربية التي لم تتم ترجمتها .

٢ ـــ من شبهاته الاستشراقية : ان (بارث)[٢٣] كان يعلي من قيمة (هورجرونيه) الثقافية وبخاصة في الفقه والقانون ويقول : كان متضلعاً من الفقه خاصة ، ويجيد تاريخ الشريعة ، وتاريخ القانون الوضعي جميعاً ، وكان نقده الذي كثيراً ماإتسم بالحدة نقداً مثمراً دائما .

أ ـــ دفوع مغرضة : فقد عودنا المنهج الاستشراقي بذل بعض الثناء ، أو إقامة بعض الدفوع عن قضية أو ترجمة اسلامية ، ولكننا إذ نتابع دراسة المستشرق فإننا نجد أبلغ الطعون وأشد الافتراءات بشكلها الخفي أو السافر .

وعندئذ يفهم الغرض من المديح أو الدفاع أنه مكيدة فكرية يراد منها السيطرة النفسية الذهنية على القارىء عموماً والقارىء المسلم خصوصاً .

والسيطرة النفسية الذهنية عند المستشرقين تتخذ لها وجوهاً عديدة منها : محاولة الاقناع الذهني بالموضوعية ، والتجرد من الرغبات الشخصية والقومية والدينية ، ومنها اصطياد الثناء أو الدفاع عن شبهة انتشرت في أقلامهم لتبرز شخصية المادح أو المدافع أكثر من أن تعبر عن حقيقة مغمورة أو خطأ فاش ، ومنها : التظاهر بالاستعلاء العلمي واللغوي والبحثي ، والسيطرة على المصادر العربية وغير

العربية المخطوطة والمطبوعة ...

وقد يكون في مقدمتها إعلان الاسلام والتسمي بأسماء المسلمين والتردد على أماكنهم ومقدساتهم والتزيي بأزياء علمائهم ، ومن ثم يعود المستشرق الى سابق عهده في بحوثه وحياته وشبهاته . وربما يستخدم كل ذلك لإثراء بحوثه بمزيد من الضلالات والأباطيل .

ومهما يكن من أمر فإن المستشرق الفرنسي المسلم (آتين دينيه) صرح في آخر كتابه : الشرق كما يراه الغرب بقوله : لقد أصاب الدكتور (سنوك هورجرونيه) بقوله : ان سيرة محمد الحديثة تدل على أن البحوث التاريخية مقضي عليها بالعقم ، اذا سخرت لأية نظرية أو رأى سابق(٢٤) .

ان ماقاله (هورجرونيه) سليم من الناحية النظرية المبدئية ، وواقعي من الناحية العملية البحثية ، ولكن : هل هناك دراسات أكثر التواء وأعظم انحرافاً من تلك الدراسات التي تنطلق من رواسب لاهويته لتسخر في خدمة الاستعمار ؟

فحياة (هورجرونيه) الفكرية التي امتزجت بالآفاق الاستعمارية تدينه فكراً وعملاً بالتحيز والخضوع للآراء السابقة ونظرياته المدروسة ولا يمكن أن ينطلي قوله على المثقفين الواعين بتمرير افتراءاته عن الاسلام ونبيه .

وعلى كل حال فإن أهمية التظاهر بالنزاهة والموضوعية في منهجه يقترب أو يتماثل من نزاهة أمثاله اللاهويتين والسياسين .

فالمستشرق البلجيكي اليسوعي الأب : لامانس (١٨٦٢ ــ ١٩٣٧) أعلن في مقدمة كتابه : الإسلام عقائد ونظم قوله : كتاب حسن النية ، وأنه عرض موضوعي تماما(٢٥) . ثم إذابه يضع كتاباً بعنوان : هل كان محمداً أميناً (ابحاث في علوم الدين باريس ١٩١١) .

وواضح أن كليهما متحامل على الاسلام ونبيه مهما تظاهر ، بالمنهجية الموهومة والأمانة المفتعلة ، والثناء المزيف الذي يقصد منه ترويج الفكر الاستشراقي والتسليم بأباطيله وضلالالته .

ب ـــ افتراءات قرآنية : عمل (هورجرونية) كتاب : ابراهيم في القرآن (١٩١٢) وقبله رسالة عن : العيد الملكي (١٨٨٠) وعرض فيهما مطالعاته عن علاقة الرسول بأبيه ابراهيم عليه السلام في النسب والملة ، وتناول فيما تناوله قضية الكعبة والذبيح ، وفي كل ذلك يحاول تعطيل القرآن نصاً ومفهوماً ومصدراً ، حتى إن (بارث) الذي كان قد أعلى من قيمته الثقافية وبخاصة في الفقه والقانون ، نوه بافترائه على القرآن بقوله : وقد قام في رسالته : العيد المكي (١٨٨٠) ـــ

تلك الرسالة التي لم تفقد قيمتها الى اليوم ـــ بفحص ناقد للتصريحات القرآنية الخاصة بإبراهيم ، واعتباره الأب الأول للإسلام ومنشئ الكعبة[٢٦] .

ثم انتقلت هذه الإفتراءات وغيرها وبألوان شتى إلى د / طه حسين في كتابه : في الشعر الجاهلي ، عن المستشرق الإنكليزي (مرجليوث) .

جـ ـــ في نشأة الإسلام وهورجرونيه : وكانت قضية نشأة الإسلام أو مهد الإسلام ومصادره الأولى الشغل الشاغل للمستشرقين سواء منهم اليهودي مثل : جولدزهير ، أو المسيحي مثل : نيكلسون ، أو العلماني مثل : رينان ـــ ومرجليوث ، حتى إن أية دراسة استشراقية لاتخلو من الكلام عليها بصورة مجملة أو مفصلة ، أيا كانت صلة الموضوع المعالج بها .

ولاريب أن هذه القضية تستتبع افتراءات شتى من : بشرية القرآن ، وتجريد الرسول من النبوة ، ومدى الاقتباسات الوثنية والدينية السماوية من المصادر الجاهلية والشرقية والأديان السابقة .

ويبدو أن رواسب الدراسات (اللاهوتية) في الأديرة والكنائس ، وتآزر الأعمال الراهبية وبيئاتها كان لها الدور الهام في اعتناق قضية التأثيرات الدينية الخارجية على القرآن خاصة وعلى الإسلام عامة .

ونكاد لانعثر على مستشرق راهب ـــ وخاصة اليسوعيين منهم ـــ أو مستشرق نشأ في بيئة كنسية ، لايقحم تعليمات المتطرفين المعادين للإسلام في أية مناسبة ليظهر تبعية الدين الإسلامي لما سبقه من الديانات ، وتبعية الرسول محمد ﷺ

لمن تقدمه من الأنبياء .

وأحياناً تتطاول بحوثهم إلى اعتبار الرسول أنه مسيحى لم يفهم (التثليث) النصراني ، وأنه (**نسطوري**) خارج عن تعاليم الكنيسة ، وأنه (مكرر) تعاليم الكنيسة كما قال ماكدونالد (١٨٦٣ ــ ١٩٤٣) : لايسعني الا أن اعتقد هنا بأننا أمام حالة من حالات التكرار على لسان محمد ، وعلى نحو غير مقصود بالمرة لعبارة من العبارات التقطتها ذاكرة اللاوعي لديه حينما كان في كنيسة مسيحية سمعها في أثناء صلاة مسيحية[٢٦] .

أو كما يدعي كازنوفا (ت ١٩٢٦) أن فكرة يوم القيامة التي استولت على عقلية الرسول ذات (منشأ) نصراني ، أو كما يزعم لامانس في : مهد الاسلام ، من وجود علاقات في العقيدة والأعمال والأحكام بين الاسلام والمصادر الجاهلية والمسيحية ...

وتجلت أبعاد هذه القضية عند (هورجرونيه) في مقالاته « الصغيرة » (التي تعالج موضوعات متنوعة من بينها مايتخذ شكل مناقشات نقدية للكتب ــ مادة قيمة في الدراسات الإسلامية)[٢٧] مثل : نشأة الإسلام ، التطور الديني للإسلام ، التطور السياسي للإسلام ... .

وقد نوقشت هذه القضية ورُدّت جملةً وتفصيلاً بأقلام عربية وغربية إسلامية وغير إسلامية ، وليس هنا مجال التفصيل فيها .

ولا يصدق الحال السابق على أحد مثل مايصدق على (هورجرونيه) الذي كان قد سجل نفسه طالباً للاهوت في جامعة ليدن ١٨٧٤ واجتاز امتحانه فيه عام ١٨٧٨ ، وكان من بواكير انتاجه : موسم الحج في مكة ، أطروحته في الدكتوراة عام ١٨٧٩ (وفيها بيّن أهمية الحج في الاسلام ومايصاحبه من مراسم وعادات ، وانتهى من هذه الدراسة الى القول بأن الحج الإسلامي هو بقية من بقايا الوثنية العربية)[٢٨] . وهو غير كتابة (مكة) في جزئين (١٨٨٧ و ١٨٨٩) حيث حاول بتسلله الى مكة المكرمة ومشاهدات الحجيج أن يعدّه مصدراً محسوساً

معايناً هاماً له . يضاف إلى ماسبق حضوره دروساً على المستشرق الألماني . تيودورنولدكه (١٨٣٦ — ١٩٣١) مؤلف كتاب : تاريخ القرآن ، والمعروف بعدائه للاسلام)[٢٩] ، و(وأن فواتح السور القرآنية رموز لمجموعات الصحف التي كانت عند المسلمين الأولين قبل أن يوجد المصحف العثماني)[٣٠] .

وعلى الرغم من أنه لم يعتمد في بناء شخصيته العلمية على مستشرقين كثيرين آخرين فإن دراساته المتواصلة جعلته متأثراً بآرائهم وافتراءاتهم . وربما كان في تنافس شديد مع المستشرق المجري كبيرهم : جولدزهير (١٨٥٠ — ١٩٢١) في تتبع التأثيرات الأخرى على الاسلام (فإذا ماقارنا بين جولدزهير وهورجرونيه ، وكيف أن كلاً منهما كان يسعى لتدقيق مختلف التأثيرات التاريخية على الإسلام ، فإن ذلك سوف يلقي بعض الضوء على هذه الاختلافات . ولقد بحث جولدزهير عن العلاقة بين الاسلام وسائر التيارات ، وخلص إلى أن الإسلام قد تأثر بالفرس والبوذيين ... وأهتم هورجرونيه بتبيان التأثيرات المسيحية على الاسلام ...)[٣١] .

وواضح أن التنافس بينهما لم يؤد الى تعارض في الآراء والشبهات وإنما أدى وبشكل مقصود أو غير مقصود إلى تجميع الشبهات والآراء وتنسيقها في إطار واسع من التأثيرات الوضعية والدينية معاً .

ولقد كانت دراسته للشريعة الإسلامية وكتابته عنها ومحاضرته فيها سواء كانت دراسة شاملة أو دراسة مصنفة مجزأة تدور حول محورين : التأثر بالمسيحية ، ومدى التطابق بين أحكام الإسلام وواقع المسلمين ، وبخاصة في زيارته الجزيرة العربية وإقامته الطويلة (١٧) سنة في مدينة (جاوة) الأندنوسية .

فقد كان من مناهج رواد[٣٢] الغزاة من المستشرقين في القرن المنصرم باحثان كبيران قضيا جزءاً غير قليل من حياتهما في دراسة الشريعة الإسلامية هما : سنادك هورجرونيه وجولدتسير ، وقد تحديا ماهو معلوم عند المسلمين بالضرورة — بداهة — من منزلة السنة النبوية ، وأصالة التشريع الإسلامي ... ولم يكن في وسعهما أن يأتيا بنظرية متناسقة متجانسة ، شاملة متكاملة يعارضان بها عقيدة المسلمين ...)

ولكن استطاع أن ينقل هذه القضية وسواها إلى مشاهير المستشرقين من أمثال : تلميذه (فنسنك) ومعاصره (شاخت) (ت ١٩٦٩) ، و(بيكر) (ت ١٩٣٣) و(ماكدونالد) (ت ١٩٤٣) ، وآخرين نجد اسماءهم في مقال (الطيباوي) :

إن الدراسات اللاهوتية والإستشراقية لايمكن أن تقرب أصحابها من تتبع الحقيقة والكشف عنها وإعلانها لأن ذلك مخالفة للمنهج اللاهوتي والإستشراقي الذي غرق في أوحاله هروجرونيه وأمثاله .

٣ ـــ في نشاطاته السياسة : يقول (بارث) الألماني[٣٣] : (إنه كان) رجلاً يعتمد على خبرته العملية بالشرق ... وأقام استعداداً للعمل في خدمة الاستعمار ـــ نصف عام متخفياً (١٨٨٥) ـــ بين المسلمين في مكة ، ووضع في كتابه « مكة » الذي أصدره باللغة الألمانية في جزئين (١٨٨٨ ـــ ١٨٨٩) النتائج العلمية لمهمته الفريدة تلك ... إلى أن يقول : وشغل بعد ذلك مناصب قيادية في السلطة الاستعمارية الهولندية الهندية ، وأوتي بذلك فيما أوتي ، فرصة معرفة العرف السائر بين المسلمين هناك معرفة وثيقة .

وإذاً : فإن ضلاعة (هورجرونيه) في السياسة الاستعمارية لم تقصره على أعماله ووظائفه الرسمية والقيادية المعتادة وإنما دفعت به إلى مغامرة فريدة في رحلته إلى مكة المكرمة للقيام بالأعمال الجاسوسية الخطرة .

ولكن مما ينبغي التنويه به هو أن تطلعاته السياسية كانت مبكرة في حياته بدءاً واستمراراً ، فقد كان أول عمله تعيينه مدرساً للعلوم الإسلامية في (معهد تكوين الموظفين في الهند الشرقية) (اندونيسيا) ومقره ليدن ، وذلك في عام ١٨٨١ ، ثم استأنف نشاطه في التدريس بعد عودته من مكة ، في كل من (ليدن) و(دلفت) وإن كان قد آثر التدريس في (ليدن) فيما بعد .

ويلاحظ أن كلا المعهدين في البلدين مصطبغان بصبغة دينية وسياسية استعمارية لتخريج عمال وموظفين لهذا الغرض ، ثم استمر يخدم الإدارة الاستعمارية

الهولندية في (اندونيسيا) قرابة ١٧ سنة ، بدأها في سنة ١٨٨٩ مستشاراً للحاكم العام الهولندي للشئون الإسلامية ، ومقره في (جاوة) .

وفي آذار (مارس) ١٨٩١ نقل نهائياً للعمل في خدمة إدارة المستعمرات الهولندية بوصفه « مستشاراً في اللغات الشرقية والشريعة الإسلامية » ، وأقام في (أتيه Atijeh) في عامي ١٨٩١ ــ ١٨٩٢ ، ولم يكن الحكم قد استقر فيها تماماً للحكومة الهولندية ــ وهناك جمع مواد غزيرة لتأليف كتابه الضخم ، وعنوانه (Deatijehens) « أهل أتيه) . وفي السنوات التالية قام بأبحاث عن اللغات في أندونيسيا وعن أهاليها وبلادها ، كما كان مستشاراً للحكومة الهولندية في الشئون الإسلامية بهذه البلاد ... فتعلم لغتها إلى جانب معرفته بالعربية .

وبسبب معرفته بإقليم (أتيه) عين « مستشاراً للشئون الداخلية » أيضاً في هذا الإقليم ، وقام برحلات الى (سومطرة) ، وبهذا يتبين أن نشاطه السياسي كان ذا جوانب عديدة ، فهو مدرس الموظفين السياسيين ، والمستشار للحاكم العام ، ومن ثم المستشار العام في أندونسيا مع وظيفته كمستشار للشئون الداخلية أيضاً في إقليم (أتيه) .

ومن غير المستبعد أن نشاطه الفكري في (أمريكا) عام ١٩١٤ على شكل محاضرات عرض فيها الإسلام عرضاً عاماً مشوهاً قد يكون ذا طابع سياسي استعماري أيضاً بعد أن ضعف نفوذ (هولندا) الاستعماري وقوى النفوذ الأمريكي .

وعلى كل حال فإن انتاجه الاستشراقي لم يخدم الفكر الإنساني والإستشراقي بقدر ماقدم خدماته للفكر الاستعماري الجاسوسي .

٤ ــ جوانب ذات دلالات معينة في شخصيته : إن أبرز مايميز شخصيته الفكرية والسياسية والأخلاقية ، الحدّة في الطبع ، والكذب والتزوير في التعامل ، والاستعلاء على الآخرين .

فقد عرفه جلساؤه بالحدة في المناقشة كما وصفه (بارث) بذلك ، ويمكن التعرف على هذه الخصلة من : تعصبه المتطرف للمسيحية وعدائه الإسلام من

ناحية ، ومن طبيعة عمله في خدمة الاستعمار كمستشار من ناحية ثانية ، فالتطرف الديني لابد من أن يترافق أو ينتج من روح متعصبة حادة وانفعالية مهما حاول صاحبها أن يتكلف الأناة والحلم والرزانة .

والعمل الاستعماري كسياسة لابد من أن يعرّض صاحبه الى أزمات ومشكلات مقلقة تشيع في حياته ألواناً من الاضطراب والقلق ، وذلك بسبب مايفاجأ به من عوامل الثورة وأعمال الاستفزاز وحركات التحرر أيا كانت شدتها .

ولايخفي أن مثل هذه الخصلة تتنافى مع صفاء النفس ورزانة الطبع وهدوء الفكر مما ينعكس على حياة الإنسان الفكرية وآثارة الدراسية .

أما الكذب والتزوير فلا حاجة إلى البرهان عليه ، فقد غيَّر (هورجرونيه) اسمه ، وتسمى بـ (عبد الغفار) كما تسمى (فيلبي) (١٨٨٥ ــ ١٩٦٠) باسم (عبد الله فيلبي) ، وكما تسمى (بالمر) (١٨٤٠ ــ ١٨٨٢) باسم (عبد الله افندي) ، وكما تسمى (لين) (١٨٠١ ــ ١٨٧٦) في القاهرة باسم (منصور أفندي) ، وغيرهم كثير ، وهي اسماء إسلامية خالية من مسمياتها وحقائقها .

وإنما تسمى (هورجرونيه) باسم (عبد الغفار) حين كان مقيماً وبوظيفة مستشار في أندونسيا .

وقد بدا الكذب والتزوير واضحين في تسلله إلى مكة المكرمة بعد أن تزيا بالزي العربي الاسلامي الذي يوهم السلطات حينذاك بأنه فرد من المسلمين . وإذا وقع التزوير في مثل هذه الأحوال التي يمكن لبعضها أن تسيء إلى شخصه والى حكومته فأي مانع يمكن أن يمنعه من التزوير في الفكر والتضليل في التأليف ؟

وأما التعالي على الآخرين : فان الحظوة التي نالها من المستشرقين ومن حكومته تمكّن هذه الخصلة من نفسه حتى وإن كانت على أساتذته .

فقد وصف أستاذه ، دي خويه (١٨٣٦ ــ ١٩٠٩) : إنه لم يتألق ولم يسترع الانتباه ، ولكن محياه كان يشرق بنور لطيف ناصع ، وحرارة نبيلة حببت

إلينا الإلتفاف حوله[٣٤] .

وإذاً فإن مالفت اليه الانتباه هو إشراقة الوجه وحرارة النبل وليس العلم والمعرفة اللذين لم يتألق بهما ولم يسترع الانتباه . وهو موقف ينم عن اعتزاز بشخصية هورجرونيه ، ومقدرته العلمية وتفوقه على أستاذه ، مع مافيه من إساءة الأدب وسوء التقدير ، لاتألفه اللياقة الاجتماعية بله العلاقة بين أستاذ وطالب مهما ارتفع مستوى الطالب العلمي والاجتماعي .

ومع هذا فلم يصدر مثله من مسئول تركي صغير حين أبلغه بوجوب مغادرة مكة المكرمة فوراً بعد أن كشف أمره متسللاً اليها عام ١٨٨٥ وأبلغ عنه (لوستالو) مساعد القنصل الفرنسي .

لقد سأل الموظف التركي عن حاجته إلى عدد الإبل التي تقل أمتعته . وأعطاه أربعة منها حسب حاجته بعد وقت قصير ، ثم بدأ (سنوك) عودته الى وطنه ... ثم لاشيء آخر من الإجراءات أو العقوبات .

كما لايتفق مع موقف تلميذه المستشرق الشهير : فنسنك (١٨٨٢ ــ ١٩٣٩) الذي كان أكثر وفاء وتقديراً في حياته وبعد موته .

فقد جمع له (فنسنك) مقالاته الصغيرة المتفرقة التي كان (سنوك) ألقاها في امريكا ، مع آثاره الأخرى ، تحت عنوان : (كتابات متفرقة لكريستيان سنوك هروجرونيه) في ستة ثم سبعة مجلدات .

أما مقالاته الصغيرة التي بلغت أربع مقالات سبق الكلام عن ثلاثتها ، ورابعها : الإسلام والفكر الحديث ، عرض فيها الإسلام عرضاً مشوهاً وشاملاً .

ويبدو أن بعض مضامين هذه المقالات لم ترق لفنسنك كثيراً حتى عنون لها في المجلد الأول : كتابات تتعلق بالإسلام وتاريخه . وفي المجلد الثاني كتابات تتعلق بالشريعة الاسلامية .

ومع أن فنسنك كان متأثراً كثيراً بأفكار أستاذه ، وبخاصة فيما يتصل بمصادر الإسلام ونشأته التي ظهرت في كتابه (عقيدة الإسلام) الذي طرد على أثرها من

مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، فإن فنسنك أكثر صبراً ، وأتقن عملاً ، وأضبط إحصاء وتصنيفاً من أستاذه ، وذلك على الرغم من التخبطات والضلالات في أبحاثه ودراسته .

٢ ـــ الشخصية الثانية :

فيلبي Philby,H-S.J (١٨٨٥ ـــ ١٩٦٠) الإنكليزي السياسي الاستعماري الخطير الذي وسّع نشاطاته السياسية الإنكليزية في العديد من الأقطار العربية الإسلامية .

ولد في جزيرة سيلان وتخرج باللغات الشرقية من جامعة أكسفورد (١٩٠٧) ، ووظف بالهند (١٩٠٨ ـــ ١٩١٥) وفي العراق (١٩١٦) ورأس البعثة البريطانية الى الجزيرة العربية (١٩١٧ ـــ ١٩١٨) وبعثة المركز العربي السياسي الى بريطانيا (١٩١٩) وعين مستشاراً لوزارة الداخلية في العراق (١٩٢١) ورئيساً للبعثة البريطانية في الأردن (١٩٢١ ـــ ١٩٢٤) ثم تقلب في وظائف عديدة فعين مستشَاراً للمملكة العربية السعودية ، وأشهر إسلامه ، وانتدب أستاذاً زائراً في الجامعة الامريكية ببيروت (١٩٥٧) وتوفي فيها .

١ ـــ نشاطه الاستعماري : إن الصورة الموجزة السابقة من حياة (فيلبي) تستدعي تفصيل أعماله الاستعمارية في مصر والعراق وسورية وفلسطين والأردن الى جانب أعماله بالهند درة التاج البريطاني حينذاك . وأخص منها نشاطه في العراق حيث كان الاستعمار الأنجليزي قد أناخ بكلكلة فيه بعد أن استعمرت فرنسا سورية ولبنان والمغرب العربي .

ومن الملاحظ بادئ ذي بدء اختلاف شخصية (فيلبي) عن المستشرق الاستعماري الهولندي (هورجرونيه) فقد غلب على الأول الزخم السياسي والفعاليات الاستعمارية طول حياته وبخاصة في الفترة الأخيرة منها وقبل أن يصبح أستاذاً زائراً في الجامعة الامريكية ببيروت كما أشرت اليه .

بينما نجد الثاني يحتفظ بالجانب الاستشراقي الفكري والعمل الدائب من أجله

من سفينة غارقة ، حيث إن شرقي الأردن قد تتقدم في المستقبل ، إلا أنها سوف لاتكون مستقلة كما كنت أومل لها أن تكون .

وفي مذكرات الملك عبد الله أن (فيلبي) معروف لدى العرب على شيء كثير من الإخلاص في البلاد التي يعمل فيها ..

ثم اغتنم هذه الفرصة فاتفق مع السائحة المشهورة (روزيتا فوربس) على ارتياد الربع الخالي على نفقة (الديلي تلغراف) .

ثم عرض على د / ناجي الأصيل وكيل الحكومة السعودية في لندن أن يضع نفسه تحت تصرف الملك على في جدة ، وبعد موافقته توغل في داخلية الحجاز واتصل بالملك عبد العزيز الذي كان اشبه بمشاور له في شتى الشئون ، حتى إنه رفض راتباً خصصه له الملك عبد العزيز ، ولكنه استطاع أن يقنع بعض الممولين الانكليز بتأسيس شركة سموها ، الشركة الشرقية المحدودة ، في الحجاز وانكلترا ، وتوسعت أعمالها برئاسته وكان منها استيراده لسيارات فورد وتصميمها حينذاك ، ويدَّعي أنه هو الذي أشار على الملك عبد العزيز بوجوب استقدام الأجانب للبحث عن المعادن ، وهو الذي خابر له الشركات الأمريكية والبريطانية وكان من نتيجتها الموافقة على أخذ الأمريكين امتياز استخراج البترول متسابقين بذلك مع البريطانيين .

ويبدو أن الملك عبد العزيز لم يسمح لـ (فيلبي) بالعودة من أمريكا الى السعودية بعد أن علم من (هوسكينز) الكلونيل الأمريكي والممثل الشخصي للرئيس روزفلت الذي كان يشتغل في دائرة الشئون الشرقية في وزارة الخارجية ، أن (فيلبي) كان يحاول رشوته بعشرين مليون باون ليبيع لقاءها فلسطين الى اليهود ، كما جاء في كتاب حاييم وازمن رئيس دولة اسرائيل : التجربة والخطأ ، والذي نشره في ١٩٤٩ . وبذلك قضي على أحلام (فيلبي) في الاستمرار بعمله كمستشار فيها ، كما انكشفت نواياه في دعم اسرائيل عن طريق السعودية ، وظهرت خيانته فمنع من العودة إليها مطلقاً ، وانتدب أستاذاً زائراً في الجامعة الامريكية ببيروت (١٩٥٧) وتوفي فيها (١٩٦٠) .

٢ ـــ صلاته بالمستعمرين والمستشرقين السياسيين : أشرت خلال حياة فيلبي بالعراق وغيره إلي بعض هذه الصلات التي كانت تتم وفق تنسيق مخطط من مراكز الاستخبارات البريطانية ، وأحياناً كانت تتم عرضاً وفق الأهداف الاستعمارية المشتركة التي تتطلب تضافر الجهود والأعمال . وكان فيلبي يقول (بعد وصوله إنكلترا ١٩١٩) : أشغلت قسماً كبيراً من وقتي خلال هذه المدة بزياراتي الى وزارة الهند ، ووزارة الخارجية ، حيث وجدت (غاربيت) و(هيوبرت بونغ) على التعاقب يشغلان منصب الخبراء في شئون الشرق الأوسط ، والى الجمعية الجغرافية الملكية ، وقد جرت لي مقابلات مع (أدوين مونيتفو) واللورد (كرزن) وقضيت جميع ماتيسر لي من الوقت أشتغل اشتغالاً جدياً بإحضار خرائطي عن الجزيرة العربية في الجمعية الجغرافية[٣٦] .

واتصل بالكولونيل (هـ . ف . جاكوب) حين سافر هذا الى صنعاء وقال له : أي نوع من اللباس سترتدي خلال رحلتك هذه ؟ فأجاب بلهجة تكاد تكون جازمة : البزة العسكرية كضابط ، وجنتلمان بريطاني ومع حاشية من الخيالة الهندية . فأجابه فيلبي : إذاً فإنني أعتقد أنك سوف لا تصل صنعاء مطلقاً ، فاستهزأ بمثل هذا الرأى ، غير أنه لم يصل الى هناك بتاتاً ، حيث إن قبيلة (قهرة) وقفت في طريقه ، وبعد حصار غير مريح دام عدة اسابيع سمح له بالعودة بعدها الى الحديدة[٣٧] .

وربما كان (لورنس) أهم شخصية تبادل معها التأثير والمعلومات الاستعمارية . ولورنس هذا (١٨٨٨ ـــ ١٩٣٥) هو الملقب بـ (لورنس العرب أو العربي) حيث جذب الانتباه إليه بأعماله العسكرية والاستعمارية وبانتاجه الفكري مثل : ثورة في الصحراء (١٩٧٧) وأعمدة الحكمة السبعة (١٩٢٦) ... وهو الذي انضم إلى القوات العربية بقيادة الملك فيصل بن الحسين ، وعمل على قطع سكة حديد المدينة دمشق ، ودخل دمشق ١٩١٨ بجنوده العرب قبل أن يحتلها الجنرال (اللبني) . وخان العرب في مؤتمر فرساي[٣٨] .

وكان (فيلبي) قد قابل (لورنس) الذي أطلعه على تطورات الشئون العربية

التي كان يجهلها (لورنس) ثم اصطحبا معاً الى القاهرة ضيفين على (اللبني) حيث أخذ (اللبني) برأي (فيلبي) بعدم ارسال طائرات انكليزية لمساعدة الشرفاء[٣٨] .

وكذلك فان (فيلبي) خلف (لورنس) في خدمة بلاده في امارة شرقي الأردن مدة ثلاث سنين وقد أفاد من أعماله واستكمال مهامه .

أما صلات (فيلبي) في العراق فكانت مع شخصيات مشهورة مثل (وكسوس) رئيسه في الدائرة السياسية والذي عمل على إنشاء حكومة مؤقته وطنية (؟!) وكان معه ومع (بيل) يشتغلون معاً بانسجام تام ووحدة متناهية كفرقة واحدة نذرت نفسها لواجب واحد وهو (والكلام لفيلبي) : أن تشكّل في بغداد حكومة مؤقته تحظى بقبول الجميع[٣٩] .

والشخصيات السابقة لم يعرف لها نشاط فكري استشراقي مع الأعمال الاستعمارية . ولذا فإن من المناسب أن أعرض لشخصيتين استشراقيتين تعاون معهما (فيلبي) في المجال الاستعماري السياسي .

وأولهما : الآنسة جرترودبيل (١٨٦٨ ــ ١٩٢٦) تخرجت من لندن وأكسفورد ، وطوفت في ايران وسورية والجزائر وبلاد العرب (١٨٩٢ ــ ١٩١٣) وعيّنت مترجمة في السفارة البريطانية في مصر (١٩١٥) وفي البصرة (١٩١٦) وفي بغداد (١٩١٧) فلقبت فيها بعد الحرب بملكة العراق غير المتوجة ، وقد ساعدت في التنقيب عن آثاره وأنشأت لها متحفاً في بغداد ، حيث توفيت وكانت تحسن الفرنسية والألمانية والعربية والفارسية[٤٠] .

يقول فيلبي : كان يسرها أن تسمع عما كان يجري في الجزيرة العربية لتجري نوعاً من التوازن تجاه نفوذ الملك عبد العزيز ... وكانت (بيل) قد ركزت نفسها منذ مدة طويلة مع خادم أمين ، استخدمته عندها منذ أيامها الخالية في سورية في (فيلا) صغيرة مبهجة تقع وسط بستان بديع مليء بالزهور أصبحت تعرف بين المتحللين باسم (مرتع العزوبة) ، فأصبحت هذه الدار بسرعة مركزاً معترفاً به

لشبكة واسعة النطاق من الدس السياسي الذي يشمل البلاد بأجمعها(٤١)

ومن آثارها سورية ط ٤ (١٩٨٧) ، والفرات (١٩١٠) ، وشمال الجزيرة العربية (١٩١٤) ..

وثانيتهما : أرنولدتالبوت ويلسون (١٨٨٤ ــ ١٩٤٠) تعلّم في كلية كليفتون والكلية العسكرية الملكية في ساندهورت ، ثم التحق بجيش الهند ، ثم نقل الى القسم السياسي في الهند (١٩٠٩) ... ثم انضم الى القوات الهندية التي حاربت في العراق (١٩١٤ ــ ١٩١٦) واختير نائبا للمبعوث الإنكليزي السير (برسي كوكس) ، ومستشاراً سياسياً في الخليج الفارسي ... ثم تطوع بعد استعفائه من الخدمة في القوات الجوية (١٩٣٩) ، وأسقطت طائرته فوق ألمانيا ، وكان متخصصا في اللغات : العربية والفارسية وثلاث لغات هندية ، بالاضافة الى اللغات الأوربية(٤٢) .

وواضح أن (ويلسون) كان من الاستعماريين البريطانيين الذين كانوا يناوئون تأسيس حكم وطني في العراق(٤٣) .

وذكر (فيلبي) عنه أن الشعب العراقي غير قادر على حكم نفسه ، وأنه يقترح أن يبادر الى تدريبه في أصول الحكم عن طريق التشكيلات البلدية ، وبذا أعلن عن قرب إجراء الانتخابات للمجالس البلدية في المدن المهمة ، تلك المجالس التي سيكون لها رئيس ونائب رئيس وسكرتير من البريطانيين ، بينما يكون للأعضاء المنتخبين الحق التام في البحث والمناقشة من غير أن يكون لهم حق التصويت .

وكان (ويلسون) طلب من (فيلبي) أن يزور سورية بالنيابة عنه ويقدّم تقريراً عن التطورات هناك والتي كان يمكن أن تؤثر تأثيراً خطيراً على العراق ، غير أن (فيلبي) تصنّع التعب والملل(٤٤) .

ومن آثاره : الخليج الفارسي (العربي) وهو صورة تاريخية مجملة منذ أقدم العصور الى أوائل القرن الثاني عشر (أكسفورد ١٩٢٨) ، وفارس (١٩٣٢) ، وقناة السويس (١٩٣٣) ، وشط العرب (١٩٤٥) ، والخليج الفارسي العربي

(١٩٢٧) .

وفي الشئون الدولية : الشرق الأوسط (١٩٢٦) ، وقناة السويس (١٩٣٩) ، وتاريخ نزول الآباء اليسوعيين في إيران (نشرة مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية ١٩٢٣ ــ ١٩٢٩)(٤٥) .

إن النشاط الاستعماري الإنكليزي في صورته السياسية المحضة ، والاستشراقية الفكرية قد قام بدور فعّال في الشئون العربية من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعقدية .

فأمثال هؤلاء المستشرقين ومن سبقهم من السياسيين والعسكريين كانوا يمتلكون زمام البلاد وقيادتها في جميع النواحي ، ويتصرفون فيها كما لو كانت مقاطعة من بلادهم ، وجزءاً من شعبهم ، ولكنها على كل حال تصرفات فيها من العنف والتجهيل والنظرة التسلطية مالاتعرف في الشعب الإنجليزي نفسه وفي بلاده .

ويبدو لي بالإضافة إلى التآزر الوطيد بين الفكر السياسي والاستشراقي أن هناك ناحيتين تلفتان النظر . أولاهما تسخير المرأة الانكليزية أحيانا جميع طاقاتها ومواهبها في خدمة الهدف الاستشراقي الاستعماري ، حتى ان سمعة (بيل) كانت متمرغة في الفساد ضمن (الفيللا) التي كانت تسكنها والمسئولين الذين كانوا يرتادونها لمتابعة أعمالهم السياسية ، وهي غير مكترثة لما يقال ويشاع في سبيل تحقيق هذه الأهداف . وثانيهما : بروز الغرض الكنسي من خلال النشاط الفكري الاستعماري ، فقد عمد (ويلسون) الى تتبع النشاط اليسوعي في إيران في جولاته العسكرية وأثبت ذلك في كتاباته الاستشراقية .

وهو غرض ، وإن بدا نزاعاً بين الكنيستين الكاثوليكية والبرد تستانيته ، فإنه من الممكن أن يوضّح محاولة السيطرة الدينية لصالح الإنسان الغازي ، ويحاول وضع الخطط لاجتياح الكنيسة المعادية ، لامن أجل اعتناق وجهة واحدة فيها فحسب ولكن من أجل التقرب الى الفكر الإسلامي ضمن الخطة الاستعمارية في إشاعة البروتستانية التي حمل الانكليز رايتها إلى العالم العربي والإسلامي .

٣ ــ في إسلامه وآثاره : وإنما قرنتهما معا لأننى أرجح أنهما يلتقيان ضمن الهدف

الاستعماري الواحد الذي كان يسعى إليه بشتى الوسائل الدبلوماسية والفكرية .

أما إسلامه فإنه يروي قصته ، فيقول(٤٦) : لقد تعلقت بالجزيرة العربية وغرمت بها ، وكانت المشكلة التي واجهتني منذ ١٩٢٥ هي : هل أنا مستعد للسير إلى الأخير مع العرب ؟ ... فقد كنت لا أزال في عمر باكر يؤهلني للطموح في الحصول على منزلة سياسية في إنكلترا من دون أن يؤثر ذلك على المصالح التجارية التي أسستها في جدة ... ثم يقول : ومنذ أيامي الأولى في الهند انجذبت الى الإسلام انجذاباً تاماً لتأكيده الشديد على ماكان يبدو لي صالحاً من الفلسفة وأساليب الحياة الخالدة ، ولم أكن مسيحياً منذ مدة طويلة ، بل كنت فيلسوفاً من دون أن يكون لي إحساس أو اقتناع ديني ... وكان الإسلام في الهند من جهة أخرى ، يبدو لي أنه قد حمّل بأكثر من اللازم من المبادئ والطقوس الدينية غير الأساسية ... وقد وجدت السنين في العراق على شيء غير يسير من الضحولة والرسميات في ممارسة الدين والتفكير به ، بينما لم تجتذبني العقيدة الشيعية بقديسيها وعلمائها الأصوليين ، وعلى هذا لم أتصل بما كنت أعتقده الشكل النقي الطاهر من الإسلام دون شك أو نكران إلا عندما ذهبت الى الجزيرة العربية ، ذلك الشكل الذي يستمد تعاليمه بالكلية من منابع وحيه الأصلية في القرآن وسنة النبي ، ولا يمت بشيء الى ماطرأ على التعاليم بعد ذلك من التفسير والتأويل . وقد لاح لي بعد درس عميق أن العقيدة الوهابية هي الشكل المثالي من الدين ... ثم يتابع كلامه : ولئن كان تشريعها قاسياً من بعض الوجوه فهي لاتقر الزيف ، كما أن تعدد الزوجات الذي تقره والذي كان هدفاً للنقد والتجريح ، فيه من التدابير ضد العهر والفسق مايفضل على التدابير الموجودة في الوصايا العشر ...

ثم ينهي كلامه بقوله : قال (الملك عبد العزيز) : إننا يجب أن نجد اسما جديداً له ، فماذا تقترحون كلكم ؟ (والخطاب للجمع المحتشد عنده) .. ولماذا لا نسميه عبد الله ؟ نعم ، فليكن اسمه عبد الله ، عبد الله فيلبي ، وهكذا كان منذ ذلك اليوم حتى الآن .

ونحن لا نستطيع أن نناقش في سلامة نيته حول الاسلام وصدقه فيه . لأن

ذلك مما لايعرف وهو خفي عن ظواهر الأمور ، كما أننا الا نستطيع أن ننفي أقوالا نطقها بالإسلام وأعلنها أمام جمهرة من المسلمين فنقول له : إنك غير مسلم مع أنه أعلن هذا الاسلام ، ولا يمكن أن ننكر عليه ظاهر أمره وندعى أنه متظاهر بالإسلام ، متستر به ، ومتذرع بأحكامه ، والاسلام منه براء .

ومثل هذا بعيد عن خلق المؤمن وآدابه ،أفلا يتدخل بالسريرة التي يعلم الله صدقها وإنما يكتفي بظاهر القول والحال ، والله وحده يتولى نيته وسريرته .

ولكن إذا لم يشرع لنا مثل ذلك أصلا أفلا يحق لنا أن نحلل موقفه المفاجئ من الإسلام من خلال تصريحاته وأعماله ، لاقبلُ الإسلام وإنما بعده أيضاً ؟

ألا يحسن أن نتحقق من مثل هذه الشخصية الهامة أنه قد حسن إسلامه فالتزم به وعمل له مثل ماكان يعمل ضده قبل الاسلام ؟ ومن أجل ذلك ماذا قدّم فكر (فيلبي) للإسلام أو للمسلمين بعد أن أعلن اعتناقه الإسلام ؟

هذه أبسط التساؤلات التي يمكن أن تخطر على فكر أي مثقف يتناول بالدراسة نفسية شخصية هامة في التاريخ .

وللإجابة على مثل هذه التساؤلات يمكن القول : إن (فيلبي) نفسه كان يقول معلناً : وكانت المشكلة التي واجهتني منذ ١٩٢٥ هي هل أنا مستعد للسير الى الأخير مع العرب ؟ .

وهذه ليست كلمة عابرة وإنما ـــ كما يبدو لي ـــ هو موقف قديم مبيت أو معلن من السياسة الاستعمارية الانكليزية يدفع به الى أن يتخذ أية وسيلة مشروعة أو غير مشروعة للسير مع العرب كما يدّعي .

وإذا ربطنا هذا الموقف المغرض من حياة (فيلبي) الأولى مع آماله العريضة في أن يتبوأ مكانه لائقة بين قومه فإننا نتأكد من ذلك بقوله : فقد كنت لاأزال في عمر باكر يؤهلني للطموح .

ثم إن الإسلام في السعودية هو الإسلام نفسه في الهند والعراق لاتختلف أصوله التي يستمدها منه وهي كتاب الله وسنة نبيه ، وهو يدرك تماماً أن صلاح الإسلام في

عقيدته وعبادته ونظمه يمكن أن تؤخذ مباشرة من هذه الأصول ولا تؤخذ من المسلمين ، وبخاصة من عامتهم الذين يجهلون بعضاً من أحكامه ويخطئون في بعضها الآخر ، وينحرفون أحيانا عن اتباع هذه الأصول اتباعاً دقيقاً .

وهذه القضية ــ الفصل بين الإسلام والواقع الإسلامي ــ ملحوظة بذهن معظم المفكرين الذين دخلوا في الإسلام وهم يحاولون حلّها ومعالجتها .

فكيف إذاً يمكن أن نقبل رفض إسلام (فيلبي) في الهند والعراق بمثل هذه المعوقات المفترضة التي يمكن لمثقف مثله أن يعتبرها حجاباً دون إسلامه وهي من الواقع الذي أشاعه الفكر الاستعماري وغزوه الفكري ؟

وقد يكون في جانب من قوله بعض الصحة وهو أن الاسلام في الهند قد حمّل بأكثر من اللازم من المبادئ والطقوس الدينية غير الأساسية ... ولكن أحداً لايقول له : هذا هو الإسلام الذي نريد اعتناقه ، فهل كان عليه أن يعتنق الإسلام تشويهات إسلامية جرى عليها بعض المسلمين في الهند والعراق ؟

إن العلماء أنفسهم في الهند والعراق ينكرون التزيدات والانحرافات التي تقع من عامة الناس ، ويطلبون منهم العودة إلى الأصول الإسلامية فلماذا ينظر باتبّاعه الإسلام إلى العامة دون العلماء ؟

ولذا فإنه حين وجد الإسلام في السعودية معلناً ومعمولاً به في الميادين الرسمية الحكومية ، والشعبية بادر إلى اعتناقه حيث إنه توهم أنه قد توفّرت له أرضية صلبة يقف عليها ، وسبيل آمنه يمكنه أن يسلكها وينفذ منها إلى تحقيق أهدافه ، ولكنه منع من الدخول إلى البلاد بعد أن طرد منها بسبب خيانته أو تواطئه مع (هوسكينز) كما تشير الرواية السابقة .

والأمر الذي يلفت النظر هو أنه لم ينشر أي عمل فكري بعد إسلامه يدل على تمكنه من نفسه والتزامه به ، فهل نضبت قريحته وضاعت معارفه عن الاسلام ومبادئه في فترة نضوجه الفكري والعلمي ؟

على أن التداعي الفكري يلحّ على إبراز أسماء اسلامية مثل : عبد الله بالمر ،

وعبد الغفار هورجرونيه إلى جانب عبد الله فيلبي ، وهما مع تزييهما بالزي العربي والإسلامي وتجوالهما وبقائهما في البلاد الإسلامية مدة طويلة لم يعرف عنهما أنهما أعلنا الإسلام أو نطقا به مثل مافعله (فيلبي) في ظروفه الرسمية الخاصة .

أضف إلى ذلك أن التسمية بعبد الله فيلبي لم تكن من اختياره وبرغبته وإنما هي اختيار الملك عبد العزيز وموافقة جلسائه من غير أن يكون لـ (فيلبي) أي اعتراض أو مدافعة كما تشير الرواية السابقة .

وربما أكد ذلك ماعرف له من آثار فكرية تنحو جميعها المنحى الاستعماري بشكل خفي أو سافر ، ثم أستاذيته في الجامعة الأمريكية التي استغرقت ثلاث سنوات متعاوناً مع انكلترا وامريكا وأجهزتهما ومؤسساتهما .

ومن هذه الآثار : قلب الجزيرة العربية (١٩٢٢) ، وجزيرة العرب في عهد الوهابيين (١٩٢٨) ، والجزيرة العربية (١٩٣٠) وهارون الرشيد (١٩٣٣) ، والربع الخالي (١٩٣٣) ، ونبات سبأ (١٩٣٩) ، وحاج في الجزيرة العربية (١٩٤٣) وأسس الإسلام (١٩٤٧) ، وأيام في الجزيرة العربية (١٩٤٨) ، ومرتفعات الجزيرة العربية (١٩٥٢) ، والعربية السعودية (١٩٥٥) .

وربما يتصدى بعض الباحثين الى كتبه بالتفصيل والتحليل ويكشفون عن الخطط الاستعمارية التي تضمنتها والخرائط العسكرية التي احتوتها لتتصل حلقات الدراسة حول شخصيته الاستعمارية .

ولكن من الثابت قطعاً أن مثل كتابه (قلب الجزيرة العربية) ، و(الربع الخالي) ، و(مرتفعات الجزيرة العربية) لاتقبل أدنى شك في وجهتها الاستعمارية الاستراتيجية .

أضف الى هذا ماورد سابقاً من أنه اشترك في رحلة مغامرة عبر الربع الخالي . ثم ماعرف من حياته وتردده على وزارات الهند والخارجية ومكاتب الخرائط العسكرية ، وكذلك تردده بين سورية والأردن والعراق والولايات المتحدة ، **ومحاولاته** التفاهم مع المسئولين اليهود في فلسطين .

كل هذا وغيره يضعنا أمام اتجاه سياسي واضح المعالم جليّ الأبعاد في شخصيات استشراقية لامعة سخّرت مواهبها وقدراتها الفكرية لصالحه يوم أن كان الاستعمار العسكري فلسفة الدول العظمى وعملها المفضّل .

جدول بالمستشرقين السياسيين :

إن جدولة المستشرقين السياسيين من أهم الجوانب في فهم طبيعة الاستشراق وإنتاجه ونشاطاته الفكرية المختلفة عامة وفعالياته السياسية والاستعمارية خاصة ، ولذا فمن الضروري تتبع أسمائهم وأبرز أعمالهم وأشهر شبهاتهم .

م	المستشرق	حياته	جنسيته	عملـــه	أعمـــال أخرى
١	آبل ــ أرمان Abel-A.	١٩٠٣	أمريكي	مدير المركز الوطني لدراسة شئون العالم الاسلامي	محاضر في الجامعة المصرية (١٩٢٦ ــ ١٩٢٨) .
٢	آربري Arbrry, A.J	١٩٠٥ــ١٩٦٩	أنكليزي	وزير الأنباء	عضو في مجامع ومنها مجمع دمشق
٣	أماري ــ ميشيل Armari, M	١٨٠٦ــ١٨٨٩	إيطالي	عضو بمجلس الشيوخ ــ قائد حملات عسكرية ــ وزير التعليم العالي ــ ١٨٦٢	رئيس مؤتمر المستشرقين في فيرنته ١٨٧٦
٤	أوكربلاد Akerblad, J, D	١٧٦٣ــ١٨١٩	سويدي	موظف في السفارة باستنبول	
٥	أوستروردج الكونت Ostrorogt-C.L		فرنسي	من رجال السلك السياسي	ترجم قسماً من الأحكام السلطانية للماوردي
٦	بارون ــ جون Badon-Johon		امريكي	سفير في القاهرة	عميد الجامعة الأمريكية بالقاهرة ١٩٤٧

م	المستشرق	حياته	جنسيته	عمله	أعمال أخرى
٧	بارتيلمي ـــ سن هيلر Barthélemy, S, H	١٨٠٥ـــ١٨٩٥	فرنسي	كاتب سياسي	له : محمد والقرآن ـــ مصر وقناة السويس
٨	بالمر Palmer-Edward	١٨٤٠ـــ١٨٨٢	انكليزي	عميل استعماري متعاون مع اليهود مراسل صحيفة (ديلي نيوز) وصحيفة (استاندرد)	ترجم القرآن ـــ قتل خائناً من البدو العرب
٩	براون ـــ أدوارد ـــ جرانفيل Broune-E,G	١٨٦٢ـــ١٩٢٦	انكليزي	مستشار بالدولة الدستورية في ايران	مجمعي بدمشق ـــ محاضر اللغة الفارسية في كمبرج
١٠	براون ـــ ستيورات ـــ هنري Bucherd-S, H	١٩٠١	انكليزي	مساعد بقسم فلسطين ـــ مساعد مفوض ـــ ضابط استعلامات	منظم البرامج العربية ١٩٣٨
١١	برتشرد Bucherd-W		انكليزي	قنصل في تونس	له : الاسلام والاصلاح (١٨٧٨)
١٢	برشيه Bercherleon	١٨٨٩ـــ١٩٥٥	فرنسي	ضابط ومترجم	مدير الدراسات العليا بتونس
١٣	بروفنسال ـــ ليفي Prouencal-L	١٨٩٤ـــ١٩٥٦	فرنسي	جند بالقيادة العليا لشمالي افريقية وكلف بمهام خطيرة بين لندن والقدس ودمشق	استاذ العربية والحضارة الاسلامية في جامعة باريس
١٤	بكر Bekker-Karl	١٨٧٦ـــ١٩٣٣	ألماني	وزير المعارف ١٩٢١	كلفته حكومته بالشرق إبان الحرب العظمى الأولى ـــ مدير مجلس الاسلام

م	المستشرق	حياته	جنسيته	عمله	أعمال أخرى
١٥	بل جرترود Beilg-J	١٨٦٨—١٩٢٦	انكليزية	مترجمة ـ لها نشاط مع فيلبي بالعراق	لها : عرب العراق
١٦	بلانتيه Plantet.E		فرنسي	من وزارة الخارجية	له : مراسلات ولاة الجزائر مع بلاط فرنسا ، مراسلات ولاة تونس
١٧	بورجشتال ـ هامر Hammer-P.J	١٧٧٤—١٨٥٦	نمساوي	جوال في مصر وفلسطين وسورية ولبنان وايران	قنصل ومستشار في باريس
١٨	بوسيه Beassier.A	١٨٢١—١٨٧٣	فرنسي	مترجم الحكومة	له : المعجم العلمي العربي الفرنسي
١٩	بونيون Pognon,H	١٨٥٣—١٩٢١	فرنسي	قنصل في حلب	له : الآثار السامية المكتشفة في الشام ومابين النهرين
٢٠	بياترامسفسكي ـ انياس Pcitruaszeuski, I	١٧٩٩—١٨٦٠	بولوني	قنصل في يافا	استاذ التركية والعربية بجامعة بطرسبرغ
٢١	بيك ـ فريدريك Beak. F		انكليزي	عقيد في الجيش	له : تاريخ شرق الأردن وقبائله
٢٢	بيلن Belin	١٨١٧—١٨٧٧	فرنسي	قنصل متنقل بين سالونيك والقاهرة	له : ترجمة السلطان عبد الحميد
٢٣	بيللاريث ـ اميليو Beladiez, E		اسباني	دبلوماسي ـ من كبار الخبراء بشئون الشرق العربي	أمين عام المعهد العربي الأسباني للثقافة

م	المستشرق	حياته	جنسيته	عمله	أعمال أخرى
٢٤	بيرين ــ جاك Perenne, J	١٨٩١	بلجيكي	مستشار الملك ليوبولد الثالث ١٩٤٢	معيد بجامعة القاهرة ، عضو في مجامع كثيرة
٢٥	تالبوت ــ فيلبس Tallout, F	١٩١٥	أمريكي	مساعد وزير الخارجية	دكتور من جامعة شيكاغو (١٩٥٤)
٢٦	توماس ــ سيدني Thomas, B,S	١٨٩٢ ــ ١٩٥٠	انكليزي	عمل بجيش العراق والمكتب السياسي برئاسة (أرنولد ويلسون)	مستشار للحكومة العربية بالعراق . مستشار مالي في مسقط ــ أول من قطع الربع الخالي (١٩٣٠ــ١٩٣١)
٢٧	تومسون ــ ر ــك Tompson, R,C		انكليزي	عمل في العراق مع (فيلبي)	له : مابين النهرين ١٩١٠
٢٨	جالان ــ انطوان Galland A	١٦٤٦ــ١٧١٥	فرنسي	سفير في تركيا	
٢٩	جب ــ هاملتون Gibb. H.A.R	١٨٩٥ــ١٩٧١	انكليزي	مدير مركز دراسات الشرق الأوسط بأمريكا (١٩٦٢)	مجمعي بدمشق والقاهرة
٣٠	جريفيني Griffini, E	١٨٧٨ــ١٩٢٥	ايطالي	أمين ادارة اركان حرب طرابلس الغرب (١٩١١ ــ ١٩١٣)	استاذ بجامعة ميلانو
٣١	جرينار Grenard, F	١٨٦٦	فرنسي	وزير مفوض	له : عظمة آسيا وانحطاطها ١٩٣٩

م	المستشرق	حياته	جنسيه	عمله	أعمال أخرى
٣٢	جوبير Joubert, A	١٧٧٩ــ١٨٤٧	فرنسي	مترجم في حملة نابليون	استاذ للتركية ــ مستشار للدولة وعضو في مجلس الشيوخ
٣٣	جونثالث Gonyaley, j		أسباني	قنصل في الجزائر	له : فتح الأندلس (ترجمة ١٨٨٧)
٣٤	جي Guys,H	١٨٨٤	فرنسي	قنصل في بيروت	له : شرح عقائد الدروز
٣٥	ديلابورت Delaporte	١٧٧٧ــ١٨٦١	فرنسي	حملة نابليون ــ قنصل في طرابلس	له : دراسات عن دين الأقباط والبربر
٣٦	درايفر Driver, G. R	١٨٩٢	انكليزي	التحق بالجيش	له : قواعد العربية العامية في سورية وفلسطين (١٩٥) والقوانين البابلية (١٩٥٢)
٣٧	دوزي Dozy-Reliniart	١٨٢٠ــ١٨٨٣	هولندي	عضو في الحزب الليبرالي	بمنظم انتاجه في الأندلسيات
٣٨	دوهسون D'orson, J, M	١٧٤٠ــ١٨٠٧	سويدي	ترجمان السفارة في استنبول	له : السلطنة العثمانية ١٧٨٧ــ١٧٩٠
٣٩	دي كوروا Caurroy Du	١٧٧٥ــ١٨٣٥	فرنسي	ترجمان الملك بالسفارة في استنبول	له : علاقات فرنسا بالباب العالي
٤٠	دي دِما Dumast, G	١٧٩٦ــ١٨٦٢	فرنسي	التحق بالجيش قائداً على ٢٠ ألف فرنسي	له : حق فرنسا في مسألة الشرق ١٨٤٧
٤١	ديموبين Demombynes-Maurice	١٨٦٢ــ١٩٥٧	فرنسي	مدرس العربية في مدرسة المستعمرات من ١٩٠٥ــ١٩١٢	استاذ الآداب بجامعة باريس مدير الدراسات الاسلامية

م	المستشرق	حياته	جنسيته	عمله	أعمال أخرى
٤٢	دينجماش Dingemans H,H	١٩٠٧	هولندي	سفير الباكستان	له : نشر من احياء العلوم للغزالي
٤٣	دي ساسي Sacy-Amtoine	١٧٥٨ــ١٨٣٨	فرنسي	لقبه نابليون (بارون) ١٨١٤	مراقب ملكي ــ مكلف بمهمة رسمية ١٨٠٥
٤٤	دي سلان Slan, M	١٨٠١ــ١٨٧٨	فرنسي	مترجم في وزارة الحربية	اختص بالدراسات المغربية
٤٥	دي موتيلنسكي Montylinshl,A	١٨٥٤ــ١٩٠٧	فرنسي بولوني الأصل	مترجم عسكري بالجزائر	استاذ العربية في قسطنطينية وكتب عن الاباضية
٤٦	دي مينار Meynard, B	١٨٣٧ــ١٩٠٨	فرنسي	الحق بقنصلة فرنسا في القدس	له : مع غيره مجموعة مؤرخي الصليبية
٤٧	رنس جورج Renty, G	١٩١٢	امريكي	عين في السفارة بمصر	عضو في عدة جمعيات علمية امريكية وبريطانية
٤٨	روزين ــ فردريغ Rosen, Fr	١٨٥٦ــ١٩٣٥	ألماني	قنصل في بيروت وبغداد (١٨٩٩) وسفير طهران والقدس (١٨٩٩) وأخرى	له : حياة دبلوماسي و :ايران ارضاً وشعباً
٤٩	روسي Rossi. E	١٨٩٤ــ١٩٥٥	ايطالي	اشترك في الحرب الليبية ١٩١٢	تخصص في الليبيات واليمن وعمل بمجلة الشرق الحديث الايطالية
٥٠	روسو Rosseou,L,J	١٧٨٦ــ١٨٣١	فرنسي	قنصل فرسا في المشرق	له : رحلة من بغداد الى حلب ١٨٠٨ ، وشئون الوهابين ١٨١٨

م	المستشرق	حياته	جنسيته	عمله	أعمال أخرى
٥١	رير ــ اندر Ryer-Ander	١٥٨٠ــ١٦٦٠	فرنسي	قنصل في مصر	له ترجمة القرآن ١٤٤٧
٥٢	سانتلانا Santillana-Dauid	١٨٥٥ــ١٩٣١	ايطالي	السكرتير الدولي لمالية تونس مكلف من ايطاليا وفرنسا بانشاء قوانين	له : الفقه الاسلامي المالكي ومقارنته بالمذهب الشافعي ــ الخلافة استاذ بالجامعة المصرية
٥٣	سايكس ــ بيرسي Sykes Percy	١٨٦٧ــ١٩٤٥	انكليزي	أول قنصل في القرم ــ قائد عام في فارس اشترك في حرب جنوب افريقيا	تاريخ الخلفاء العثمانيين (١٩١٥) ــ عشرة آلاف ميل في فارس (١٩٠٢)
٥٤	سكوراتوفيكس Skuratourcy		بولوني	نائب قنصل بدمشق	له : اصول قواعد العربية ١٩٥٠، ١٩٥١، ١٩٥٢.
٥٥	سوفير Souvair, H	١٨٤٩ــ١٨٩٦	فرنسي	قنصل في سورية	له : مختصر الدارس في أخيار المدارس التعميمي ١٨٩٤ ونشرته مديرية الآثار ت / د / صلاح الدين المنجد
٥٦	سونيك Sonneck. G		فرنسي	استاذ في مدرسة المستعمرات	مدير المدرسة الاسلامية العليا / بقسطنطينة له : نشر الديوان المطرب في أقوال عرب افريقيا والمغرب ١٩٠٢
٥٧	ستورسبينكر ــ الأب	١٧٨٣	سويدي	ترجمان بالسفارة في استبول	راهب ــ معني بالمخطوطات

م	المستشرق	حياته	جنسيته	عمله	أعمال أخرى
٥٨	شاك Schaik-Adolt F	١٨١٥ــ١٨٩٤	ألماني	دبلوماسي في الحكومة الروسية ومن اسرة نبيلة	آثار في العربية والفارسية والسنسكريتية والاسبانية
٥٩	شبرنجر Spenger, A	١٨١٣ــ١٨٩٣	نمساوي متجنس بانكليزية	رئيس الكلية الاسلامية بدلهي	استاذ للغات الشرقية في جامعة برن بسويسرا
٦٠	شيفرشارل Schéfer, Ch	١٨٢٠ــ١٩٨٢	فرنسي	من وزارة الخارجية	اشتهر بأبحاثه الفارسية
٦١	فتشتين Wetzstein-Johamn	١٨١٥ــ١٩٠٥	ألماني	قنصل بدمشق ١٨٤٨ــ١٨٦٢	مختص بالشئون السورية والفلسطينية
٦٢	فران Ferrend, G	١٨٦٤ــ١٩٣٥	فرنسي	وزير مفوض بالشرق	عضو بالجمعية الآسيوية الفرنسية
٦٣	فرموند Wahrmund. A	١٨٢٧ــ١٩١٣	ألماني	معلم للخديوي عباس الثاني وشاه ايران وغيرهما	له : دين بابل ، ودين اليهود ، ودين النصارى ١٨٨٢
٦٤	فرنيل Fresnel, F	١٧٩٥ــ١٨٥٥	فرنسي	قنصل في جدة	عني بعرب الجاهلية تاريخاً وجغرافية ولهجات
٦٥	فيتو Vitto, E	١٨٤٤ــ١٩٠٤	ايطالي	قنصل في بيروت	له : ألفية ابن مالك متناً وترجمة ١٨٩٨
٦٦	فيلبي Philby, H.S.	١٨٨٥ــ١٩٦٠	انكليزي	سياسي خطير في الهند والعراق والأردن والسعودية	استاذ في الجامعة الامريكية ببيروت ١٩٥٧ ــ أشهر اسلامه بالسعودية
٦٧	كاردن Cardin, A		فرنسي	مستشار القنصلية بالاسكندرية ١٨٣٥	ترجم : مظهر التقديس للجبرتي ١٨٣٨

م	المستشرق	حياته	جنسيته	عمله	أعمال أخرى
٦٨	كاسلزكاي هينري Kasliski-H	١٨٢٧ــ١٩٣٠	انكليزي	مراسل جريدة التايمز بمصر	استاذ اللغات الشرقية بمصر
٦٩	كرومر اللورد Cromer		انكليزي	المندوب السامي في مصر	له : مصر الحديثة ١٩٥٨ نقله للعربية عبد العزيز عرابي ١٩٥٥
٧٠	كتنشر ــ اللورد Kitchener. H.H	١٨٥٠ــ١٩١٦	انكليزي	تولى قيادة الحملات الى مصر والسودان ثم جنوب افريقيا (١٨٩٩ ــ ١٩٠٢)	عين رئيس أركان الحرب في الهند (١٩٠٢ ــ٩) ومعتمداً في مصر ــ ووزيراً للحرب في بريطانيا
٧١	كريمر ــ فون .Kremer A,V	١٨٢٨ــ١٨٨٩	نمساوي	قنصل في مصر ثم بيروت	موظف بعدد من الوزارات ومنها الخارجية
٧٢	كلوب باشاجون Glubb jopon	١٨٩٧	انكليزي	عمل بالعراق ١٩٢٠ والأردن برتبه لواء (١٩٣٨ــ٥٦)	له : قصة الفيلق العربي (١٩٤٨) و : جندي مع العرب (١٩٥٧)
٧٣	كولان Colin-Georges	١٨٩٣ــ١٩٧٧	فرنسي	عمل بالجيش الفرنسي في المغرب ومترجم في الاستخبارات	قنصل عام ومستشار بشئون الشرق ، مدير الدراسات بمعهد الدراسات العليا ، المراكشية بالرباط
٧٤	كولومودين Kolomolin-J	١٨٨٤ــ١٩٣٣	سويدي	كاتب بالسفارة باستنبول	له كتب جشية

م	المستشرق	حياته	بلده	عمله	أعمال أخرى
٧٥	كوندة Conde-Jose	١٧٦٥ـــ١٨٢٠	اسباني	سياسي معارض للملك فرنندو	معروف بتزييف الوقائع التاريخية ، عمل سكرتير مكتبة الاسكوريال
٧٦	كي ـــ أرثور Guy-A	١٨٧٤ـــ١٩٢٨	فرنسي	مترجم بسفارات عربية قنصل في حيفا	عضو بالجمعية الاسيوية
٧٧	ليال lyalle-Charles	١٨٤٥ـــ١٩٢٠	انكليزي	مندوب رئيس الولايات المركزية بالهند (١٨٩٥ـــ١٨٩٨)	محقق كتاب : المفضليات في عشر سنوات
٧٨	مارسل Marcel,J,J	١٧٧٦ـــ١٨٥٤	فرنسي	مترجم بحملة نابليون	محاضر اللغات الشرقية في معهد فرنسا
٧٩	مارتينيت ـــ مونتافيت Marting-Montavey	١٩٣٣	اسباني	مدير المركز الثقافي الاسباني بالقاهرة ١٩٥٨ ـــ ٦٢	مدير مجلة الرابطة للمركز الثقافي التي صدرت ١٩٥٨
٨٠	ماسينون ـــ لويس Massinon-L	١٨٨٣ـــ١٩٦٢	فرنسي	مستشار وزارة المستعمرات الفرنسية	مجمعي بدمشق والقاهرة ـــ جامعي بالقاهرة غزير الانتاج وخاصة في التصوف
٨١	ماسة ـــ هنري Masse-H	١٨٨٦ـــ١٩٦٩	فرنسي	مدير المعهد الفرنسي بالقاهرة	استاذ في جامعة الجزائر ـــ عضو في مجمع دمشق
٨٢	مليار Maillard-P	١٨٩٠	فرنسي	قنصل في طنجة	من اعضاء البعثة العلمية الفرنسية الى طنجة

م	المستشرق	حياته	جنسيته	عمله	أعمال أخرى
٨٣	مرسيه Mercier, L	١٨٧٩	فرنسي	ضابط ومترجم ثم وزير مفوض	له : الرباط وطوبغرافية الرباط ، و : أثر لغات البربر والاسبانية في اللهجات العربية المغربية (١٩٠٦)
٨٤	موردتمان ـــ جوهان هنريخ Mordtmain-J.H	١٨٥٢ـــ١٩٣٢	ألماني	قنصل في استنبول	استاذ مساعد في فينا
٨٥	موزيل ـــ الوير . Musil-A	١٨٦٨ـــ١٩٤٤	تشيكي	لواء بالجيش ـــ صحب بعض امراء النمسا	عضو بمجمع دمشق
٨٦	موله Mullet-C	١٧٩٦ـــ١٨٦٩	فرنسي	مترجم بوزارة الخارجية	ترجم التوراة من العربية والعبرية الى التركية في عشر سنوات
٨٧	مولن ـــ فان Meulen-V	١٨٩٤	هولندا	ممثل هولندي في جدة (١٩٢٦ ـــ ٣٢) ثم وزير فيها (١٩٤١ـــ٤٥)	منظم ورئيس الاذاعات العربية في هولندا (١٩٤٨ ـــ ٥٠)
٨٨	موهل ـــ يوليوس Mohl-Julius	١٨٠٠ـــ١٨٧٦	ألماني تجنس با لفرنسية	امين عام الجمعية الاسيوية الفرنسية في ٢٧ سنة وهو يحرر تقريرها السنوي	له : الشاهنامة للشاعر الفارسي الفارسي (١٨٦٦) في ستة مجلدات
٨٩	موير ـــ وليم Muin-william	١٨١٩ـــ١٩٠٥	انكليزي	أمين حكومة الهند (١٨٦٥ـــ٦٨)	رئيس جامعة ادنبرا (١٨٨٥ـــ١٩٠٢)
٩٠	ميلله Millet-R	١٨٤٩	فرنسي	سفير	له : الموحدون ـــ والفيالق الوطنية والفرق الأجنبية (١٩٣٣)

م	المستشرق	حياته	جنسيته	عمله	أعمال أخرى
٩١	نيللينو Nallino-Carlo	١٨٧٢ــ١٩٣٨	ايطالي	استعانت وزارة المستعمرات بمعرفته الدقيقة بأحوال العالم الاسلامي	استاذ تاريخ الفلك في الجامعة المصرية ١٩٠٩ ثم تدريس تاريخ اليمن ١٩٢٨ ثم عضو في المجمع اللغوي ١٩٣٣
٩٢	هابشت Habicht-M	١٧٧٥ــ١٨٣٩	ألماني	مستشار المفوضية البروسية	اهتم باللهجات العامية واتقنها
٩٣	هارتمان مارتين Hartnan. M	١٨٥١ــ١٩١٨	الماني	مستشار القنصلية في بيروت ١٨٧٦ــ٨٧	اقترح انشاء معاهد شرقية في سورية ومصر وتركستان
٩٤	هانز ــ ارنست Honz, E	١٩٢٦	الماني	التحق بوزارة الخارجية ١٩٥٩	له : الوثائق العربية للولاة العثمانيين في مصر ..
٩٥	هاملتون Hamilton, R,A,B		انكليزي	عقيد في الجيش	له : قصة جندي أصبح من رجال السياسة في عدن
٩٦	هربلو Herbelot-Barthelemy	١٦٢٥ــ١٦٩٥	فرنسي	سكرتير مترجم اللغات الشرقية	له : المكتبة الشرقية
٩٧	هورجرونيه ــ سنوك Hurgronje, Snouk	١٨٥٧ــ١٩٣٦	هولندي	اقام ١٧ سنة في جاوة ممثلا لحكومته	زار مكة باسم عبد الغفار (١٨٨٤) وغادرها قبل موسم الحج
٩٨	همر Hammer-Jesef	١٧٧٤ــ١٨٥٦	نمساوي	مستشار وترجمان البلاط الامبراطوري وسياسي في استنبول	رئيس أكاديمية فينا ١٨٤٧

م	المستشرق	حياته	جنسيته	عمله	أعمال أخرى
٩٩	هيار Huart, Cl	١٨٥٤ــ١٩٢٧	فرنسي	قنصل (١٨٩٧) في استنبول ثم قنصل عام	مترجم وأمين سر في وزارة الخارجية الفرنسية ــ مثل فرنسا في مؤتمر المستشرقين بالجزائر (١٩٠٥)
١٠٠	هيليلسون Hillilson, S		انكليزي	مدير فرقة انكليزية في الشرق الأوسط قصد السودان ١٩١١	محاضر للتاريخ بكلية غوردان
١٠١	ويلسون أرنولدتالبوت Wilson, Arnold, Talbot	١٨٨٤ــ١٩٤٠	انكليزي	التحق ١٩٠٣ بجيش الهند ثم نقل الى القسم السياسي في الهند ١٩٠٩ ثم القوات الهندية التي حاربت في العراق (١٩١٤ ــ ١٦) مستشار سياسي في الخليج	له : ١٩٢٨ الخليج الفارسي ، مابين النهرين

دراسة وتعقيب :

إن الجدول يضع أيدينا على حقائق مذهلة تكشف عن الشخصيات والحكومات والأعمال والآثار المرصودة استعمارياً والمنفذة استشراقياً ، كما ينبه إلى اعتبار الجانب السياسي والعسكري في العمل الاستشراقي وجهات مقصودة للنشاط الفكري لدي سياسة المستشرقين وحكوماتهم .

وهي وجهات كانت غائبة في مشكلات البحث الاستشراقي التي يحاولون فيها إظهار الموضوعية ، والكشف عن الحقائق الفكرية المجردة ، ويوهمون الفكر الانساني بتجردهم في الموضوعات المعالجة .

ويمكن إبراز بعض النتائج المستوحاة كما يلي :

١ ــ طغيان الفكر الاستعماري والنفوذي علي السياسة الغربية والأمريكية ، بدءاً من القرن التاسع عشر وحتى اليوم ، فقد اشتركت معظم الدول الأوربية في إرسال الأدمغة الفكرية والاختصاصات الاستشراقية الى العالم العربي الإسلامي لإبقائه ضمن السيطرة الأجنبية أرضاً وإنساناً وفكراً وعملاً .

ولاريب أن النزعة الإمبراطورية التوسعية كانت تستحوذ على الحكومات الغربية حتى جنّدت لها أعلى الطاقات الفكرية ، ودفعت بها خارج بلادها تستغل الرهبنة والاستشراق لخدمة مصالحها الاستعمارية الواسعة ، ومثل هذه النزعة أو الروح السائدة ازدراء بالعلم وأهله أكثر منه كسب للمنافع القومية والاقليمية التي حرص عليها الغربيون .

٢ ــ يبرز الاستشراق السياسي الفرنسي بعدد أوفر من سواه ، ويتبعه الاستشراق السياسي الانكليزي ، ويقل المستشرقون الآخرون من الدول الأوربية والأمريكية المختلفة .
فقد بلغ الفرنسيون قريباً من النصف أي حوالي ثلاثين شخصية ، ونصفهم من الانكليز ، ثم خمس شخصيات من الألمان . أما الأمريكيون والسويد والنمسا فكان نصيب كل دولة ثلاث شخصيات بينما وظفت كل من إيطاليا وإسبانيا وبولونيا وهولندا مستشرقين ، واكتفت بلجيكا وتشيكوسلوفاكيا بشخصية واحدة لكل واحدة منهما . والإحصاء السابق وإن كان أقرب إلى الدقة ، وأوفى بالعدد ، فان الدولة المكثرة والمقلّة تشتركان في القناعة السياسية بتسخير الفكر الاستشراقي وفق النزعة السياسية الاستعمارية ، ومن ثم العمل على الإفادة من تخصصات المستشرقين في هذه الوجهة الخاصة .

وبالإضافة لما سبق فإن عدداً من المستشرقين السياسيين في الجدول كان نشاطهم الإستعماري ضمن بلادهم ، وقريباً من حكوماتهم التي لم يبرحوها مع مالهم من نشاطات استشراقية فكرية .

٣ ــ ويوضح الجدول الاتجاه العام للنفوذ الامريكي في الأقطار العربية والإسلامية جميعها ، سوى ماأستأثر به **السوفييت** لأنفسهم ، وهو نفوذ يقوى في مصر والخليج العربي بينما اتجهت الدول الأخرى إلى استعمار إقليمي محدد .

فقد توسعت السياسة الاستعمارية الفرنسية بنشر مستشرقيها في المغرب العربي وسورية ولبنان ومصر ، بعد أن عملت شركاتها على توسيع تجاراتها في الهند الفرنسية وغيرها من أقطار الشرق الأقصى .

وكذلك فقد كانت هولندا في الهند وأندونيسيا ، تحاول السيطرة اقتصاديا وفكريا وتتنازع مع إنكلترا هذه السيطرة .

وكان إخفاق السياسة الاستعمارية الإنكليزية في الشرق الأقصى أعظم دافع لها أن تولي اهتماماتها الاستعمارية إلى الشرق الأدنى في مصر والعراق وفلسطين وشرقي الأردن وسورية ، حتى أجازت لنفسها أن تقدم رجالها ومستشرقيها إلى الإمبراطورية الانكليزية المترامية الأطراف .

٤ ـــ وينبه الجدول السابق إلى قيام مستشرقين بأعمال فكرية أخرى لايظهر فيها الاتجاه الاستعماري بشكل واضح ومباشر ، مثل قيامه بعضوية مجمع أو أكثر من المجامع العربية ، أو تسلّمه عمادة كلية أو جامعة ، أو ممارسته التدريس في فرع له صلته بالتاريخ والإسلاميات وحاضر العالم الإسلامي ، مثل (آبل) الامريكي المحاضر في الجامعة المصرية ، و(أدواربراون) الإنكليزي المجمعي بدمشق ، والمحاضر بالفارسية في كمبرج ، و(بروفنسال) الفرنسي استاذ العربية والحضارة الإسلامية ، و(جب) الانكليزي المجمعي بدمشق والقاهرة ... ولكن مستشرقين آخرين ينتظمون في أعمال لها صلاتها الاستعمارية المباشرة والواضحة مثل : وزارة الأنباء ، والعمل على تنظيم البرامج العربية ، والخدمة بالجيش الأجنبي ، مثل : (آربري) الانكليزي ، وزير الأنباء ، و (بورجستال) النمساوي مستشار في باريس ، و(دلايفر) الفرنسي الملتحق بالجيش الفرنسي ، و(كلوب باشا) الإنكليزي لواء في الجيش الأردني ، و(مولن) الهولندي رئيس الإذاعات العربية في هولندا ..

٥ ـــ ويتبع هذا أن معظم الآثار الاستشراقية الفكرية التي عملوها كانت ذات شقين : أحدهما آثار فكرية تبدو بعيدة الصلة عن الاتجاه السياسي المباشر مثل : ترجمة الأحكام السلطانية للكونت (اوستروردج) ، والمعجم العلمي العربي الفرنسي

لـ (بوسيه) ، وتاريخ شرق الأردن وقبائله (فريدريك بيك) ، ومصر الحديثة للورد (كرومر) ، ولكنها في معظمها ضمن الاتجاه السياسي غير المباشر ...

وثانيهما : دراسات مستفيضة أو مقتضبة ذات صلات واضحة ومكشوفة بالاستعمار وسياسته ، ومنها : مصر وقناة السويس لـ (بارتيلمي) ، ومراسلات ولاة الجزائر مع بلاط فرنسا (بلانتيه) ، والسلطنة العثمانية (دوهسون) ، والخليج الفارسي (ويلسون) ... وغيرها كثير .

٦ ـــ بعض المستشرقين تعمّقوا بصلاتهم الشخصية والرسمية في أجهزة الحكومات الإسلامية أو مؤسساتها التربوية ، فقد كان (براون أدوار) مستشاراً في دولة إيران لوضع دستور البلاد ، كما كان (فيلبي) مستشاراً خطيراً في العراق والسعودية ، و(توماس) مستشار الحكومة العراقية ، ومستشاراً ماليا في مسقط ، وعمل بجيش العراق والمكتب السياسي مع (ويلسون) ، وكان (كتنشر) رئيس اركان الحرب في الهند ومعتمداً في مصر ، ووزير الحرب في بريطانيا و(جاك بيريك) البلجيكي معيداً بجامعة القاهرة وعضواً في مجامع كثيرة .

أما في المؤسّسات الثقافية والتربوية فيمكن أن نذكر على سبيل المثال (مارتينيت) الإسباني الذي كان مدير المركز الثقافي الإسباني بالقاهرة ، و(سونيك) الفرنسي مدير المدرسة الإسلامية العليا بقسطنطينة ، وهو أستاذ في مدرسة المستعمرات الفرنسية ، و(شبرنجر) النمساوي الإنكليزي رئيس الكلية الإسلامية بدلهي .

ولا ننسى المستشار الفرنسي الأكبر (ماسنيون) وعلاقاته الوطيدة بشخصيات مغربية وتونسية ، كما لاننسى (فرمونه) الألماني معلم الخديوي عباس الثاني شاه إيران ، وغيرهما .

٧ ـــ وكنتيجة عامة : فإن دراسة الجدول السابق توضح وجهة المستشرقين في أعمالهم الفكرية باعثاً وغرضاً ، وهي من غير شك وجهة مشبوهة ومطعون بها لامن حيث توجيه الحكومات الاستعمارية لدراساتهم ورحلاتهم وإقاماتهم في بلاد عربية

وإسلامية وحسب ، وإنما من حيث أفكارهم وشبهاتهم وافتراءاتهم المطروحة في ميدان الفكر والثقافة الإنسانيين .

وهي إذ تنافي المنهجية الموضوعية ــ فإنها تحاول غزوه فكرياً من أجل استغلال الطاقات البشرية والمادية ، وتشتيت البلاد العربية والإسلامية على أيدي الاستعمار الغربي والأمريكي ، ومن ثم العمل على تكريس التخلف المدني والاجتماعي والحضاري عن مواكبه النهضة الصناعية والتقدم التقني .

وإذا نجح الاستشراق في خدمة السياسة الاستعمارية الرسمية فإن استقلال معظم أجزاء العالم الإسلامي سياسياً يدفع بها الى أن تستفيد من صحوتها وتعي أوضاعها وعلاقاتها مع الدول الغربية والشرقية ، فتقيم الحواجز على الأفكار الوافدة وتحصن حياتها متحررة من النفوذ الاستشراقي الاستعماري الذي ماتزال أفكاره في المنشورات والمطبوعات يتداولها المسلمون وغير المسلمين .

ونجاح الاستشراق الذي يشمل اليهودي منه والمسيحي يعنى تلاحم الصلات بين هذين النوعين بقدر مايعني إبراز الآثار السياسية السيئة لهما ضمن خدمة الاتجاه السياسي الاستعماري عبر التاريخ .

بقول (الطيباوي) : « وبينما نجد هناك علاقات اتصال عضوي Organic Reltionship مسلم به بين اليهود والمسيحية فإنه ليس من المسلم به أو المدعّم بالبرهان العلمي وجود أي علاقة اتصال ... بين أيهما وبين الإسلام . وإنما نجم العداء اليهودي أو المسيحي للإسلام من صراع سياسي وعقائدي على مدار التاريخ ... ولابد أن يتقبّل المستشرقون نصيباً من المسئولية عن استدامة هذه الحالة المحزنة للأمور » .

على أنه ينبغي ألّا تتأثر الأعمال السياسية الاستشراقية بإظهار القرآن حقائق الطبيعة اليهودية والانحرافات الكنسية ، لأن القرآن نفسه الى جانب نعيه مواقف هؤلاء وهؤلاء من الدين الصحيح يعدّهم من الكتابين الذين يعاملون بأكرم مزايا الأقليات الدينية في إطار التسامح القرآني الرحب .

٨ ــ وإذا طوت النتيجة العامة أبعاداً فكرية عدائية وأعمالا جاسوسية خطيرة فإن مما لايمكن أن يخطر بالبال أن تطغى أبعاد الخيانة وأعمال العنصرية على كل من (بالمر) الإنكليزي (كراوس) التشيكي الصهيوني ، و(اشتيشيدر) النمساوي الصهيوني .

ومهما تكن مصائر القوم بأيدي العرب الشرفاء أو بأيديهم فإن وصمة عار كبرى في العمل الاستشراقي أن يجنّد الفكر والعلم والإنتاج البحثي لا في خدمة السياسات الاستعمارية فحسب وإنما في خدمة المواجهات الفكرية والعسكرية ضد الفكر الإسلامي والعسكرية العربية .

لقد قتل (بالمر) وانتحر (كراوس) وطرد (فيلبي) من السعودية وأبعد (كلوب) عن الأردن ، وقتل (غوردون) بالسودان ، وحصل لأمثالهم من المستشرقين مثل ما وقع لهؤلاء ، فنالوا حظوة في بلادهم وبين أقوامهم ، واكتسبوا أمجاداً عسكرية وسياسية في التاريخ الاستعماري ، فهل استطاعوا بذلك أن يخدموا بلادهم وأفكارهم حقيقة بالأدوار التي لعبوها على الساحات السياسية والفكرية ؟ وهل تعدّ مثل أعمالهم لبناتٍ في البناء الحضاري الفكري مهما تقدّمت هذه الأعمال في ميادين البحث والدراسة ؟

إن ماقام به بعض المستشرقين السياسين من خدمات استشارية ورحلات استكشافية ودراسات طوبغرافية ، ثم من إنتاج فكري لجميع هذه النشاطات باسم العلم والبحث خليق أن يعاد النظر فيه لامن حيث الأبعاد السياسية الاستعمارية وحسب وإنما من الناحية الفكرية والعلمية والبحيثة أيضاً .

من مراجع وتعليقات البحث :

(١) المستشرقون : د / نجيب عفيفي ١ / ٩٨ .

(٢) السابق : ١ / ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ .

(٣) انظر شبهته في مشروعية الحج في موسوعة المستشرقين د / عبد الرحمن بدوي ص ١٨٢ وقارن بمقال للمؤلف لي : التضامن الاسلامي (مجلة) الجزء العاشر ربيع الثاني ١٣٩٩هـ .

(٤) المستشرقون ٢ / ٤٣٨ .

(٥) أضواء على الاستشراق د / محمد عبد الفتاح عليان ص ٢٨ .

(٦) المستشرقون ٢ / ٦٢٤ .

(٧) السابق ٣ / ٩٢١ .

(٨) السابق ٣ / ٩٨١ .

(٩) السابق ٣ / ٩٨٦ . وانظر : التبشير والاستعمار : د / عمر فروخ ومصطفى الخالدي من ص ٩٠ .

(١٠) كتابه : أضواء على استشراق من ص ٢٥ ــ ٢٧ .

(١١) السابق عن : ابراهيم خليل ص ٧٩ .

(١٢) انظر موقفه من الفلسفة العربية في التبشير والاستعمار ، السابق ص ٢١٨ .

(١٣) المستشرقون ١ / ٢٠٤ .

(١٤) السابق ١ / ٢٠٥ هامش .

(١٥) الاستشراق والمستشرقون : د / عدنان وزان ص ١٧٢ .

(١٦) التراجم في جميع الموضوعات من : المستشرقون السابق ، والأعلام : الزركلي . والمبشرون والمستشرقون د / محمد البهي ، وموسوعة المستشرقين د / عبد الرحمن بدوي ، الاستعراب في الاتحاد السوفيتي : المعصراني ، والدراسات العربية الإسلامية في الجامعات الألمانية : روي بارث ، ترجمة د / مصطفي ماهر ، مجلات المجمع العلمي العربي بدمشق الأعداد : ١ / ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، و٢ / ٩٣ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، و ٢٨ / ٦٤٥ ،

وتاريخ المجمع العلمي العربي : احمد الفتيح ، ومجلة المجمع اللغوي المصري : الأعداد : ٣ ، ٨ ، ١١ ، ١٤ ، ومجلة المشرق : ٣٣ / ٧٢٤ ، وتاريخ آداب العربية : جرجي زيدان ، والموسوعة العربية الميسرة ...

(١٧) ذكرت آثاره في (المستشرقون) في سبع صفحات .

(١٨) المستشرقون ، السابق معجماً ودارسة ٣ / ٩٨٠ .

(١٩) انظر المبشرون والمستشرقون ص ١٣ ، ١٤ .

(٢٠) وانظر ١ / ٣٤٧ و ٢ / ١٤٧ و ٢١٢ و ٣١٥ حاشية . وقد يفيد في الموضوع عموماً : علماء أجانب في خدمة الثقافة العربية من ص ٢١ د / جمال الدين الرمادي و : أحداث وأعلام ، الجزء الثاني ، والفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار ص ٢٣ ــ ٢٨ والتبشير الاستعمار السابق : ٢٦٠ ، ٤٤ ، ٥٠ ، والفصول الخامس والسادس والسابع .

(٢١) في كتاب الدراسات العربية والاسلامية في الجامعات الألمانية ص ٣١ .

(٢٢) السابق : ٣٨ .

(٢٣) ص ٣٠ ، ٣١ .

(٢٤) مناهج المستشرقين : مقال د / عماد خليل ١ / ١٣٣ ، وانظر كلام (دينيه) في كتابي : الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين ط ٢ مقدمة ص ٣ ــ ٤ .

(٢٥) معجم المستشرقين د / البدوي .

(٢٦) مناهج المستشرقين ١ / ٣٨٩ .

(٢٧) ص ٣٠ ــ ٣١ من كتاب بارث .

(٢٨) معجم المستشرقين السابق .

(٢٩) د / البهي في : المبشرون المستشرقون .

(٣٠) مناهج المستشرقين ١ / ٢٣ .

(٣١) السابق : ١ / ٣٥٣ .

(٣٢) السابق ١ / ٦٧ .

(٣٣) في كتابه السابق ص ٣٠ — ٣١ .

(٣٤) مناهج المستشرقين ٢ / ٨٨ .

(٣٥) مقتبس من كتابه : أيام فيلبي في العراق ترجمة وتعليق جعفر خياط دار الكشاف ١٣٦٩ / ١٩٥٠ .

(٣٦) السابق ص ٢٠ .

(٣٧) السابق ص ٣١ .

(٣٨) انظر تفصيل ترجمته في الموسوعة العربية الميسرة ، والمستشرقون د / عقيقي .

(٣٨) كتاب أيام فيلبي في العراق ص ٣٠ .

(٣٩) السابق ص ٤٣ .

(٤٠) المستشرقون ٢ / ٥٠٣ .

(٤١) كتاب أيام فيلبي في العراق ص ١٧ ، ٤٣ .

(٤٢) المستشرقون السابق .

(٤٣) تعليق الخياط ص ١٧ على كتاب فيلبي .

(٤٤) السابق ص ٢٠ .

(٤٥) المستشرقون ٢ / ٥٢١ .

(٤٦) من كتاب : أيام عربية (١٩٤٨) والمقتطفات السابقة من مقدمة المترجم (الخياط) ١٣ ، ١٤ .

ثانياً

مستشـرقون جامعيون

إن الزحف الاستشراقي على الثقافة العربية والإسلامية ومؤسساتها العليا ربط جوانب من هذه الثقافة بأفكار وقيم دخيلة تتبعها مفكرون مسلمون ، كما كان تغلغل المستشرقين في المؤسسات العربية الاسلامية العلمية والتعليمية ونفوذ سلطانهم الفكري عليها وعلى أهلها قد حمل آثاراً سلبية وأكثر خطورة تدميراً للقيم والمبادىء والأصالة التي أقيمت عليها هذه المؤسسات .

ذلك لأن المتخرجين من هذه المؤسسات والمحتضنين لأعمالها في التحام فكري مستمر بينهم وبين العناصر الاستشراقية الأجنبية ، ومن ثم فإن القيادة الفكرية والسياسية والأدبية والعلمية والاجتماعية التي تتلمذت على الأفكار المغربة والمبادىء المستعربة ستبني اتجاهها الفكري والسياسي والعلمي على أسس الاستعراب الذي يعدّ في معظم جوانبه استعماراً فكرياً دائب الغزو والاجتياح .

وقد أجملتْ كتابات عربية بعض النشاطات الاستشراقية فعرفت (المؤسسات الرسمية — وفي بعضها نفر من أولئك الناقدين ، للمستشرقين فضلهم ، واستعانت بهم في مكتباتها ، مثل سترن ، وشبيتا ، وفوللرس ، وموريتس ، وشاده ، في دار الكتب المصرية ، وفي متاحفها : الفرنسيون في المتحف المصري منذ إنشائه حتى عام ١٩٥٣ ، وفييت في دار الآثار العربية ، وفي معاهدها : الإيطاليون والفرنسيون والبلجيكيون والأسبان والألمان والانجليز وسواهم في الجامعة المصرية ، ثم في غيرها ، وفي مجامعها : خمسة أعضاء في المجمع اللغوي بمصر عند تأسيسه ، وكثير في المجمع العلمي العربي بدمشق ..)[1] .

ويبدو أن الجامعات العربية استوفت معظم المستشرقين في تدريس طلابنا وبخاصة عقب إنشاء هذه الجامعات وأثناء نشاطها الجامعي الذي حاول التعرف والاقتباس من مناهج ومعارف أعلامهم .

وفي معظم الأحيان تطبق معاهدات ثقافية بين البلاد العربية والإسلامية وبين البلاد الغربية ، ويوفد تنفيذا لها شخصيات معروفة بولائها الفكري الاستعماري ، وبقدرتها على تخصصاتها الفكرية وباحتضانها أفكاراً وشبهات معينة تحاول طرحها في المحاضرات كتابة أو القاءً .

والدولة الغربية التي تبعث بالفكر والعلم والتجربة الانسانية لاتنفّذ في الحقيقة بنوداً من المعاهدات الثقافية المبرمة وحسب وإنما تسير وفق مخططها الاستعماري في إرساء النفوذ الأجنبي وإبقاء الانسان العربي خاضعاً للفكر الأجنبي وسياسته الغازية .

أولاً ــ في المغرب العربي :

فقد انتدبت الدولة الفرنسية (شربونو) J. Aug. Cherbnneau (١٨١٣ ــ ١٨٨٢) لتنظيم مدارسها في (الجزائر) ، فاهتمّ بالأمر اهتماماً عظيماً وعلم في (قسطنطينة) مدة وكان ينشّط الطلبة على درس آداب العرب وآثارهم ... ونشر مقالات متعددة في شعراء العرب وكتبتهم ، ونقل إلى الفرنسية عدة تآليف قديمة منها : رحل وتواريخ ، وقصص ، كرحلة (العبدري) ، وتاريخ (ابن حمّاد) وكان مغرما بتاريخ المغرب والجزائر ، وله في ذلك عدة آثار ، وفي آخر حياته ، استدعته الحكومة لتدريس العربية في مدرسة اللغات الشرقية بباريس[٢] .

وفي الجزائر أيضاً قام (بليته) Peltier, Fr بتدريس الحقوق في كليتها ، إلى جانب ماأنتجه من الآثار العربية الاسلامية ، فقد ترجم من صحيح البخاري : الوصايا (الجزائر ١٩٠٩) ، وكتاب البيوع والسلم والخيار (١٩١٠) ، وكتاب البيوت من الموطأ للامام مالك (١٩١١) ...[٣] .

وواضح أن ترجمة مثل هذه الأبواب من صحيح البخاري يقصد منه الفقه المقارن وبموازنته بالفقه الروماني والفرنسي .

وقد ينتقل الأستاذ أثناء عمله إلى مهمة أخرى لها صلة وثيقة بالتدريس لتحقيق مكاسب استعمارية أكبر حجماً وأعظم وزراً ، فالمستشرق (هوداس) Houdas, O

(١٨٤٠ ـــ ١٩١٦) عينته فرنسا أستاذ العربية في الجزائر ثم أصبح مفتشاً عاماً للتعليم فيها ، وقد صنّف عدة كتب لتدريس العربية ثم انصرف إلى دراسة المغرب الأقصى والتاريخ الحديث للمغرب ... ثم أضحى في اللجنة التاريخية بقسم تاريخ المغرب ، وعمل على ترجمة (٦٤) سورة من القرآن الى جانب أعماله في الفقه المالكي والتاريخ المغربي الحديث ، وطرف مغربية (وهي مختارات من الأدب المغربي) (ذيّلها بمعجم لتفسير ألفاظها (باريس ١٨٩١) كما ترجم جزءاً من صحيح البخاري ، بالإضافة الى كتاباته عن (تونس) مثل : رحلة علمية الى تونس ، في جزئين ، وثلاث كتابات في مجلة الآثار (١٩١١) .

ويشبهه (ديما) Dumas, C الذي عينته الحكومة الفرنسية أحد مفتشيها في مدارس الجزائر . وكثيرون عينوا في مناصب إدارية فنية وتدريسية مثل (درمنغم) مدير مكتبة الجزائر و(بروفنسال) مدير معهد الدراسات العليا المغربية بالرباط .

وتلمع أسماء جامعية كثيرة مثل : (ماسة) و(كانار) و(بيريس) و(إيفر) و(بوسكة) و(ريكار) وغيرهم .

ويعد (رينه باسيه) Basset, René (١٨٥٥ ـــ ١٩٢٤) في طليعة محرري المجلة الإفريقية ونشر الآثار الإفريقية ووجد من وقته متسعاً للتطواف فقدم الى (تونس) منقباً عن الآثار الاسلامية والمخطوطات العربية ورأس مؤتمر المستشرقين في الجزائر (١٩٠٥) ، وعرفت له وزارة الخارجية فضله فعينته قنصلاً في الجزائر ولكنه آثر التدريس ، ولما حوِّلت مدرسة الجزائر الى كلية (١٩٠٩) انتخب عميداً لها ، وانتخب من مديري دائرة المعارف الاسلامية ، وعضواً في مجامع علمية كثيرة في : باريس ، ولشبونة ، ومدريد وروما ، ودمشق .. فقد جمع التدريس الى التحرير والتأليف والعضوية العاملة والفخرية في عواصم مختلفة .

وفي (المغرب) كان (هنري باسه) Basset, H (١٨٩٣ ـــ ١٩٢٦) ابن (رينه) السابق من أكثر المستشرقين الفرنسيين اهتماماً وعناية ، وذلك بعد أن عين مديراً لمعهد الدراسات العليا في الرباط ، وعمل : تاريخ آداب قبائل البربر (الجزائر

١٩٢٠) ، والتأثيرات الفينيقية لدى البربر ، وغيرها ...

ولا ريب أن مثل هذه الآثار الفكرية تقصد الى ايقاع الخلاف بين العرب والمسلمين البربر في المغرب أكثر مماترمي اليه من دراسات لغوية واجتماعية وإسلامية ، فإنها تبرز حضارة إقليمية نوعية متفوقة على الحضارة العربية وتصل حضارتها بحضارة دول البحر المتوسط التي يعنى باظهارها بعض المستشرقين والمستغربين على السواء .

كما كان (دي سنغال) Cenival, P,de (١٨٨٨ — ١٩٣٧) من أبرز المستشرقين الذين تسلموا وظيفة مدير المحفوظات في المغرب وقد تعاون مع (دي كاستري) على إصدار مجموعة بعنوان : مصادر غير منشورة عن تاريخ المغرب (باريس ١٩٠٥) ، وقد استغل منصبه فعمل : المصنفات العامة في المغرب ، (معهد الدراسات المغربية العليا ١٩٢٠) ، والكنيسة المسيحية بالمغرب في القرن الثالث عشر (١٩٢٧) ، وزاوية البرادعة (١٩٢٣) ، وعلاقات فرنسا التجارية بالمغرب في القرن الخامس عشر ....

وهذه الآثار المتنوعة والمغرضة في اللغة والتاريخ والدين لابد من أن يعتمد عليها المحاضرون والمتخصصون .

وقريب منه (كايه) Caille,J الذي عين مديراً لمعهد الدراسات العليا في الرباط قبل عام ١٩٤٩ حيث قدم كتابات عن : فرنسا والمغرب (١٨٤٩) ، وسفراء فرنسا ومبعوثوها وممثلوها في المغرب (١٩٥١)[٥] .... فقد أهّلته دراسته في الحقوق والآداب لمثل هذه الدراسات المتنوعة .

وربما كان (بلاشير) Blacher,R,L (المولود عام ١٩٠٠) من أشهر المحاضرين في معهد مولاي يوسف بالرباط ، ثم انتدب سنة ١٩٢٤ مديراً لمعهد الدراسات المغربية العليا بالرباط وكانت له سمعته العربية والفرنسية . وسنعود إلى إبراز شيء من آثاره فيما بعد .

وإذا كان عدد المستشرقين في المغرب العربي أقل من الجزائر وفق السياسة

الاستعمارية الفرنسية فإن عددهم في تونس يقل عما كان في المغرب أيضاً .

على أنه لابد من أن ننوه ببعض الأعمال الاستشراقية الجامعية وغيرها التي تنال حظاً وافياً من جهود المستشرقين الفكرية في الجزائر والمغرب وتونس جميعها ثم ترحال بعضهم بين أرجاء هذه الدول طلباً للمعرفة واستزادة من المصادر ، وقد مر معنا بعض الشخصيات التي تناولت الاصقاع المغربية جميعاً بالبحث والدراسة .

وعلى كل حال فإن من الشخصيات الجامعية في (تونس) (ليون بيرشه) Bercher,L. (١٨٨٩ ــ ١٩٥٥) الذي كان يجمع بين الوظيفة العسكرية والإدارية حيث كان ضابطاً ومدير معهد الدراسات العليا (١٩٥٠) ومن آثاره : ترجمة كتاب : الإسلام وأصول الحكم : على عبد الرازق (١٩٣٣ ــ ٣٤) ، وتحليل فتوى كبار علماء الأزهر في هذا الكتاب ، ومقتطفات من كبار : احياء علوم الدين للغزالي (١٩٥٣) ومقتطفات من كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، له أيضاً . وترجمات أخرى مثل : التحفة لابن عاصم في الفقه المالكي ، ونهضة الاسلام : لآدم متس ...

وشخصية أخرى أغنى بالمعرفة العربية واللغات الأخرى والعلوم الاسلامية هو (وليم مارسه) Mareais,W (١٨٧٤ ــ ١٩٥٦) حيث كان ينتقل من الجزائر إلى تونس والمغرب ــ ويتردد على علمائها ومدارسها ، وحين أصبح استاذاً في الدراسات العليا وبمعهد فرنسا في باريس لم يقطع صلته بتونس ، بل طفق يتردد عليها أسابيع كل سنة ، لالقاء دروس بالعربية وأصبح مديراً للمدرسة العليا في الجزائر ، وقد مثّل الدراسات العربية والعلوم الإسلامية في مجمع الكتابات والآداب خير تمثيل ، وكان يقول : إن القرآن ليس بشعر ولا نثر وأنه فنّ **قائم** بذاته ، وأن المسلمين ينظرون اليه نظرة مقدسة فلا يقلدونه وبقي القرآن خاليا عن التأثير في الادب العربي ...(٤) .

ومن آثاره : ترجمة أحاديث البخاري في ٤ أجزاء .. و : كيف استعرب شمالي إفريقيا ، إلى جانب تصنيفاته اللغوية مثل : المعجم وهو قاموس كبير جمع

فيه اللهجات المغربية ونصوصها وأصواتها ، وكذلك : التعليق على لغة تاكرونة ، ومؤلفات وترجمات أخرى لها صلة بالأدب العربي والتعريب والإسلام ، وشيء من تراجم المستشرقين .

وأخيراً : (ادولف فور) Faure,A الذي عرف أنه من اساتذة معهد الآداب العربية ، كما عرف ببعض ترجماته مثل : محمد بن محمد الموقت المراكشي ، والتشوق الى رجال التصوف للشاذي في ٥٥٢ صفحة (الرباط ١٩٨٥) .

وهناك موظفون مستشرقون في حقل التعليم أو اداراته مثل (روا) Roy,B الذي عمل أعمالاً عن تونس مثل : وثيقتان غير منشورتين عن حملة الجزائريين على تونس (١٩١٧) ، وكتابات عربية في (موناستير) (١٩٢٨) ، وكتابتان على قبور (القيروان) من القرن السادس عشر (١٩٣٢) ...

ومثل (ماشويل) Machuel,L (المتوفى ١٩٢٢) الذي كان مديراً لمدرسة تونس وأستاذ العربية فيها ، وله من الآثار : معجم فرنسي (١٨٧٧) ، والتعليم العام في إيالة تونس (باريس ١٨٨٩) ، ولهجات العامة في تونس والمغرب ورواياتها الفكاهية ، ونبذة عن إصلاح الكتابة العربية (١٩١٣) .

ونماذج من الشخصيات والأعمال الأخرى تقنع الباحثين بأن الإنتاج الاستشراقي الفكري كان وسيلة هامة يعتمد عليها من وسائل الغزو الاستعماري في مختلف المجالات الفكرية والشرعية واللغوية والاجتماعية والتاريخية ، وأن الجهود الغازية قد سخرت تماماً لحمل الإنسان العربي المسلم في أصقاع المغرب جمعية على (التغريب) الفكري بوجه عام ، وعلى (الفرنسة) الاستعمارية بوجه خاص .

ولا غرو فإن آثار التغريب والفرنسة ومظاهرهما ماثلة للعيان في التعليم ومؤسساته وفي كثير من المرافق العامة ونواحي الثقافة والاجتماع ، وذلك على الرغم من حركة التعريب والعودة إلى الأصالة العربية والإسلامية على المستويين الرسمي والشعبي .

ثانياً — في المشرق العربي :

وهناتتعدّد مصادر الفكر الاستشراقي وتتنوع نشاطاته حسب البلد الغربي الوافد منه ، وذلك ضمن إطار النفوذ الأجنبي على البلد العربي المسلم الوافد إليه .

ومعروف أن (فرنسة) دفعت بعدد كبير من الأدمغة الاستشراقية الى سورية ولبنان ومصر ، في الوقت الذي دفعت إنكلترا رجالها ومفكريها إلى فلسطين وشرقي الأردن والعراق إبان احتلالها .

وأحياناً كان البلد العربي الواحد يستقبل راضياً أو مرغماً شخصيات متعددة فرنسية وانكليزية وايطالية ومجرية ... متزامنة مع الفترات الاستعمارية التي كانت تستوعب أكثر من أقليم أو أمة ، كما حدث في كل من مصر وسورية إبان الاحتلال الانجليزي والفرنسي .

١ — مصر والمستشرقون :

ولاريب أن في طليعة البلاد العربية وفرة في استقبال المستشرقين مصر ، وبخاصة في الجامعة المصرية المعروفة حينذاك .

وكان الدكتور « طه حسين » يمتدح اتجاه الجامعة في تدريس الأدب العربي على الطريقة الاستشراقية الحديثة فيقول : إنه كان لسنة ١٩١٥ في مصر مذهبان . أحدهما مذهب القدماء ، والآخر مذهب الأوربيين ، استحدثته الجامعة المصرية بفضل الاستاذ (نيلّنو) ومن زامله وخلفه من المستشرقين مثل (جويدي) و(فييت) ، وقد عهدت اليهم بدرس تاريخ الأدب فدرسوه بمناهجهم الحديثة ، فعلموا الطلاب كيف يبحثون ... ثم يقول : وكيف نتصور أستاذاً للأدب العربي لايلمّ ولا ينتظر أن يلمّ بما انتهى اليه الفرنج من النتائج العلمية المختلفة حين درسوا تاريخ الشرق وأدبه ولغاته المختلفة ، وإنما يلتمس العلم الآن عند هؤلاء الناس ، ولابد من التماسه عندهم حتى يتاح لنا نحن أن ننهض على أقدامنا ، ونطير بأجنحتنا ، ونسترد ماغلبنا عليه هؤلاء الناس من علومنا وتاريخنا وآدابنا ...[٥] .

وليس من الاستطراد أن نشير الى أنه لامانع أن يتعلم الجامعيون المناهج

الحديثة ، ولكن نتساءل : ألا يجدر بطالب الأدب العربي أن يدرس المناهج القديمة أولاً ، وذلك لتساعده على فهم أدبهم الأدب القديم ؟ وإذا كاد للأدب العربي خصائص كأي أدب آخر فهل يصح عرض مناهج غيره عليه مادام الاختلاف واضحاً في المنطلق والطبيعة والغرض ؟

وهل يصح للباحثين الجامعيين أن يستسلموا لما (انتهى اليه الفرنج من النتائج العلمية المختلفة) (فيلموا بها وبخاصة في دراساتهم لتاريخ الشرق وأدبه ولغاته) ؟

ومتى كانَ العلم ــ إن سمينا تاريخ الأدب علماً ــ (يلتمس عند هؤلاء الناس) وهم متعارضون فيما بينهم أحياناً ؟

أقول : ليس هذا استطراداً ولكنه بيان للون من ألوان التبعية الفكرية المغربة التي يعتز . بها تلاميذ المستشرقين من عمالقة الفكر والأدب المستغربين .

وربما ظن الظانّ أن المستشرقين كانوا يقتصرون على تدريس مناهج الأدب العربي كما تفيده العبارة السابقة ، ولكن المحاضرات كانت (تلقي في الأدب والتاريخ والفلسفة يلقيها أساتذة مصريون وأوربيون من المستشرقين أمثال جويدي ونالينو)[٦] .

وسنعرض فيما بعد ، شيئاً من آرائهم ومواقفهم ، وآراء ومواقف الآخرين .

أ ــ مستشرقون متقدمون :

ولكن الباحثين يعوّلون على الحملة الفرنسية الأولى بقيادة نابليون بونابرت (١٧٩٨ ــ ١٨٠١) فإنها (كانت مجهزة بالآثريين والأطباء والمؤرخين والمستشرقين والمترجمين اللبنانيين والسوريين ...)[٧] .

ويذكرون أهميتها في الاجتياح العسكري والزحف الفكري الذي أعدّ له وسائله المادية من المطابع والنشرات والبيانات ، والوسائل الإنسانية من العلماء الذين رافقوه ، وكان لهم إنتاجهم الضخم المرجعي (وصف مصر) ، وفي مقدمتهم المستشرقون أمثال : (فيلوتو) في الموسيقى ، و(جوبير) في الهندسة والبحوث ، و(ديلابورت) في الجغرافية والتاريخ ...

وإذا كان عام ١٩٠٨م افتتاح الجامعة المصرية فإن العمل الاستشراقي كان أسبق عموماً من العمل الاستشراقي الجامعي بقرون ، ولكنه قائم على منهجيته وإنتاجه وآثاره ، ولذا فإنه يعدّ رصيداً ثقافياً وأعمالاً متقدمة يمكن للجامعيين الاعتماد عليه والاقتباس منه .

فالمستشرقون الفرنسيون كما سبق القول قاموا بأبحاث ودراسات شتى في اللغات والهندسة والتاريخ والأديان ، وأبرزها (وصف مصر) إلى جانب أعمال بعضهم السياسية .

والمستشرقون السابقون عليهم ، تركوا آثارهم الفكرية مثل : (بوستل) في اللغات وقواعدها ، والرياضيات ، والطبيب (فايته) في الترجمات الطبية والتاريخية ، و(هربلو) المعجمي الموسوعي ، و(انطوان جالان) الأثري الاستاذ ... ومثلهم الإيطاليون الذين كتبوا عن مصر مثل الأب (اونجاريللى)[٨] Unyarelly,P و(روزليني)[٩] Rosellini,N . أما طلائع المستشرقين من سنة (٩٣٨)م والذين بلغوا حوالي ثلاثين مستشرقاً من جنسيات متعددة فقد زوّدوا المستشرقين الفرنسيين وغيرهم بترجمات وإحصائيات ومعاجم ودراسات علمية وادبية وفلسفية ودينية ، كما كان لهم أكبر الأثر في تطور الاستشراق عامة والجامعي خاصة .

ب ــ مستشرقون في الجامعة المصرية :

فمنذ إنشائها (١٩٠٨) استقدم (جويدي) Guidi,L الإيطالي لتدريس الأدب جغرافياً وتاريخياً ، و(سانتيلانا) Santillana, D لتدريس تاريخ الفلسفة وكان إيطالياً أيضاً[١٠] ، ومن الفرنسيين (روجيه) Rougiea,L في الفلسفة و(كليرجه) Cleaget,M في الجغرافية ، وبعد سنة انتدبت (نلّينو) Nallino, C,A لتدريس الفلك أولاً ثم الأدب العربي[١١] .

وسنفصل بعض الشيء ترجمة استاذين أحدهما . فرنسي والآخر ايطالي .

فالفرنسي هو (كازانوفا) Casanova,P المتوفي ١٩٢٦ ، فقد انتدبته الجامعة (١٩٢٥) استاذاً لفقه اللغة العربية (عن العلاقة بين الأدب العربي

والغربي)[١٢] ، ووجه عنايته إلى مصر الإسلامية ومن أعماله : تاريخ ووصف قلعة القاهرة ، وإعادة تخطيط مدينة الفسطاط (١٩١٣) ج ١ ، ثم ج ٢ ، ثم ج ٣ مع الرسوم والخرائط ، والأسماء القبطية في القاهرة وضواحيها مع خارطة بالألوان (١٩٠١) ، وعقيدة الفاطميين السرية في مصر (١٩٢١) ، وحريق مكتبة الاسكندرية (١٩٢٣) ...

وأخطر آراء (كازانوفا) اعتقاده ببشرية القرآن وأنه من تأليف الرسول وأن أسلوبه مختلف بين المكي والمدني بتأثيرات يهودية . وفي مفاهيمه اتصال بالفكر التلمودي وله صلاته بدوائر الاستعمار والكنيسة ، وكان د / طه حسين معجباً بشخصيته ، وتفسيره القرآن وأنه اقدر على فهم القرآن وتفسيره من علماء المسلمين[١٣] وسيأتي تفصيله ...

والإيطالي هو (سانتيلانا) السابق (١٨٥٥ — ١٩٣١) واشتهر بمعرفته بالإسلام وفلسفة المسلمين ، ودعاه المقيم الفرنسي في تونس للاشتراك في لجنة إعداد القوانين التونسية (١٨٩٦) فوضع القانونين المدني والتجاري معتمداً على الشريعة الإسلامية ؟ ومنسقا بحسب القوانين الأوربية ، وله معرفة واسعة بالمذهبين المالكي والشافعي ، ثم استدعته جامعة رومة لتدريس القانون الإسلامي فيها .

ومن أعماله : القوانين المدنية والتجارية (١٨٩٨) ، والفقه الاسلامي المالكي ومقارنته بالمذهب الشافعي ، وزيد بن على ونظام الزيدية (مجلة الدراسات الشرقية ١٩١٩) .

وخطورة (سانتيلا) استخدام معارفه الجامعية من أجل السياسة الإستعمارية ومصالحها في الشرق والغرب العربيين .

وهناك جامعيون آخرون من إنكلترا وامريكا والمانيا وبلجيكا أقل شأناً وأضعف أثراً .

إن استقدام أو انتداب مثل هذا العدد الضخم من المستشرقين منذ إنشاء الجامعة المصرية يؤكد على سير الجامعة في خط تعليمي تربوي حديث مواجه

ومناهض أحياناً للجامعة الأزهرية العريقة ، وكان تمكنهم من العربية كتابة وإلقاء ساعد على تخرج (نخبة من الأساتذة المصريين) الذين نعلم من أفكارهم وآثارهم مناوأة كثير منهم للأساتذة الأزهريين في أفكارهم وآثارهم[١٤] .

وسنذكر بعض شبهاته الجامعية ...

٢ ــ مستشرقون في المعاهد العليا بدمشق وغيرها :

ذكر د / محمد البهي عن المستشرق الامريكي (الفردكارلتون) Carlton,A ، أنه كان مديراً لكلية (حلب) ، ثم عين نائباً لرئيس جمعية البعثات الأمريكية في الخارج[١٥] .

وعرف أن المستشرق الفرنسي (بلاشير) المشهور عضو المجمع العلمي العربي بدمشق قدم محاضرة أو محاضرات في الأدب العربي عام ١٩٥٠ فيما أذكر .

كما عرف أن جميع المستشرقين من الأصقاع الأوربية لم يقوموا بالتدريس الجامعي السوري مثل زملائهم في الجامعة المصرية ، وإنما احتضنهم المجمع العلمي العربي حتى زاد عددهم على الأعضاء في كل من المجمعين اللغويين : المصري والعراقي ، ماعدا المجمع اللبناني .

وإذاً فقد فتح لهؤلاء باب المجمع العلمي وأغلق في وجههم باب الجامعة ، وذلك انتظاراً للتجربة المصرية وآثارها ، وإبقاء للجامعة بعيدة عن التيارات الغربية والاستشراقية فكانت أكثر حذراً وحيطة ، وقد أنشئت بعد الجامعة المصرية كلية الطب والحقوق ثم كلية الآداب وذلك سنة (١٩٢٤)[١٦] . وأفادت الجامعة السورية فتجنبت الزوابع والأزمات الفكرية التي وقعت في مصر إبان تدريس المستشرقين في جامعتها ، فأرسلت البعثات الطلابية إليها وإلى غيرها من الدول الغربية ، أو شجعت على ارتيادها ، ومن ثم فقد عاد المتخرجون إلى سورية ومعهم مناهج المستشرقين على أيدي العرب والمستعربين والمستغربين .

وأذكر على سبيل المثال أن معظم الأساتذة العرب السوريين في كلية التربية

كانوا مبتعثين لاتمام تحصيلهم التربوي في البلاد الغربية ، وفي مقدمتها فرنسا ، وكذلك في كلية الآداب مثل : د / أمجد طرابلسي ، د / عمر شخاشيرو ، محمد المبارك . ود / شكري فيصل ود / مصطفى السباعي من مصر ، ود / امين المصري من إنكلترا ، ثم د / عمر فروخ من الجامعة الأمريكية في بيروت ، وغيرهم كثير ، أما مديرها حينذاك (١٩٥٠) فكان د / قسطنطين زريق الاستاذ في الجامعة الامريكية ببيروت من قبل ومن بعد .

وبينما كان بعضهم يعدّ المنبر الجامعي موئل العلم والدعوة وكانت لهم جولات ومناقشات مع مستشرقين أعلام ، كان بعضهم الآخر على الحياد بالرغم من فكره الإسلامي ، وبعضهم الآخر يطرح شبهاته الاستشراقية بسبب تلمذته على المستشرقين أو على كتبهم ودراستهم .

ومهما يكن من أمر فإن فرنسا أقامت جهازاً استشراقياً على مستوى رفيع من الثقافة والمؤهلات والألقاب العلمية ، وهو (المعهد الفرنسي) بدمشق ، حيث استعان بمركز التوثيق العلمي الذي يعد من أغنى المراكز التوثيقية العالمية .

ومثل هذا المعهد[١٧] الذي يمكن أن يعد مؤسسة عالية للبحث العلمي أو الدراسة الاختصاصية يمكنه أن يؤهل شخصيات وفق خطته وبرامجه ، كما يمكن أن يمد الجامعيين وأمثالهم بمزيد من الدراسات والمصادر والوثائق .

وعلى الرغم من أن مديره (مونتان) Montagne, R (١٨٩٣ ـــ ١٩٥٤) كان ضابطاً بحرياً فإنه أصبح أستاذاً في معهد فرنسا ومديراً لمركز الدراسات الإدارية الإسلامية ، ومجلة إفريقيا وآسيا ، وقام بأعمال فكرية متعددة مثل : نظام القبائل القضائي في جنوب المغرب (١٩٢٤) ، وتطور بلدان الحضارة الاسلامية (١٩٣٨) ، والشرق والغرب وشمال إفريقيا (١٩٥٣) وغيرها .

ومن أعضائه : (سوساري) Sausser, Ed, (١٨٩٩ ـــ ١٩٣٧) وعني باللهجات الدمشقية ، و(جان كانيتنو) Cantineau. J (١٨٩٩ ـــ ١٩٥٦) وعني بلهجات بادية الشام حيث قضي بين البدو زمناً طويلاً ، ثم عين استاذاً لفقه

اللغات العام واللغات السامية في كلية الآداب بالجزائر (١٩٣٣ ــ ١٩٤٧) ونشر له المجمع العلمي العربي بدمشق (١٩٣٧) : تأملات في اللهجات العربية ، و(ليسيرف) Lecerf, J (المولود ١٨٩٤) وعني بالحركة الفلسفية المعاصرة في سورية ومصر ، وأدب العامة ، والأدب العربي الحديث .

وربما كان أغزرهم علماً وأخصبهم انتاجاً د / (سوفاجيه) Sauvaget, J (١٩٠١ ــ ١٩٠٥) الذي أصبح أمين سر المعهد ، ثم استاذاً لتاريخ الفن الإسلامي في مدرسة اللوفر (١٩٤١ ــ ٤٤) ، ومحاضراً في اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة باريس (١٩٤٢ ــ ٤٤) ، ومصنفاً ومترجماً للعدد الوفير من الآثار الدمشقية والحلبية ، وله : قوافل الحج السورية من القسطنطينية (١٩٣٧) ، و : حلب في أيام سيف الدولة (١٩٣٦) ، والآثار الأيوبية في دمشق (١٩٣٠) ، ودراسة عن توسع مدينة سورية (رسالة دكتوراه ١٩٤١) ، والمدخل إلى تاريخ الشرق الاسلامي (١٩٤٣) واختصره بالعربية د / صلاح الدين المنجد بعنوان : رائد التراث العربي ونشرته دار العلم للملايين (بيروت ١٩٤٧) ، وقصور الأمويين بدمشق ... وأعمال أخرى كثيرة .

ان العمل الاستشراقي الجامعي يضعنا أمام قضايا ثقافية خطيرة :

أ ــ اهتمام الأعلام المستشرقين ومن ورائهم دولهم بالقطاع الجامعي .

ب ــ تأثر العرب والمستغربين السلبي والايجابي ثم أثر ذلك في تفكيرهم وإنتاجهم القيادي .

جـ ــ مستويات الذروة في الإنتاج الفكري العالمي للاستشراق الجامعي دعاية اعلامية وبعضه حقيقة واقعة .

وإذا توفي جلّ أو كل هؤلاء المستشرقين وبقيت آثارهم سائدة ومتناولة على الصعيد الإسلامي والإنساني ، فهل نأمل انتقاءه وتحليله ورد الزائف بعد نقده ، وقبول السليم منه بعد التعليق عليه ، وذلك على المستوى الجامعي الجماعي ؟ هل ذلك على المجامع والجامعات العربية عسير ؟

أعلام جامعيون :

إن أية مساهمة جادة في هذه الناحية **المرجوّة** لاتقف عند حدود إزالة الشبهات والمفتريات وإنما يمكنها أن تزيل (مفاهيم) استشراقية في الأوساط الجامعية العربية القادرة على أن تشع (المعرفة) الحقة في صفوف عامة الناس وبخاصة في المرافق التي سيتولى الجامعيون مسئوليتها في مستقبل حياتهم .

وتلك لعمري (الدعوة) (الهادية) التي يؤجر الإنسان على نشرها فيما عناه الرسول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح برواية أبي هريرة : (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لاينقص ذلك من أجورهم ، ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه لاينقص ذلك من آثامهم شيئاً) (أخرجه مسلم وغيره) إلى جانب تبيين حقيقة فكرية ودينية ربما طمست في كثير من الأوقات .

ولذا فإنني أفضّل الكلام بقدر على بعض :

١ ـــ أعلام المستشرقين في الجامعات العربية والإسلامية .

٢ ـــ كبرى المفتريات الاستشراقية من الأعلام الجامعيين .

وأورد شبهات خمسة منهم مع الرد عليها ماأمكن . وهم :

١ ـــ كازنوفا الفرنسي وشبهته عن (محمد ونهاية العالم) **تشكيكه** بآيات من القرآن الكريم .

٢ ـــ سانتلانا الايطالي اليهودي وشبهته في : التشابه بين الفقه الاسلامي والفقه الروماني والأوربي ، وشبهته في فتح الأندلس .

٣ ـــ بروفنسال الفرنسي اليهودي ، وموقفه المشبوه من عرب الأندلس وإسلامهم .

٤ ـــ كراواس التشيكي الصهيوني ، وإبرازه دور جماعة الإسماعيليين الباطنية ، ونشاط الصهيوني .

٥ ـــ لاووست الفرنسي وتخليطه في فكر ابن تيمية وعقيدته .

١ ـــ كازانوفا الفرنسي :

ان (كازانوفا) الذي تقدمت ترجمته حين تحدّث عن القرآن فإنه حاول أن يبرز (البشرية) في مصدره والنحل في آياته ، فقد أراد أن يبتر صلة الرسول بالوحي الإلهي ليربطه بالسيرة النبوية ربطاً يلقي ظلال الشكوك والشبهات على صحة النص القرآني وثبوته .

وبينما ينبه التفسير الاجتماعي لسيرة الرسول على هيمنة التفسير المادي وبخاصة الاقتصادي والاجتماعي في دراسات (مونتمغري وات) ضمن كتابيه (محمد في مكة) ، و(محمد في المدينة) فإن آخرين ينحون المنحى ذاته ، بل ويثنون على جهود (وات) في تذليل الصعاب التي واجهته في دراسته .

فالماركسي (رودينسون) يعرب عن ثنائه على كتاب (وات) بقوله : ولكن كل هذه الصعاب لاتشكل في حدّ ذاتها هدفاً من أهداف (وات) بل إنها كانت مجرد نقطة انطلاق تسمح بمناقشة المشاكل الحيوية التي هرب أمامها الكثيرون عند رؤيتها ، ولقد واجه تلك المشاكل بعقل مفتوح وبنظرة جديدة .

ويضيف في مقدمة كتاب (وات) (محمد في مكة) : إنها سلامة العقل وتفتحه ، والأمانة العلمية ومعالجة الجوهر مباشرة ، كل هذا أضاف أهمية إلى كتابه عن « محمد » الذي يشكل شيئاً مهماً في تاريخ الدراسات عن نبي الاسلام[١٨] .

ويبدو أن التفسير الاجتماعي والمادي لم يرق لـ (كازانوفا) في كتابه (محمد ونهاية العالم) ، فعمد الى تفسير مسيحي آخر هو سيطرة فكرة يوم القيامة على الرسول ، مثل ماكان يفسره آخرون بسيطرة فكرة الإله الواحد ، أو سيطرة (مشكلته المرضية) كما فعل (بانكاك بلاك ماكدونالد) وغيره .

ومهما يكن اتجاه التفسير الغربي أو الاستشراقي للسيرة النبوية مادياً أو روحياً فإن أي اتجاه فيه لايحاول تجريد الرسول من الوحي الإلهي عند الماديين وغيرهم فحسب وإنما يحاول ان يربط ذلك كله بالقيم المسيحية الزاهدة عند المستشرقين المتأثرين بها .

وبذلك يمكنهم الطعن بالقرآن والسيرة معاً .

وكازنوفا يقول : بقي علينا نحن غير المسلمين حين ننظر الى محمد كرجل عبقري عادي أن نوضح لماذا أهمل العناية بمسألة لها هذه الأهمية الكبرى ، فنعلن أن السبب في إهمال أمر الخلافة بسيط ، وهو اعتقاده بأن نهاية العالم قريبة ، وهي عقيدة مسيحية محضة ، ومحمد كان يقول عن نفسه : إنه نبي آخر الزمان الذي أعلن المسيح بأنه سيجيء ليتمم رسالته(١٩)

والقضية هنا وهي عدم النصية على الخلافة ليست ذات أهمية عنده في حد ذاتها ، وإنما المهم هو سيطرة فكرة يوم القيامة القريب فليست إلا محاولة لربطها بالقيم المسيحية من ناحية ، وعدم ثبوت النص القرآني من ناحية ثانية ، وهما من الافكار المنبقة والمفترضة قبل الإقدام على مثل هذه الدراسة والتحليل .

ومع هذا فإن مما يلاحظ عزو هذه القضية الى محمد (كرجل عبقري عادي) فليس بنبي أورسول ، وإنما هو عبقري عادي .

وواضح أن (عبقريته) التي جردته من النبوة على رأى (كازانوفا) هي من النوع العادي الذي لا يرقى إلى المستويات العليا في العبقريات . فالصحابة في زعمه هم الذين وضعوا آيات من القرآن منها :

١ ــ قول تعالى : ﴿ وإمَّا نُرينَّكَ بعض الذي نَعدُهُمْ أونَتَوفَّينكَ فإنَّما عَليكَ البلاغُ وعَلَينا الحسَابُ ﴾ (الرعد : ٤٠) نزعم أن الصحابة حين رأو الساعة لم تقم ، وضعوا في صيغة التعبير صورة الشك موضع اليقين ، ولا يستبعد أن الآية كانت قبل التبديل : سنريك بعض الذي نعدهم .

٢ ــ ثم يقول هناك آيتان يشك في صحة نسبتها الى الوحي النبوي ، والراجح أن يكون أبو بكر هو الذي أضافهما على إثر موت النبي ، فأقره المسلمون على ذلك وهما قول القرآن : ﴿ ومامُحمّدٌ الا رَسولٌ قد خَلَتْ من قَبْله الرُسلُ ... ﴾ (آل عمران : ١٤٤) وقوله : ﴿ إنَّكَ مَيِّتٌ وإنَّهمْ مَيِّتونَ ، ثمَّ إنكُمْ يومَ القيامةِ عِنْدَ ربِّكِمْ تَخْتصِمُونَ ﴾ (الزمر : ٣٠ ، ٣١)(٢٠) وبالمناقشة العامة يمكن القول :

١ ــ ان فكرة (النصية)تتنافى مع مضمون (الخلافة) فلكل منهما طريقه الدستوري الذي يقف منه النبي موقفاً ، معيناً فالتعارض واضح فيما بينهما ، فإن (النصية) تعنى تحديد اسم أو اسرة لحكم المسلمين وهذا هو (التعيين) الدستوري الذي لايتلاءم مع (الخلافة) التي تقوم على (البيعة) الإسلامية . ومن دعائم الحكم الاسلامي . أن الرسول عليه الصلاة والسلام يوجه المسلمين الى (الخلافة) ولا يوجههم الى (التنصيص أو التعيين) .

٢ ــ وفي الآيات التي يعتبرها منحولة عن الرسول فإن ابن كثير يقول في الأولى : يقول تعالى لرسوله (وإما نرينك) يامحمد بعض الذي نعد أعداءك من الخزي والنكال في الدنيا ، (أو نتوفينك) أي قبل ذلك (فإنما عليك البلاغ) أي إنما أرسلناك لتبلغهم رسالة الله وقد فعلت ماأمرت به (وعلينا الحساب) أي حسابهم وجزاؤهم ...

فواضح هنا بيان الخزي والعذاب للكفار في الدنيا قبل وفاة الرسول أو بعده ، أو خزيهم وعذابهم يوم الحساب ، حيث ان مقصود القرآن التحقق من عذابهم إن عاجلاً أو آجلاً وبيان واجب الرسول في التبليغ وليس هناك أية إشارة إلى سيطرة نهاية العالم أو يوم الحساب على الرسول في هذه الآية ، فالاستشهاد بها كما يحلو لـ (كازانوفا) أن يفعل ــ في غير موضعه بغض النظر عن صحة مايقوله أو عدم صحته .

ويؤكد هذا تماماً ماذكره الرازي بقوله : والمعنى : سواء أريناك ذلك أوتوفيناك قبل ظهوره فالواجب عليك تبليغ أحكام الله تعالى وأداء امانته ورسالته وعلينا الحساب .

وأما الآيتان الأخريان فالثابت أن آية (الزمر) مكية ، وآية (آل عمران) مدنية ، وإذا كانت فكرة (نهاية العالم) سيطرت على الرسول في مكة ولما ينزل الله تشريعاً كاملاً للحياة فإن هذه الفكرة أو مايسميه المسلمون : ركن الايمان كان يعيش في حياتهم الدينية والدنيوية بالمدينة المنورة . ليهذب من أعمالهم وتصرفاتهم ، كما كان تعيش معهم سائر الأركان .

فآية (الزمر) تصرح بموت الرسول وموت قومه ، وقد فرق اللغويون بين لفظتي : (مَيْت) بسكون الياء و(ميّت) بتشديدها : فقالوا : إن الحي الذي سيموت (ميّت) بالتثقيل ، وأما (الحي) فهو (الميْت) و(الميّت) بالتثقيل والتخفيف ، واستشهدوا على ذلك بقول الشاعر :

وليس من مات فاستراح بميْت إنما الميْتُ ميِّت الأحيـــــاء

ونقل الشوكاني في فتح القدر قول الفراء والكسائي : الميّت بالتشديد من لم يمت وسيموت ، والميْت بالتخفيف من قدمات وفارقته الروح ...

واستبعد استحسان بعض المفسرين قراءة غير الجمهور : « مائت ، ومائتون » لكون موته وموتهم مستقبلاً ، وقال : لاوجه للاستحسان فإن قراءة الجمهور تفيد هذا المعنى ... ثم قال : ووجه هذا الإخبار الإعلام للصحابة بأنه يموت ، فقد كان بعضهم يعتقد أنه لايموت ، مع كونه توطئة وتمهيداً لما بعده حيث قال (ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) .

على أن كثيراً من المفسرين يسوقون الآية ضمن آيات تبدأ بقوله : وضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ... إلى قوله : تختصمون أو قوله : أليس في جهنم مثوى للكافرين[٣٢] .

وبينا يقول ابن كثير إن أبابكر (استشهد) بها مع آية آل عمران عند وفاة الرسول فإن الرازي يصرح بسياقها فيقول : والمراد أن هؤلاء الأقوام وإن لم يلتفتوا الى هذه الدلائل القاهرة بسبب استيلاء الحرص عليهم والحسد عليهم في الدنيا ، فلا تبال يامحمد بهذا فإنك ستموت ، وهم أيضاً سيموتون ثم تحشرون يوم القيامة وتختصمون عند الله تعالى ...

فالمستشرق (كازانوفا) الذي يعدّ نفسه ويعده بعض كبار تلامذته من أعظم المفسرين لم يفرق بين اللفظتين في الاستعمال اللغوي الدقيق أولاً ، ولم يربط الآية بسياقها وسباقها ثانياً ، ثم لم يدرك النسق الفني الصوري والداخلي في الآيتين بالمقارنة مع مثيلاتها ثالثاً .

أما آية آل عمران (ومامحمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ...) فقد اتفق المفسرون ماعدا (كازانوفا) ! على أنها تثبيت لعزائم المسلمين في غزوة أحد ، وتقبيح (اليهم انصراف من انصرف منهم من عدوهم وانهزامه عنهم) ، ونقل الطبري أكثر من عشر روايات تتفق أنها نزلت في ذلك ، كما نقل ابن كثير ثبوتها في الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها من كتب الاسلام من طرق متعددة تفيد القطع .

مثل ما نقلوا اتفاقهم على استشهاد أبي بكر بها عند وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام التي افقدتهم المصيبة ذكرها .

إذاً فقد خرج (كازانوفا) عن إجماع العلماء والمفسرين والمحدثين وأصحاب السير إذ لم يكن منهم ، فما قيمة شكه أو تشكيكه في مقابلة اليقين العلمي ؟

ثم إذا تأملنا قليلاً في نص الآية فإننا نجد مايدحض شكه ذلك ، فالآية تصرح بشيئين : القتل ، فالموت ، مما يتناسب مع مااتفق عليه العلماء في سبب نزول الآية .

وكذلك قوله : وسنجزي الشاكرين بصيغة الجمع تصريح من الله الذي يجزي من شكر ، ولا يصح مثل هذا التعبير ولا مثل هذا الجزاء من إنسان ، فهما من اختصاص الله لا يمكن لأبي بكر ولا لغيره أن يفتات بمثله .

ثم إن الآية التالية (وماكان لنفس أن تموت إلا باذن الله كتاباً مؤجلاً ...) تؤكد معنى الآية المعنية بمالايدع لريب .

فالمستشرق (كازانوفا) أعرض عن اجماع المسلمين أولاً ، ولم يتأمل بنص الآية التي تصرح بالقتل والجزاء على الشكر ثانياً ، ولم يفهم الآية ضمن الآيات التي تليها وتؤكد معناها ثالثاً .

٣ ــ وفي القرآن سور وآيات تنعى رسول الله ﷺ إشارة وتصريحاً فمنها سورة (النصر) كما ورد في الصحاح ، والرسول قد نعى نفسه في خطبة الوداع كما هو مشهور ، فهل يعني ذلك أن مانزل من القرآن خلال هذه الفترة التي تقارب السنة

منحول أيضاً ؟

وإن أبابكر لم يستشهد عند وفاة الرسول بأية آية منها حيث نقلت جميعها بالتواتر فهل نحكم عليها كلها بالنحل لأنها تفيد نعي الرسول ؟ ومن نحلها أيضاً غير أبي بكر من الصحابة ؟

وهناك آيات منثورة ضمن سورها تصرح بموت الرسول منفصلا أو مقترناً مع أحوال أخرى .

فالله يأمر رسوله بقوله : (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين) (الأنعام : ١٦٢) .

ويعاتب رسوله ليثبّته على الدعوة ، وعدم الركون إلى الكفار (إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات) (الاسراء : ٧٥) ، ويقرر قضية البشرية الفانية بقوله (وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن متَّ فهم الخالدون) (الانبياء : ٣٤) ، كما يقرر القرآن أحقيه الموت على سائر الأنبياء . فعيسى عليه السلام يؤمن به قومه قبل موته (وإنّ من أهل الكتاب ليؤمننّ به قبل موته ...) (النساء : ١٥٩) .

وإبراهيم عليه السلام يعدد من خصائص الربوبية : (والذي يميتني ثم يحيين) (الشعراء : ٨١) ، وآيات أخرى تنبه الى نهاية الأحياء بالموت ، ثم مصيرهم إلى الجنة أو الى النار .. وفي هذه القضية تشترك الكتب المقدسة جميعاً بالتنبيه الى قصر الحياة الدنيا والزهد فيها ، وقضاء الله بالموت على جميع الخلائق .

٢ ـــ دافيد سانتلانا :

والإيطالي (سانتلانا)[٢٢] السابق David Santillana (١٨٥٥ ـــ ١٩٣١) هو اليهودي السياسي الجامعي ، وضمن هذه الأطر تستمر حياته الدينية والسياسية والفكرية ، فقد ولد من أسرة يهودية في تونس ومن أصل إسباني قديم لجأت الى تونس واستقرت بها ، لكنها كانت تحمل الجنسية الإنكليزية ، وكان أبوه قنصلاً لبريطانيا في تونس .

وقد ظهرت مقدرته السياسية في السادسة عشرة من عمره حين أصبح سكرتير اللجنة الدولية لشئون تونس المالية ، بيد أنه استقال تضامناً مع نائب رئيس اللجنة بسبب حادث سياسي ، وبعد حصوله على الإجازة في الحقوق استدعي ليكون مستشاراً لهيئة الدفاع عن (أحمد عرابي) أثناء محاكمته عقب احتلال إنكلترا مصر ١٨٨٢ والحكم عليه وعلى رفاقه بالإعدام في ٤ ايلول (ديسمبر) ١٨٨٢ .

وفي سنة ١٨٩٦ دعاه المقيم الفرنسي عضواً في اللجنة المكلفة بتقنين القوانين التونسية باعتباره متخصصاً بالشريعة الاسلامية حيث اقتصر عمله في القسم المدني وبخاصة في (الالتزامات) وصاغه في ٢٤٧٩ مادة ، وألمح دون برهان صريح إلى إمكان أن تكون بعض قواعد الفقه الاسلامي مستمدة من القانون الروماني . وهي شبهة لاتستند الى أي دليل تاريخي أو فقهي . فالفقهاء لم يدرسوا القانون الروماني ولم يجعلوه مصدرهم في تآليفهم ، ولم تكن طبيعة أعمالهم الفقهية ولا مصدريتها مثل ماكانت عليه في القانون الروماني .

وإن وقع بعض التشابه في قاعدة أو مسألة أو عدد منها فهو ناتج عن الاتجاه الاجتماعي في بعض الفروع التي يمكن أن تكون استجابات فطرية بشرية ، مثل حرمة الدماء والأعراض والأموال ، والبينة على المدّعي ... وغيرها من المسائل التي اتفقت العقول والشرائع على حفظها ورعايتها .

ومثل الشبهة السابقة شبهة أخرى كان قد أخلص لها حياته في كتابه : نظم الشريعة الاسلامية (ج ١ روما ١٩٢٦) وتتلخص في التشابه القوي بين الشريعة الإسلامية والقوانين الأوربية ، حتى إنه قرر أنه من الممكن تقنين الشريعة الإسلامية على نحو مناظر — وإن لم يكن مساوياً للقانون الروماني ..

والعجيب أن (سانتلانا) يحاول أن يقيم تشابهاً بين الإسلام (أو الفقه الإسلامي) مرة بالقانون الروماني القديم ومرة أخرى بالقانون الأوربي الحديث .

ولكن هذه المحاولة لايقوم عليها دليل أو حجة سليمة في كلتا الحالتين .

لأن القوانين الأوربية امتداد للقانون الروماني وعلاقته بها واضحة في القانون

الفرنسي والانجليزي والألماني ... وطبيعة كل منهما ، وبيئته ، وعمالقة فقهائه ، واعتماد المتأخرين منهم على السابقين في المصدرية والتقنين ، وكثير من الأحكام ترفض مثل هذه العلاقة وامتدادها عبر التاريخ القديم والحديث .

ولم يكن عمله الجامعي في (روما) و(القاهرة) نهاية أو محصلة أعماله السياسية والدينية والاستعمارية وإنما كان في خضم هذه الأعمال وأثنائها .

فقد كان من قبل ومن بعد على الصورة التي تتجلى فيها روحه الاستشراقية ، وتطلعاته التشريعية التي خدمت انكلترا وايطاليا وفرنسا معاً .

وفي الوسط الجامعي حيث كانت مقدرته اللغوية العربية التي أتقنها وهو في تونس تزيد من شهرته بين طلابه ، فقام بمحاضراته في الفلسفة الإسلامية موازناً بالفلسفة اليونانية ، وبما سبقها عند السريان من دراسات في الفلسفة اليونانية .

ولكن هذه المحاضرات بقيت مخطوطة غير صالحة للنشر ، وان كان الشيخ مصطفى عبد الرازق يشير اليها وينقل بعض المواضع منها حسب ماذكره في كتابه : التمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية (القاهرة ١٩٤٤) .

فمن العسير التنويه بما فيها من أخطاء وشبهات تاريخية وفكرية وبخاصة اذا أدركنا شغف (سنتلاينا) بالحركة الصوفية ورجالها ومبادئها ، وربطه ، بالتصوف اليوناني الأفلوطيني والتصوف المسيحي .

وعلى الرغم من أن الجامعة طلبت اليه الاستمرار في التدريس لأعوام تالية فإنه آثر العودة الى روما التي طلبت إليه أن يضع إمكاناته العلمية التشريعية في خدمة وزارة المستعمرات في القطر الليبي إبان الحكم الايطالي الاستعماري .

وواضح هنا فعالية بعض العوامل الجامعية المصرية في استبقاء (سانتلانا) محاضراً فيها ، وقد كانت على علم بيهوديته واتجاجاته الاستعمارية .

ولكن الأوضح من ذلك خدمته الأغراض الاستعمارية في البلاد العربية سواء كانت في رحاب الجامعة أو كانت في رحاب القانون والتشريع خارجها ، وذلك في خطورة ثلاثية الأبعاد : اليهودية والجامعية والاستعمار .

ولاريب أن معرفته الواسعة بالمذهبين المالكي والشافعي قد أفاداه لافي تدريسه القانون الإسلامي في جامعة روما ووضعه القوانين المدنية والتجارية للحكومة التونسية وحسب وإنما في بحوثه الفقهية والشرعية الأخرى التى لها صلة بالاتجاه السياسي . فقد ترجم الجزء الثاني من مختصر خليل بن إسحاق إلى الايطالية (١٩١٩) ، وهو المعروف والمشهور ببيان الحقوق المدنية والجزائية والقضائية في المغرب ، وذلك من ترجمة (اغناطوس جويدي) الجزء الأول منه ، كما كتب عن : الخلافة والسلطان في الشرع الاسلامي (الشرق الحديث : ٤ ــ ١٩٢٤) حتى ان كتابه : الفقه الاسلامي المالكي ومقارنته بالمذهب الشافعي . عدّ أكمل وأصدق مرجع في الحقوق الإسلامية (جزآن : ١٩٣٨ ، ١٩٤٣) ! .

وهل من غرابة أكثر من أن يحاضر (سانتلانا) في تاريخ الفلسفة (١٩١٠) في الجامعة المصرية ثم يعكف على تخصص فقهي قانوني أبعد مايكون عن اتجاهه الفلسفي ؟

إن شهرة (سانتلانا) بالفقه الإسلامي بعد إحرازه الدكتوراه في القانون يخدم روحه اليهودية السياسية ، كما تخدمها محاضراته التالفة في تاريخ الفلسفة الاسلامية أية خدمة .

أما الفقه الاسلامي فهناك تعارض مع القانون الروماني في المصدرية والبيئة ورجال القانون ومسائله والأحكام المترتبة عليها مما لايدع مجالاً لأية علاقة مشابهة بينهما .

وأما القوانين الأوربية فقد تكون متأثرة بفقهاء قرطبة والأندلس وصقلية وبطرائقهم في استنباط الأحكام وبعض مسائلهم الاجتهادية مما جعل بعض النظائر الفقهية تبرز في المجالات القانونية والفقهية .

ومهما يكن من أمر فإن الروح السياسية التي كانت تدفع (سانتيلانا) الى مثل هذه الشبهة بعد العمل على تقنين أحكام مدنية وتجارية في تونس وغيرها ، تحاول أن تخدم الأغراض الاستعمارية من قريب أو من بعيد .

ولا أدل على ذلك من أن الحكومة الايطالية التي جعلته يشغل كرسي الشريعة الإسلامية في كلية الحقوق بجامعة روما من ١٩١٣ لجأت اليه في وضع التشريعات الخاصة بـ (ليبيا) فكلفته وزارة المستعمرات الإيطالية هو واجنستيوجويدي ، بترجمة وشرح (مختصر خليل) في الفقه المالكي إلى الإيطالية بعد أن ترجم الى الفرنسية ، وقد ظهرت الترجمة الايطالية ضمن مطبوعات وزارة المستعمرات .

ومع كل ماسبق فإنه على الرغم من أنه اتّبع في تأليف كتابه السابق (نظم الشريعة الاسلامية بحسب مذهب مالك مع مراعاة المذهب الشافعي) طريقة تختلف عن طريقة الفقهاء والمسلمين فإن ترتيبه المادة الفقهية وفقاً لما رأى أنه التطور المنطقي لمبادئ الفقه الاسلامي بعيداً عن اساليب المسلمين من الفقهاء والأصوليين ، كانت موضع اعتراض لامن المسلمين وحدهم وإنما من زملائه المستشرقين أمثال (برجستريسر) في نقده الكتاب (في مجلة OLZ ١٩٢٩) حيث قال : إنه أوّل الفقه الإسلامي تأويلاً رومانياً .

وإذاً فان الدراسات الفقهية لديه أخذت طابعين .

أحدهما ـ طابعا استعمارياً في كل من تونس وليبيا ضمن القواعد التشريعية والفقهية التي حاول الاستعمار نشرها والعمل بها في مسائل وأحوال تتفق مع أغراضه ومصالحه وعلى الأقل : في أحوال ومسائل لاتتعارض مع أغراضه ومصالحه .

وثانيها : طابع الإحياء الروماني في تقنين الأحكام العلمية سواء كان ذلك في ربط الفقه الإسلامي أو (الشريعة الإسلامية) به من ناحية ، وفي طريقة تأليفه وأسلوب تصنيفه الغريب عن طريقة المسلمين من ناحية ثانية .

وفي كلتا الحالتين فان (سانتلانا) غارق في السياسة الاستعمارية بمقدار غرقه في الثقافة الأوربية قديمها وحديثها .

وفي هذا التصور الكبير منطلق رحب في عمله الجامعي الذي استقدم له وليقوم به في الجامعة المصرية منذ سنة ١٩١٠ ، ولكن لامن أجل أن يدرس الفقه الاسلامي على أية طريقة من الطرق الاسلامية أو الرومانية وإنما ليحاضر في (تاريخ

الفلسفة الاسلامية) طول العام الدراسي ١٩١٠ ـــ ١٩١١ ، باللغة العربية شأنه شأن (نيلنو) و(ماسينون) وسائر المستشرقين الذين دعوا للتدريس في الجامعة المصرية القديمة .

٣ ـــ ليفي بروفنسال في المغرب العربي :

وربما كان أوضح مثال عن الجامعيين في المغرب العربي (ليفي بروفنسال) Evariste levi-Provençal (١٨٩٤ ـــ ١٩٥٦) فهـو الفـرنسي واليهودي والاستعماري والأستاذ الجامعي .

ولد في الجزائر العاصمة من أسرة يهودية وشب على أيدي كبار المستشرقين الفرنسيين من أمثال : (رينيه باسيه) و(جيروم) بالاضافة إلى دراسته الجامعية طالباً في جامعة الجزائر . وبعد قيام الحرب العالمية الثانية وهزيمة فرنسا في ١٩٤٠م صدرت في فرنسا قوانين ضد اليهود ، ولكن تدخل بعض أصدقائه الفرنسيين أعفاه من تطبيق القوانين عليه ، وعُين اسمياً أستاذاً في كلية الآداب بجامعة (تولوز) .

واستطاع بذكائه الماكر أن يخفي مشاعر اليهودية على الرغم من تورطه في كثير من كتاباته في الإساءة إلى الإسلام والنفور من مجتمع المسلمين ، مما حقق له ولأمثاله لمعاناً وشهرة في مجتمعاتهم وبين قومهم .

ومن نشاطاته العسكرية الاستعمارية التحاقه بالجيش الفرنسي في الشرق ، وكان أن أصيب بجروح في معركة (الدردنيل) الشهيرة ، وبعد أن عولج منها أرسل إلى (مراكش) حيث عهد اليه بقيادة موقع وادى (ورجلة) بالقرب من حدود الريف المغربي .

وظهر ذكاؤه الماكر في تأييد ثورة الجزائر فيما بعد في سنواتها الأولى ، وذلك على الرغم من وجهته الاستعمارية الفكرية والعسكرية .

كما ظهر أيضاً في تكذيب زملائه المستشرقين من أمثال (دوزي) وبلاثيوس) و(فليان) في مقدمته التي كتبها لكتاب : تاريخ قضاة الأندلس ، لأبي الحسن

البناهي ، وقرر فيها أن أخبار القضاة الثلاثة (موضوع التكذيب) صحيحة(٢٣) .

ومع هذا فإن السياسة الاستعمارية الفرنسية كانت تعكس أبعادها في كتابات المستشرقين الفرنسيين التاريخية مهما تظاهروا بالعلمانية والموضوعية .
وفي حقيقة الأمر نجد أن (بروفنسال) ومن ورائه غيره من المستشرقين الفرنسيين ، كان يعكس ماتوصل اليه المؤرخون الفرنسيون الاستعماريون للمغرب في تاريخه للأندلس .

ظهرت الأبعاد الاستعمارية في نظرية (الصراع القبلي) بين العرب والبربر باعتبار ذلك قوة اجتماعية أساسية في التاريخ(٢٤) ، ومن ثم كان كتاب (بروفنسال) : تاريخ المسلمين في اسبانيا ، برغم اسهامه المؤكد في فترة تاريخية لاتزال بحاجة الى مزيد من الدراسة من نواح متعددة — ينعكس كعمل تاريخي .. في افتراضات تظهر في كتابه من قبيل سيطرة (القبيلة) باعتبارها قوة ذات حركة ديناميكية اجتماعية في الأندلس(٢٥) .

ويبدو الفكر الاستعمارى في الروح الاستشراقية العلمانية التي تظاهر فيها بدراسته الأندلسية ، كما يبدو من خلال تركيزه على البربرية خصوصا والقبلية عموماً في السيطرة على الحياة الاجتماعية ، وذلك ليوعز للفرنسيين مكامن القوة والضعف عند المغربين من ناحية — ويبين المداخل الاستعمارية الهامة والممكنة للنفوذ الفرنسي في بلادهم .

وإذا تجاوزنا نظريته القبلية مثل تجاوزنا اشتراكه في معارك فرنسية استعمارية داخل المغرب العربي وخارجه فإن الباحثين المسلمين ينوهون بعدد من الشبهات الخاطئة التي تساهم جميعا ، في الغزو الفكري الاستشراقي .
١ — اهمال البعد الديني في انتشار الإسلام السريع والمبكر في العالم حينذاك وبخاصة في الاندلس والمغرب العربي : ويرجع الباحثون المسلمون ذلك الى ظاهرة العلمانية التي كانت منطلق الكثير من المستشرقين الذين يركزون على أبعاد أخرى من مثل : الانحلال الاجتماعى ، وروح الاعتداء التي كانت سمة من سمات البدو

الأعراب ، وتفوق الأسلحة التي كانوا يستعملونها وعدم الاستقرار الداخلي لمملكة القوط ... وذلك على عكس مافعله (ماسينون) و (بلاسيوس) من اعتبار العامل الديني حاسماً في الفتوحات الإسلامية المبكرة[٢٦] .

٢ ـــ الاضطراب في تصوير المجتمع الأندلسي : وهو واضح من تقسيم (بروفنسال) السكان إلى أربع فئات أو أجناس هم : العرب ، والبربر ، وأهل البلاد الذين دانوا بالإسلام ، واليهود الذين أسلموا ... ولكنه يعود مرة أخرى فيقسمهم تقسيماً آخر ، هم : أبناء الأسبان الذين دخلوا في طاعة المسلمين صلحاً وأسلموا ، وأبناء الاسبان الذين دخلوا في طاعة المسلمين عنوة فأصبحوا بحكم الفتح أسرى ثم أسلموا ، وأبناء المستعمرين الذين أسلموا بعد الفتح ، وأبناء اسرى النصارى الذين أتت بهم الفتوحات والغزوات ثم دانوا ، بالإسلام ويؤكد (بروفنسال) أن هذا التقسيم الأخير هو الصحيح ...

ولكنه في تقسيمه الأول أسقط النصارى الذين ظلوا على دينهم ، وكانوا يشكلون نسبة كبرى من السكان ، كما اسقط اليهود الذين ظلوا على دينهم ... وتمتع الفريقان : من أسلم منهم ، ومن بقي على دينه بحرية الفكر والعقيدة ، وتولوا المناصب الكبرى التي منها الوزارة ، وفي تقسيمه الثانى : نسي العرب والبربر وأسقطهم من جملة السكان الأندلسيين[٢٧] .

٣ ـــ العرب طبقة أرستقراطية خاصة في الأندلس : وفي هذا مخالفة لتاريخ (ابن القوطية) الذي يسوق أخباراً عن القادة العرب وأمرائهم ، يطلبون أراضي ليعيشوا منها ومن غلاتها ، بينما كان الموالى على مدى ثلاثة قرون الى آخر الخلافة الأموية يشكلون هذه الطبقة الاستقراطية المستعلية .

والخطأ الذي وقع فيه (بروفنسال) هو استنتاجه أن العرب في المغرب كانوا يشكلون الصفوة مثل إخوانهم في المشرق ، وزاد غيره فوصف العرب أنهم غاصبون مستبدون[٢٨] .

ولكن القضية في نظري ليست تابعة لجنس أو لأسرة بقدر ماهي تابعة الى

إشباع الأفكار بأخلاقية الإسلام وتمثلها في الحياة الخاصة والعامة .

فالمولى أو العربي لايقوم أي منهما بتصرفات السادة وكبرياء القادة إلا حين تضعف في نفسه القيم الإسلامية التي انطلق من أجلها فاتحاً ومنتصراً ، ولا يقوم بتصرفاته المعتادة وأدنى منها إلا حين تنمو في نفسه مسئوليات الجهاد والحكم الإسلاميين .

والأمير الاندلسي وإن كان عربي الأرومة فإن معظم بطانته وأكثر جنده من غير العرب ، أو خليط منهم ومن غيرهم يقر بهم العدل والإخاء ويحكم بينهم بحكم الإسلام .

فالنزعة ليست عنصرية في غالب الفترات الأندلسية وإنما هي نزعة فكرية يعيش المسلمون عرباً وبربراً وغير المسلمين في رحابها الشامل .

ولا أدعي أن هذه سيرة متبعة وسنة دائمة في جميع العهود والأسر والأمراء وإنما هي طريقة سائدة في نفوس الأندلسيين تطبق أحيانا وتهمل أحيانا أخرى .

٤ ـــ كراهية المسلمين انتشار الاسلام : فبينا يقرر (بروفنسال) أن العرب الفاتحين كانوا يكرهون انتشار الاسلام لأن انتشاره يضر ببيت المال بسبب نقص (الجزية) يرى آخرون أن العرب كانوا يجبرون الآخرين على الإسلام بالسيف . والحقيقة الإسلامية والتاريخية تبعد المسلمين من أن يلجئوا إلى مثل هذه الأغراض وقد تعمقت معانى الجهاد والفتح وأغراضه في نفوسهم الا ماكان من روايات إن ضعفت بعضها فإن بعضها الآخر لايرقى الى القبول تباتاً ، وهي من دسائس (المستعمرين) .

وقد يزداد الأمر وضوحاً حين نعلم أن سلطان الفقهاء وخضوع المسلمين قادة وأفراداً إلى الأحكام الفقهية كان مستمراً في معظم الأوقات ومهيمناً على مرافق الدولة والحياة بغض النظر عن فترات تفلتت من زمام الحكم الفقهي الإسلامي ، فلم يقتصر ضررها على الأندلسيين غير المسلمين وانما شملهم وشمل المسلمين أيضاً ، وبخاصة حين ركنوا الى الدعة والبذخ وتفرقت بهم السبل وقعدوا عن الجهاد

العام ضد الفرنجة .

ومثل هذه الشبهات الخاطئة كانت تطرح على الصعيد الجامعي مثل ماطرحت في الإنتاج الفكري التاريخي . فهي شبهات غازية يشجع لها الاستعمار لينال من التاريخ الإسلامى مثل ماينال من وحدة المسلمين وقيمهم الدينية في حاضرهم .

ومن الجدير بالذكر أن (بروفنسال) كان ذا نشاط كبير في العديد من الجامعات العربية والفرنسية .

ففي سنة ١٩٢٠ عين استاذاً في « معهد الدراسات العليا المراكشية » في الرباط ، وفي سنة ١٩٣٥ عين أستاذا للتاريخ الاسلامي في كلية الآداب بجامعة الجزائر ، وفي سنة ١٩٤٤ عين أستاذ للدراسات العربية في كلية الآداب (السوربون) بجامعة باريس ، واستمر في هذا المنصب حتى وفاته .

إن مايزيد عن خمس وثلاثين سنة قضاها (بروفنسال) في رحاب الجامعة العربية والفرنسية لم تشغله عن تأسيس مجلة Arabica عام ١٩٥٤ المتخصصة في الآداب العربية والعلوم الاسلامية والتي لا تزال تصدر حتى اليوم .

كما أن كتابه الذي اشتهر به : تاريخ إسبانيا الاسلامية في ثلاث مجلدات (١٩٤٤ ــ ١٩٥٣) كان من أواخر المؤلفات المغربية والأسبانية .

فقد سبقه : وثائق غير منشورة عن تاريخ الموحدين (باريس ١٩٣٨) ، والمخطوطات العربية في الأسكوريال (١٩٢٨) ، والجزء الثالث من : البيان المغرب لابن عذارى (١٩٣٠) ، و : إسبانيا الإسلامية في القرن العاشر (١٩٣٢) ... وكتب مغربية واسبانية أخرى ، ولا يفوتنا أن نذكر له آثاراً أخرى بعيدة الصلة نوعاما عن الدراسات الأندلسية والمغربية مثل : الاسلام في الغرب (١٩٤٨) ، ونسب قريش لمصعب بن عبد الله الزبيري (١٩٥٣) و : جمهرة أنساب العرب : لابن حزم الأندلسي ... السابق . (وقد كوفئ على بلائه في الحرب وجهوده في الاستشراق ــ إذ عد المرجع الأول في الغرب بتاريخ الأندلس ،

وأتم في دائرة المعارف الإسلامية ماكان بدأه (زايبولد) عن الأندلس ــ بأوسمة رفيعة ، وعضوية جمعيات عدة ، منها المجمع الإسباني ، والجمعية الملكية الآسيوية البريطانية) وترجم له زملاؤه وفي مقدمتهم (بلاشير) (مجلة أرابيكا ٣ / ١٩٥٦) .

٤ ــ بول كراوس Kraws,-P (١٩٠٤ ــ ١٩٤٤) تشيكي سياسي جامعي صهيوني ، بدأ نشاطه الاستشراقي بترجمة حياة (جابر بن حيان) (برلين ١٩٣٠) ، ثم تتابعت أعماله عنه وعن ابن الراوندي ، ومحمد بن زكريا الرازي (١٩٣٥) وأخبار الحلاج بمساعدة ماسينون (١٩٣٦) ، ونشر أربع رسائل للجاحظ مع مقدمة (١٩٤٣) ، وكتب في دائرة المعارف دراسات عن : المستنصر ، والراوندي ، وابن جبير .

ويبدو نشاطه الاستشراقي في :

١ ــ محاضرات في نقد التاريخ أشهرها : الجديد في التوراة ، وكتابة من الرسول . وبحثاً بعنوان : أفلوطين عند العرب ، ألقاه في الجمعية الجغرافية ضمن محاضرات أو (اجتماعات) معهد مصر ١٩٤٢ ، ومحاضرة عن الجاحظ في الجمعية الجغرافية ١٩٣٧ .

٢ ــ مقالات في مجلة (الثقافة) عن ابن المقفع ، وتاريخ الفلسفة والعلوم لدى المسلمين .

وذلك ضمن عنوان من منبر الشرق (يكتب فيها مقالات بسيطة عن بعض المخطوطات العربية ومايشبه ذلك ، ولكن ليست لها أية قيمة علمية) ، ومقالاً في مجلة كلية الآداب عن كتاب الأخلاق لجالينوس (١٩٣٩) .

٣ ــ تدريسه اللغات السامية في الجامعة المصرية (١٩٣٦) ولم ينقطع عنه حتى انتحاره ، وقبله محاضرات في المدرسة العلمية للدراسات العليا (فرع العلوم الدينية) بباريس (١٩٣٣) وفي المعهد التاريخي للعلوم في السوربون .

خلف (إسرائيل ولفنسون) اليهودي المعروف بعد خروجه من كلية الآداب

(١٩٣٧) في تدريس السريانية ثم العبرية ثم فقه اللغة العربية ، وأخيراً حول تأثير التراث اليوناني في العربية ، على طلاب (الماجستير) ، ومعها : قراءة وشرح بعض النصوص العبرية في (الكتاب المقدس) (١٩٣٨ ـــ ٤٢) .

٤ ـــ محاولته تنغيم وتنظيم أسفار الكتاب المقدس بإيجاد تلاوات صوتية خاصة بها ، وذلك بسبب فكرة خطرت بباله ، وهي أن النصوص شعر وليس بنثر ، وذلك في عامي ١٩٤٣ وَ ١٩٤٤ أى قبيل إنتحاره ، وراح يلقي المحاضرات في تأييد فكرته في القاهرة أولاً خريف ١٩٤٣ ، ثم في القدس بعد ذلك في يناير (كانون ثاني) ١٩٤٤ ، وقد هوجم في القدس هجوماً عنيفاً .

٥ ـــ تركيز بحوثه على الكيمائي العربي جابر بن حيان (ت ٨١٥م) وذلك في عدد من المقالات والكتب مثل : تحطم أسطورة جابر بن حيان ، و : مختار رسائل جابر بن حيان ، و : جابر بن حيان : إسهام في تاريخ الأفكار العلمية في الإسلام (بالفرنسية) ... ولكن بحثه الأول الذي نشره ١٩٣٠ انتهى به الى (القول بأن الرسائل العديدة المنسوبة الى جابر بن حيان هي في الواقع من تأليف جماعة من الإسماعيلية) .

وينوه (الدوميلي) الإيطالي في كتابه (العلم عند العرب)[٢٩] بأسطورة نسبة بعض الرسائل إلى جابر بن حيان في الكتب اللاتينية وفي الكتب العربية ، ويفصل الكلام على دور الاسماعيلية العلمي الذي لم يكتب له الظهور بأسمائهم وأعيانهم كما عرف عن العلماء السنيين وذلك لأسباب سياسية معروفة .

ثم يعرض (الدوميلي) قول (كراوس) : ... كما نجد في هذه الكتب (المنسوبة الى جابر) وهى تشبه في ذلك رسائل إخوان الصفا التي تستمد من نفس (كتاب الطبيعة لأرسطاليس) ، وهذا يؤكد مرة أخرى أن هذه المجموعة لايمكن أن تكون صنفت قبل القرن الثالث الهجري ، وزيادة على ماذكر يبدو أن للكتب المنسوبة الى جابر علاقة قوية بالمحيط الوثني المتبحر في العلم في منطقة « حران » .

وفي الواقع تشتمل هذه الكتب على نقول عن الصائبة ، تصور جدلهم ومناقشاتهم حول مسائل ميتافيزيقية مختلفة[٣٠] .

ولكن المتتبع للأعمال التي سبقت (كراوس) توضح أن أستاذه (يوليوس روسكا) (١٨٦٧ ــ ١٩٤٩) وقد اختص بالكيميائي العربي محمد بن زكريا الرازي (٨٦٥ ــ ٩٢٥م) ينوه أنه لايوجد دليل قاطع على أنه قد اطلع على المؤلفات المنسوبة إلى جابر بن حيان في الكيمياء)[٣١] .

وحين تولى (روسكا) رئاسة معهد البحث . في تاريخ العلوم الذي أنشأه (١٩٢٧) في جامعة برلين كان (كراوس) يعاونه في مثل هذه الأبحاث العلمية العربية الهامة .

ويبدو من تقرير (روسكا) السنوي للمعهد السابق ، والذي نشر مقال (كراوس) في أوله[٣٢] أن (روسكا) كان يبحث مسبقاً في (مشكلة) جابر بن حيان وماينسب اليه من كتب ورسائل ضمن دراساته عن الكيميائي السابق محمد بن زكريا الرازي ، كما ينوه (الدوميلي) بالعديد من المستشرقين الذين سبقوا (كراوس) مثل هويليارد في : مؤلفات جابر مترجمة إلى الانكليزية بقلم.: ريتشارد راسل (١٦٧٨) و : أرنست دارمشتر في كتاب ، بيان جميع فنون الكيمياء المنسوبة الى جابر الكيميائي (١٥٣١) ...

وبالإضافة الى الجهود الغربية أو الاستشراقية في تحقيق المشكلة السابقة نجد (الدوميلي) يصرح في عدد من أماكن كتابة اشتراك (كراوس) مع (روسكا) في الدراسات عن علم الصنعة (عند جابر وما نسب إليه من كتب مثل : كتاب الملك ، وكتاب الرحمة ، وكتاب المعادلات ، وكتاب الشفقة ، كتاب التكثيف ، وكتاب السبعين ...

وإذا رجعنا إلى تقرير (روسكا) الآنف الذكر الذي قدم له (كراوس) فإن أقوالا أخرى تنبه الى جهود مشتركة بين الأستاذ وتلميذه في حل (المشكلة) وأنها لم يختص بها (كراوس) بأية حال .

فمثلاً : يقول (الدوميلي) : ومن هذا الحين (القرن التاسع) ... نسبت الى جابر أبوة كتب الكيمياء التي صنفتها الفرقة (الإسماعيلية) لإعارتها أهمية أعظم ، وحجية أوثق ... ثم يقول : هذه ــ على الأقل ــ النظرية التي تتفرع من الدراسات العميقة ليوليون روسكا وتلميذه باول كراوس والتي لها في ذاتها كل حظ من الرجحان(٣٣) .

ومهما يكن من أمر فإن أي فضل في كشف ذلك فإنما يرجع أولا الى (روسكا) أستاذه ومدير معهده ، وكذلك الى من سبق في الكلام عليه مع آخرين متقدمين . وفي الحقيقة فإن (الدوميلي) الذي يؤيد ماتوصل اليه (روسكا) و(كراوس) من أسطورة هذه النسبة فإن احتمالات أخرى يمكن أن تبرز في أحقية هذه النسبة طالما أن أساسيات العلم الكيميائي والتأليف فيه قد ذاع عند جابر بن حيان بإجماع العلماء المسلمين وغير المسلمين .

وعلى كل حال فان العالم المسلم جابر بن حيان لايغض من قيمته العلمية ولا من انتاجه الوافر في العلوم ، وبخاصة الكيمياء إذا أثبتت الوقائع البحثية عدم صحة بعض الرسائل المنسوبة اليه ، مهما حاول (كراوس) وغيره الغض من هذه القيمة وإن كان ذلك بصورة غير مباشرة . وربما أعيد النظر من قبل المختصين المسلمين في الاستنتاج السابق (تحطيم أسطورة جابر بن حيان) ضمن دراسة أكثر موضوعية وأوثق مصدرية وأدق استنتاجاً .

٦ ــ نشاطه السياسي الإرهابي : وعلى الرغم من أن د / نجيب عقيقي في كتابه . المستشرقون ، لم يذكر شيئاً عن يهودية (كراوس) ، ولا عن عضويته في العصابة الإرهابية (شتيرن) ، ولا عن تجواله وتردده بين القدس والقاهرة ، فإن يهوديته عريقة في أسرته وفي حياته ، وكذلك فإن عضويته في (شيترن) وتردده بين القاهرة والقدس معروفان من مصادر عدة .

فقد ولد (كراوس) في مدينة براغ من أسرة يهودية ، وفي سنة ١٩٢٢ (أي في سن الثامنة عشرة) سافر الى فلسطين ، فأمضى فترة في مستوطنة إسرائيلية

(كبوتز) ، وبعدها دخل « مدرسة الدراسات الشرقية » التابعة للجامعة العبرية في القدس ، وفي تلك الفترة اتقن اللغة العربية(٣٤) .

وبعد حصوله على الدكتوراه من جامعة برلين ١٩٢٧ ومجيء النازية الى حكم المانيا ١٩٣٣ قرر كراوس مغادرة ألمانيا تحسباً للخطر الذي ينتظره من البقاء فيها ، فسافر إلى باريس حيث عاونه (ماسينون) ، وقد تعاونا معاً على نشر « أخبار الحلاج » ، وكان « كراوس » يتردد بين القاهرة والقدس في القاء محاضراته عن (تنغيم أو تنظيم الكتاب المقدس) كما سبقت الإشارة وذلك بين عامي ١٩٤٣ — ١٩٤٤ .

وآخرها في يونيو (حزيران) ١٩٤٤ سافر الى القدس ليمضي عطلة الصيف لكنه لما عاد في الاسبوع الأول نشر نبأ انتحاره في جريدة البلاغ المصرية .

ويفترض د / عبد الرحمن بدوي أن جماعة (شيترن) وهو عضو فيها كلفته بقتل اللورد الانكليزي (موين) بدعوى أنه الممالىء للعرب على حساب اليهود ، وخرج من هذه المعضلة بأن انتحر ولم يقدم على قتل (موين) .

يضاف الى هذا أنه كان يسكن معه ضابطان بريطانيان بحجة معاونته في دفع الأجرة للدر التي يسكنها ، وهي حجة غير منطقية لأن كراوس كان يستأجر شقته أو داره مع زوجته الأولى ثم مع الثانية منفردين من غير أن يفكر بمقاسمة الأجرة .

ومع أن د / العقيقي يعمم أسباب انتحاره إلى أسباب عائلية وفكرية وسياسية ، أسرّ ببعضها اليه عام ١٩٤٤ فإن زمالة كراوس للدكتور البدوي ومعرفته الوثيقة به ترجح انتحاره لسبب سياسي إرهابي ، أكثر من أية أسباب أخرى ، وإن احتمل ان تكون اسباباً ثانوية أو غير مباشرة .

ولا نقف طويلاً عند حادثة انتحاره ، كما لايهمنا المصير الذي اختاره لنفسه بقدر ماتعنينا حياته الإرهابية التي امتزجت بالاتجاه الاستشراقي ، وكان ثمرتهما تدريسه في الجامعة المصرية وزمالته لمستشرقين آخرين ومسلمين أعضاء في هيئة

التدريس .

وسواء مارس عمله الارهابي (الشيترن) داخل الأراضي الفلسطينية وخارجها أم لم يمارسه فإن اتصالاته الشخصية والعلمية والجامعية بالعديد من العرب على المستويات المختلفة ، ومعرفة بعضهم بعضويته الإرهابية ، وتردده باسم العلم والجامعية بين مصر والقدس من غير قيود ولا حساب ، ينوه بعمق المداخلات الصهيونية وأخطارها في أرض الكنانة وفي قمة المؤسسات الفكرية فيها ، في الوقت الذي تتشوق فلسطين الى حمايتها والمحافظة على عروبة أهلها وتقدم حركاتها الشهداء تلو الشهداء مثل حركة الشهيد عز الدين القسام لتحريرها من السيطرة الانكليزية والصهيونية ١٩٣٥ ، وحركات الحاج أمين الحسيني وتأليفه جيش الجهاد المقدس ١٩٤٧ بقيادة الشهيد عبد القادر الحسيني ، وحركات تحريرية أخرى لم تبخل بالأموال والدماء .

٧ ـــ في الجامعة المصرية : ويبدو من ترشيح ماسينون له ضمن مذكرة أشاد فيها بمناقبه ومايؤمل منه ، نفوذ ماسينون أستاذ د / طه حسين ، عليه وعلى كلية الآداب وبخاصة بعد خروج سلفه اليهودي أيضاً اسرائيل ولفنسون (أبو ذوئيب) ١٩٣٧ ، فقد دخل الى الجامعة ١٩٣٦ مفضلاً التدريس فيها على التدريس في الجامعة العبرية التي عرضت عليه العمل سابقاً (بسبب الامكانات الهائلة المتوافرة للبحث في تاريخ العلوم في القاهرة : سواء من حيث المخطوطات حيث تشتمل دار الكتب المصرية ، وخصوصاً مكتبتا تيمور وطلعت بدار الكتب على مخطوطات فريدة في هذا الميدان)[٣٥] .

وهو تبرير غير مقبول بالنسبة الى كراوس الذي يستطيع ارتياد هذه المكتبات في كل وقت دون حاجزاً أو عائق ولكنه تفضيل مقصود لغايات استشراقية وصهيونية لا تتحقق له إحداها على الوجه المطلوب فيما إذا كان بعيداً عن مصر وجامعتها ، وطلابها وأساتذتها .

وعلى كل حال فقد حاضر (كراوس) في المستويين الجامعيين : مستوى

الإجازة ، ومستوى الدراسات العليا ، وكان الدكتور البدوي من طلابه المستمعين ، وذلك في سنة ١٩٣٨ الى ١٩٤٢ .

ويفترض أن معرفته باللغات المتنوعة القديمة والحديثة من أكبر العوامل التي ساعدته في استمرار تدريسه حتى انتحاره ، فقد عرف الألمانية والفرنسية والعبرية والسريانية واليونانية الى جانب معرفته العربية ، مما مكنه من المقارنة بين العربية واللغات السامية ، وتدريسه التراث اليوناني والكتاب المقدس بلغته العبرية .

ولا ريب أن صلته الجامعية بالأساتذة والطلاب أكسبته أبعاداً جديدة في العلاقات الموطدة كزميل بين زملائه ، وأستاذ بين طلابه ، استمرت هذه الصلة الى النهاية .

وإذا تساءلنا عن مثل هذه الصلات فإن أخبارها معروفة ومتداولة من غير ماحرج أو تضييق ، ولها مايبررها لدى عميد الأدب حينذاك ، ولكن التساؤل يطرح نفسه بقوة : مامدى صلة د / طه حسين باليهودية المحتملة أو المفترضة ؟ وهل قبله عضواً في كلية الآداب بسبب تقديره لأستاذه ماسينون وترشيحه له فقط ؟ وفي كلتا الحالتين مامدى كفاءات كراوس العلمية في المجال البحثي والتدريسي ؟

إن معظم الأعمال التي قام بها كراوس مشبوهة ، فقد عمل مقالات في تاريخ **الإلحاد** في الاسلام ، وابن المقفع ، وأخبار الحلاج ، وشروحاً للكتاب المقدس .

ثم إن مدى الصلات بين ماسينون وكراوس من ناحية وصلة ماسينون بكلية الآداب وبالدكتور طه حسين من ناحية ثانية وصلة الجامعة بفئة من أساتذتها وعمدائها بالأحداث العربية وفي طليعتها القضية الفلسطينية ، تقوي مثل هذه التساؤلات وتطبع في حياة قادة الفكر والأدب الجامعيين سمات سياسية استعمارية فيها الكثير من الممالأة الأجنبية الى جانب الأبعاد الفكرية والعلمية التي استخدمت لصالحها ومن أجلها .

ومهما يكن لهذه التساؤلات أو الافتراضات نصيب من الصحة والصدق فإن

واقعيتها تفرض وجودها على الساحة الفكرية والسياسية كما تفرض دعم نشاطاتها المتنوعة في المجالات الجامعية وفي خارجها .

واحتضان كراوس وأمثاله عمليات وواقعيات ، من قبل المستشرقين والمستغربين في البيئة العربية يحمل في طياته طوابع من التبعية للفكر الأجنبي ، وعمالة للسياسة الاستعمارية أياكانت التساؤلات والافتراضات .

٥ — **لاووست** Loust, H (ولد ١٩٠٥) فرنسي اختص بمصنفات ودراسات عن لهجات البربر في المغرب ، وانضم إلى المعهد الفرنسي بالقاهرة (١٩٣١ — ٤٤) وعين مديراً له (١٩٤١) وأستاذاً في جامعة ليون (١٩٤٥) ، ثم ولي كرسي الاجتماع الإسلامي في معهد فرنسا (١٩٥٦) ، ونال أوسمة عدة بينها أوسمة عربية ، وانتخب عضواً في مجامع كثيرة منها : المجمع العلمي بدمشق (١٩٥٦) .

ومن آثاره : الخلافة على مذهب رشيد رضا (١٩٣٨) ، ابن حنبل (١٩٥٦) ، والطرائف الأولى لمذهب الحنابلة (١٩٥٧) ، وكتابات متعددة عن ابن تيمية ... وأعمال المجمع العلمى العربي بدمشق من ١٩٢١ — ١٩٥٠ ، وسقته هنا نموذجاً لمستشرق جامعي في غير الجامعات العربية الإسلامية بالإضافة الى أنه مجمعي في مجمع دمشق .

عالج (هنري لاووست) قضايا إسلامية من خلال الواقع الغربي ومفهومه عنها ، ومن خلال آراء (ابن تيمية) مع التباس في مفهومها ودلالتها . بالإضافة إلى استنتاج هذه القضايا من واقع المسلمين المتقلب .

١ — فعلم السياسة نشأ في الغرب على نمط اليوتوبيا[1] ، منذ جمهورية أفلاطون الى يوتوبيا توماس مور ، ولكن علماء الإسلام في أبحاثهم ذات الصبغة السياسية والاجتماعية عالجوا واقعاً ماثلاً أمامهم ، محققاً في أنظمة مطبقة ، وماكان لهم أن يفترضوا فروضاً وعندهم حقائق مقررة تصرفهم عن مثل هذه الفروض ...

٢ — وظن المؤلف (لاووست) وله عذره أن ابن تيمية ، يشبه فلاسفة السياسة

الغربيين ... وبهذه النظرة نرى الحكم الخاطئ للمؤلف عندما ظن أن نظريات الشيخ كانت محاولات لتبرير الأمر الواقع ، ومأأبعد ذلك عن الصواب ....

٣ ــ لذلك من علامات الاستفهام التي تحتاج الى اجابة، مالاحظناه من الإساءة المتعمدة لشيخ الاسلام واتهامه بالتجسيم ، وترويج كتب خصومه واذاعتها في الأروقة الجامعية ، وعلى مستوى عامة القراء ...

٤ ــ ومانأخذه عليه في الباب الأول استغراقه في شرح الآراء الشاذة في العقيدة ، وتنبيه لآراء جهم والمعتزلة والأشاعرة ، محاولاً وضع أفكار ابن تيمية وسط هذا الخليط بحيث يصعب على القارئ تمييز صحيحها من سقيمها ...

ومجاراة للخطأ الشائع ، ظن (لاووست) ان الشيخ يرى إنشاء حكومة دينية ــ أى ثيوقراطية بالمصطلع الغربي ... الذي نقله التاريخ عن أوربا في القرون الوسطى ، عندما حاولت طبقة رجال الدين أن تمسك بزمام السلطة السياسية العليا ...

٥ ــ وهناك أمران لابد من توضيحهما :

الأول : مافهمه (لاووست) والتبس عليه عند حديث ابن تيمية عن الإرادة الإلهية ، أنها اخص الصفات وهو مالم يقله الشيخ سوى وقوفه عند النصوص الشارحة لأفضلية بعض الصفات عن البعض الآخر .

الثاني : اتخاذ المؤلف قوله تعالى (وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) أصلاً في نظام ابن تيمية الاجتماعي والسياسي والأخلاقي مع عدم التفريق بين العبادة التي تتضمن معنى الذل ومعنى الحب ، وبين الدين ــ وهو داخل في العبادة مستنداً إلى حديث جبريل في الصحيح الذي يقول (هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم) ، ويتضمن معنى الخضوع والذل .

ومع أن ابن تيمية يدخل في دائرة العبادة كافة الأنشطة الإنسانية في مجالات السياسة والاجتماع والاقتصاد وغيرها فانه يستبعد مايفهمه البعض من الآية أن العبادة وردت على سبيل الاجبار والعسر[٣٧] وربما قصد (لاووست) كما قصد سواه من

المستشرقين الاستعماريين مثل : لامانس ، أن يبرز أفكار (ابن تيمية) في السياسة والاجتماع المناهضة للاستعمار الفرنسي في بلاد الشام والمغرب العربي بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، فقد أوقف (هنري كوربان) و(ماسينون) معاصر (لاووست) أعمالهما السياسية على الجهود الفكرية الفلسفية في التصوف الإشراقي عند السهروردي والحلاج المقتولين .

وإلى جانب هذا الغرض السياسي الذي يلوح في دراسته لأفكار ابن تيمية فإن ماعرض له من قبل ينبيء عن خلط فكري عقدي بين امام مسلم وبين نظريات فلسفية غربية ليس بينهما أية صلة في المنطلق والمضمون والهدف ، كما أنه ليس بينهما أية علاقة في الواقع والتطبيق .

ولا حاجة بنا الى أن ننوه بالأمانة العلمية المعتبرة عند ابن تيمية في نقوله عن كتب خصومه وإن فسرها (لاووست) أنها ترويج لأفكارهم وكتبهم ، فالموضوع ليس دعاية وإنما هو تحقيق ودراسة . ولكن تعتيم (لاووست) (السلفية) عند ابن تيمية في خضم الأقوال والآراء الشاذة الأخرى لايشوه إمامته فيها ، وذلك على الرغم من انحراف دعواه في نسبة التجسيم والثيوقراطية (الدينية) الى سلفية ابن تيمية والتزامه بالنصوص .

٦ ــ وفي القسم الأول الذي عقده لاووست في الدعائم الدينية في مذهب الاجتماع السياسي الذي نقلنا جانباً من نظراته الخاطئة في الكلام السابق نسوق في الفصل الرابع الذي عقده في أصول الفقه مايلي :

أ ــ موقف ابن تيمية من الإجماع : فان (لاووست) ظن ان ابن تيمية هوّن من قيمة الإجماع كأصل من أصول الفقه . ولكنه لم ينتبه إلى ختام رسالته (معارج الوصول) بتأكيد أن الإجماع الصحيح لايعارض كتاباً ولا سنة ، ويقول : فكل ماأجمع عليه المسلمون إجماعاً ظاهراً يعرفه العامة والخاصة فهو منقول عن نبيهم ﷺ لم يحدث ذلك أحد بعده لاجتهاده ولا بغير اجتهاده ... ثم يقول : والأمة لا تجتمع على ضلالة ، بل لا يزال في أمته طائفة قائمة بالحق حتى تقوم الساعة[٣٨] ...

ب ـــ موقفه من القياس : فقد شوهه (لاووست) تشويهاً كبيرا عما عرف عن ابن تيمية ، فهو يقول . ولا تستغنى عقيدة ابن تيمية عن منهجه الأصولى ، كما لم تستغن نظرياته في الغيبيات عن منطق ارسطو[٣٩] .

ولكن المعروف أن ابن تيمية ألف في : الرد على المنطقيين يذكر فيه اختلاف (القياس) الأصولي عن (القياس) المنطقي الأرسطي ، ويدعو إلى (طريقة القرآن) وكان يقول ، والقياس الصحيح هو العدل الذي أمر الله تعالى به[٤٠] ، ثم يقارن بين أدلة المناطقة والآيات القرآنية .

ج ـــ المصالح المرسلة : يقول (لاووست) : ان مبدأ الحل الوسط يسمح بعدم رفض أية بدعة جديدة رفضاً مسبقاً ، وإنما يدعو الى العلاج على تهذيبها بالتوفيق بينها وبين مبادىء الشريعة العامة ، وهكذا نرى ابن تيمية رغم تشدده في نقاط معينة في العقيدة والأخلاق يصل الى درجة كبيرة من المرونة في فكرته عن (البدعة) ، وهو يستخدم العرف استخداماً رحباً[٤١] .

فهل يشير (لاووست) في كلامه عن وسطية الإسلام أنه مهذب وموفق من شرائع سابقة كما يقرره الآخرون ؟

ويقول مقدم الكتاب : وماوصل اليه ظلم بيّن لشيخ الإسلام ونظرة غير صحيحة على الاطلاق ، وإذا أكمل قراءة العبارة لفهم المراد ، ولم يحكم هذا الحكم ، اذ يقول ابن تيمية : وربما قدم على المصالح المرسلة كلاماً بخلاف النصوص ، وكثير منهم من أهمل مصالح يجب اعتبارها شرعاً بناء على أن الشرع لم يرد بها ، ففوت واجبات ومستحبات ، أو وقع في محظورات ومكروهات ، وقد يكون الشرع ورد بذلك ولم يعلمه ....

فابن تيمية لاينكر (المصالح المرسلة) لذاتها ولا لمنافعها ولكنه ينكر على أولئك الذين يستخدمون هذا الأصل استخداماً سيئاً ، فيحرمون ماأحل الله أو يحلون ماحرمه الله أو يفتاتون على الاسلام بما ليس فيه ، وبخاصة الأمراء والسلاطين والملوك الذين زينوا العمل بها زاعمين انها تحقق منافع وتدفع أضراراً ، فهو لهذا يقف موقف

المتريث ويشكك في المصالح المرسلة ويتردد في القول والأخذ بها الا بعد التثبت وعن بينة[٤٢] .

ويؤكد النتيجة نفسها الشيخ أبو زهرة بتوسع يشمل إفراط بعض الصوفية ، والفوضويين والمبتدعين في العقائد والأعمال مع ماكان يتخذه الحكام بابا للظلم وارهاق الناس وانزال الأذى بهم في أموالهم وانفسهم وقد اتخذت المصلحة سبيلاً لذلك[٤٣] .

٧ ـــ على أن الفهوم القاصرة والمنحرفة التي ساقها (لاووست) عن أصول عقيدية في آراء ابن تيمية السياسية والاجتماعية لاتمنع من إبراز فهمه الموفق في الوحدة الإسلامية التي تمثلها الأمة بتضامن أفرادها وارتباطها بعقيدة واحدة وشعورها بالأخوة التي تضم جموع المؤمنين منذ بعثة النبي ﷺ الى يوم القيامة في ظل مثل أعلى واحد ومن أجل مصير واحد ...)[٤٤] .

ولكن (لاووست) يردد في كتابه الثاني مسألة (الأقليات الدينية) ضمن الجماعة الإسلامية ويلح على قسوة الإجراءات الأمنية ضدها في ظل الحروب الطاحنة من الصليبيين التتار ، مع أنه يعلم برسالته القبرصية التي يقول فيها ، نحن قوم نحب الخير لكل أحد ، ونحب لكم (ملك قبرص) أن يجمع الله لكم خير الدنيا والآخرة ... ثم ذكر طلب ابن تيمية من التتار إطلاق سراح المسلمين واليهود والنصارى الذين هم أهل زمننا ... وأطلقنا من النصارى من شاء الله ، فهذا عملنا وإحساننا والجزاء عند الله)[٤٥] .

جدول بالمستشرقين الجامعيين وأهم نشاطاتهم

ومن المناسب أن اتمم البحث عن المستشرقين الجامعيين بالجدول التالي الذي يبرز أهم فعالياتهم الجامعية وأشهر أعمالهم خارج الجامعة ، مع الاشارة الى معظم شبهاتهم وافتراءاتهم ، ثم استخلص منه بعض النتائج الهامة .

م المستشرق	حياته	بلده	البلد التي عمل بها	أعمال أخرى
١ ــ أرنولد ــ توماس Arnold, Thomas	١٨٦٤ ــ ١٩٣٠	انكليزي	جامعة عليكرة الجامعة المصرية	عميد في مدرسة اللغات الشرقية بلندن
٢ ــ ايفر ــ ج Vuen, G	معاصر	فرنسي	كلية الاداب بالجزائر	مؤلفاته عن المغرب والجزائر وعلاقاتهما بفرنسا
٣ ــ باسيه رينه Basser, Renet,	١٨٥٥ ــ ١٩٢٤	فرنسي	استاذ وعميد كلية بالجزائر .	رئيس مؤتمر المستشرقين في الجزائر (١٩٠٥)
٤ ــ باسيه هنرى Basset, H	١٨٩٣ ــ ١٩٢٦	فرنسي	معهد الدراسات بالرباط	انشأ مجلة الدروس المغربية والبربرية المعروفة باسم (هسبيروس)
٥ ــ بروفنسال ــ ليفي Provença I.L	١٨٩٤ ــ ١٩٥٦	فرنسي	استاذ في معهد الرباط للدراسات العليا وكلية الآداب بالجزائر	كلفته فرنسا بمهام خطيرة بين لندن والقاهرة والقدس ودمشق
٦ ــ بلاشير ــ ر . ل Blachér, R,L	١٩٠٠ ــ ١٩٧٣	فرنسي	استاذ في معهد مولاي يوسف بالرباط	مدير معهد الدراسات بالرباط ومجمعي بدمشق
٧ ــ بليته ــ فر Peltier, F		فرنسي	استاذ بكلية الحقوق بالجزائر	مؤلفاته في الاسلاميات
٨ ــ بوجسترا ــ ج	١٨٨٦ ــ ١٩٣٣	ألماني	استاذ في جامعة استنبول والجامعة المصرية	دون انغام القرآن في نوتة كثير الانتاج ، ومعظمه في الاسلاميات ، التاريخ
٩ ــ بوسكه ــ ج .هـ Bosquet, G.H		فرنسي	كلية الحقوق بالجزائر	غزير الانتاج ومتنوعه
١٠ ــ بيرشه ــ ليون Bercher, h	١٨٨٩ ــ ١٩٥٥	فرنسي	مدير معهد الدراسات العليا بتونس	ضابط ــ انتاجه في الاسلاميات

م	المستشرق	حياته	بلده	البلد التي عمل بها	أعمال أخرى
١١	بيريس — هـ Pérés, H	١٨٩٠	فرنسي	كلية الآداب بالجزائر	متوسط الانتاج في الادب والتاريخ
١٢	بيرن — جاك — هـ Pirenne,J	١٨٩١	بلجيكي	معيد بجامعة القاهرة	مجمعي القاهرة — استاذ شرف بجامعة جنيف — مستشار الملك ليوبولد الثالث ١٩٤٢ .
١٣	جرمانوس عبد الكريم Germanus, J	١٨٨٤	مجري	محاضر في عواصم عربية واسلامية	اسلم في مسجد دلهي الأكبر
١٤	جروهمان — أدولفا Grohman, A		ألماني	كرسي التاريخ في جامعة القاهرة ١٩٥٤	متخصص بتحقيق أوراق البردي العربية المحفوظة بدار الكتب
١٥	جريجوار — هـ Grégoire, H	١٨٨٨	بلجيكي	عميد كلية الآداب بالجامعة المصرية (١٩٢٦ — ٣٠)	معظم انتاجه في التاريخ
١٦	جريفيني — أوجينو Griffini, E	١٨٧٨ — ١٩٢٥	ايطالي	مدير المكتبة المصرية حتى وفاته	أمين اركان حرب طرابلس (١٩١١ — ١٣) — مجمعي بدمشق
١٧	جولينسيف G		روسي	استاذ التاريخ المصري القديم في الجامعة المصرية	نشر كاغداً مصرياً بعنوان : ورق البردي الهيراتيقي بمتحف لرميتاج (١٩١٣)
١٨	جويدي — اغناطيوس Guidi, Ignazic	١٨٤٤ — ١٩٣٥	ايطالي	استاذ الأدب في الجامعة المصرية (١٨٠٨)	عضو بمجلس الأعيان بروما
١٩	جويدي — ميكلانجلو Guidi, M	١٨٨٦ — ١٩٤٦	ايطالي	استاذ الأدب في الجامعة المصرية (١٩٢٦)	وسط الأنتاج في الأدب والتاريخ

م	المستشرق	حياته	بلده	البلد التي عمل بها	أعمال أخرى
٢٠	جيبج — ب Guigues, Dr, P		فرنسي	جامعة القديس يوسف	طبيب — انتاجه في الطب والصيدلة
٢١	جيوم — الفرد Guillame, A	١٨٨٨	انكليزي	الجامعة الأمريكية واستنبول	مجمعي بدمشق والعراق
٢٢	دى الفرني — الأب D'Alverny, P, A	١٩٠٧	فرنسي	مركز الدراسات في بكفيا القديس يوسف	من الآباء اليسوعين
٢٣	دي جالارثا — الكونت Cde, Gualarza		اسباني	استاذ الفلسفة بالجامعة المصرية	قليل الانتاج في الفلسفة
٢٤	روجيه — ل Rougien, L		فرنسي	الجامعة المصرية	قليل الانتاج في الفلسفة
٢٥	روسيني — كونتي Rossini, Conti,C	١٨٧٢ — ١٩٤٩	ايطالي	الجامعة المصرية	انتاجه وسط في تاريخ اليمن والحبشة
٢٦	رويمر — هـ — ر Roemer, H, R	١٩١٥	ألماني	مدير معهد الدراسات الاسلامية ببيروت	مدير معهد الآثار الألمانية في القاهرة
٢٧	ريكار — ر Ricard, R	١٩١١	فرنسي	استاذ معهد الدراسات العليا بالرباط	متوسط الانتاج في التاريخ المغربى وأثر العرب في اسبانيا والبرتغال

م	المستشرق	حياته	بلده	البلد التي عمل بها	اعمال اخرى
٢٨	سارتون ـــ جورج Sarton, G	١٨٨٤ ـــ ١٩٥٦	بلجيكي المولد امريكي الجنسية	كلية المقاصد بيروت ـــ الجامعة الامريكية بيروت	عضو في عشرة مجامع ـــ ومنها مجمع دمشق
٢٩	سانتيلانا ـــ دافيد Santillana, David	١٨٥٥ ـــ ١٩٣١	ايطالي	استاذ تاريخ الفلسفة في الجامعة المصرية	اشترك في اعداد القوانين التونسية المدنية والتجارية
٣٠	سبياس ـــ أوتو = شبياس، أوتو Spies, O	١٩٠١	ألماني	جامعة عليكرة الاسلامية	مدير المعهد الشرقي ورئيس معهد اللغات الشرقية في (بون)
٣١	سبير ـــ أى Speiser, E, A	١٩٠٢	امريكي	استاذ بالمدرسة الامريكية ببغداد	رئيس قسم الشرق الأدنى في فرع الأبحاث والتحاليل في مكتب التنظيمات العسكرية خلال الحرب .
٣٢	شاده ـــ أي Schaade, A	١٨٨٣ ـــ ١٩٥٢	ألماني	استاذ في الجامعة المصرية	مدير دار الكتب المصرية . له كتابات في الأدب المعاصر ـــ الشريعة .
٣٣	شاخت ـــ جوزيف Shasht, J	١٩٠٢ ـــ ١٩٦٩	ألماني	استاذ في الجامعة المصرية والجزائر	مجمعي بدمشق وغيره .

م	المستشرق	حياته	بلده	البلد التي عمل بها	أعمال أخرى
٣٤	شبولير — ب Spuler, B	١٩١١	ألماني	استاذ زائر في استنبول وأنقرة	زميل في مؤسسة روكفلر — مدير معهد الدراسات الاسلامية في جامعات هامبورغ — تخرج على يده عرب ومسلمون
٣٥	فارمر — هنري Furmer, H, G	١٨٨٢	انكليزي	موسيقي واستاذ في جامعة القاهرة — ومعهد الآداب العربية بتونس ومسلمون	رئيس لجنة الموسيقى في القاهرة . قليل الانتاج في الرجال والتصوف
٣٦	فانديك — أدوار (الابن) Vandych, AEd		امريكي	استاذ الأنكليزية في الجامعة المصرية	بعض تراجم في الفلسفة والاساطير
٣٧	فانديك — كرينيوس Vanyek,C	١٨١٨ — ١٨٩٥	أمريكي الجنسية هولندي الأصل	الجامعة الامريكية ببيروت	قليل الانتاج في العلوم .
٣٨	فرانسيكوروسي Francesco-Rossi	١٨٢٧ — ١٩١٢	ايطالي	متخصص في الآثار المصرية بالمتحف المصري	استاذ في جامعة (تورينو)
٣٩	فليش الأب Fleisch, P,H	١٩٠٤	فرنسي	استاذ فقه اللغة الشرقية والعربية في معهد الآداب الشرقية . بيروت .	يسوعي

م	المستشرق	حياته	بلده	البلد التي عمل بها	أعمال أخرى
٤٠	فيلبي ـــ هـ . س Phillby, H, S J.B	١٨٨٥ ـــ ١٩٦٠	انكليزي	استاذ زائر في الجامعة الامريكية ببيروت	له وظائف وأعمال سياسية عديدة
٤١	فييت ـــ ج Wiet, G	١٨٨٧	فرنسي	استاذ الأدب في الجامعة المصرية	ضابط ومترجم وسياسي
٤٢	كراوس Kraus-Panl	١٩٠٤ ـــ ١٩٤٤	تشيكي	استاذ السامية في الجامعة المصرية	صهيوني ـــ عضو في عصابة شيترن
٤٣	لاتور . ايت Lator, Et	١٩٠٤		استاذ معهد الآداب الشرقية بيروت	يسوعي ـــ وسط الانتاج في الأديان والاستشراق
٤٤	لانس هنري Lammens-Henri	١٨٦٢ ـــ ١٩٣٧	بلجيكي	استاذ في اليسوعية ببيروت	مدير مجلة (الشرق) ـــ يسوعي متطرف
٤٥	لانداو Landau, R		انكليزي	رئيس قسم في الجامعة المصرية	نحات وناقد ـــ مجمعي بدمشق
٤٦	لورين ـــ هـ Lorin, H		فرنسي	استاذ الجغرافية في الجامعة المصرية	سياسي
٤٧	نلسلا ـــ هنري Massé, H	١٨٨٦ ـــ ١٩٦٩	فرنسي	استاذ في جامعة الجزائر	مدير المعهد الفرنسي بالقاهرة ـــ مجمعي بدمشق
٤٨	ماسينون لويس Masscinon-louis	١٨٨٣ ـــ ١٩٦٢	فرنسي	استاذ تاريخ المذاهب الفلسفية في الجامعة المصرية	سياسي في وزارة المستعمرات الفرنسية متخصص في التصوف

م	المستشرق	حياته	بلده	البلد التي عمل بها	أعمال اخرى
٤٩	مارسة — وليم Marcais, W	١٨٧٤ — ١٩٥٦	فرنسي	مدير إستاذ في مدرسة تلمسان	استاذ في معهد فرنسا والدراسات العليا بباريس
٥٠	موترد — بولس (الأب) Mouterde, P. P	١٨٩٢	فرنسي	جامعة القديس يوسف ببيروت	يسوعي
٥١	موترد — رينه (الأب) Mouterde, P, R	١٨٨٠	فرنسي	عميد كلية الحقوق الفرنسية ببيروت	يسوعي
٥٢	نللينو — كارلو Nallino, C, A	١٨٧٢ — ١٩٣٨	ايطالي	استاذ الفلك والأدب في الجامعة المصرية	مجمعي بالقاهرة ودمشق — رحالة
٥٣	وطسون — تشارلز Watson C		امريكي	من رؤساء الجامعة الامريكية ببروت	له : الاسلام في سومطرة (١٩١٣) الوطنية والأسلامية (١٩٢٦) .

دراسة وتعقيب :

اذا كانت الجامعات اعلى المستويات العلمية المنهجية المبرمجة فإن خريجها حملة العلوم والمعارف والآداب مراكز اشعاع فكري محلي وعالمي ، تقع عليهم مسئوليات تثقيفية وتربوية قد حملوها من أساتذتهم وتحملوها لينقلوها الى الأجيال القادمة .

ومهما قيل من ضعف الأثر الفكري العقدي في شباب الجامعة بالنسبة الى المراحل الثانوية فإن الالتزام بافكار معينة ومشبوهة ومطروحة في أساليب مقنعة يلاحظ في أحيان كثيرة داخل الجامعة وخارجها .

والأستاذ الجامعي الذي اعتلى منبرها وهو معني بمهمة تشويهية للتراث ، أو مهتم بتوهين القيم الفكرية الأصلية لايصعب عليه النفوذ الى ذهنية الشباب لأداء مهمته التى بعث أو استقدم من أجلها .

والمشكلة القائمة هي أن المستشرقين الذين يفترض فيهم أن يقدموا معارفهم ودراساتهم الموضوعية ينحرفون عن الوجهة السليمة الى تعليم الشبهات والافتراءات ضمن المعايير الأجنبية التي يكثر حولها النقاش والجدل .

ومهما اشتد تأثير المستشرقين الجامعي أو خف فإن فئة من تلامذتهم تحرص على اكمال وجهتهم والمضي في خطتهم .

والجدول السابق يكشف عن اهتمامات المستشرقين بالتعليم الجامعي وقد استغل الاستعمار سيطرته على البلاد العربية والاسلامية ليحكم قبضته على مقدرات شعوبها المادية والمعنوية .

واذا نجت بلدان عربية من غزو المستشرقين الفكري بشكل مباشر وحي فان تلامذتهم ومؤلفاتهم كفيلة أن تؤدى الدور المطلوب وتحقق الأغراض الاستشراقية وبأشكالها غير المباشرة .

ومن خلال تأملنا للجدول السابق يمكن استنتاج مايلي :

١ ـــ معظم المستشرقين الجامعيين من الأعلام المعروفين بنشاطهم الفكري العالمي الغزير ، وقد اختيروا من بين سائر المستشرقين ليحققوا نجاحات فكرية في الوسط الجامعي ، ومن هؤلاء : الفرنسيون (باسيه) رئيس مؤتمر المستشرقين في الجزائر ، وبرفنسال الاستاذ في كليات متعددة والمكلف بمهام حكومية خطيرة بين لندن والقاهرة والقدس ودمشق ، و(بلاشير) الاستاذ المجمعي في دمشق . و(جويري اغناطيوس) الايطالي عضو مجلس الأعيان بروما وغزير الانتاج ، و(شاخت) الألماني الاستاذ والعضو المجمعي في عدة مجامع عربية وأوربية ، و(سارتون) الامريكي اللأستاذ والعضو في عشرة مجامع ، و(عبد الكريم جرمانوس) المجرى المحاضر في عواصم عربية واسلامية وغزير الانتاج أيضاً ، و(الفردجيوم) الأنكليزي والمجمعي في دمشق وبغداد ...

وهؤلاء وغيرهم في اتقانهم لغات عدة ومنها العربية التى كانوا يحاضرون بها كان لهم أثرهم على الجيل المسلم الجامعي حيث تخرج على أيديهم المئات ممن تأثروا بهم أو لم يتأثروا .

٢ ـــ ويغلب على الجامعيين المستشرقين جمعهم أعمالاً ونشاطات فكرية أو سياسية أو إدارية . مما يرجح أن لكثير منهم مهمات جاسوسية الى جانب مهماتهم التزييفية .

ويدل على هذا أنهم لم يستقدموا لتدريس العلوم والطب والرياضيات التى كان الغرب متفوقا فيها وإنما كانوا يدرّسون علومنا ومالها صلة بالعقيدة ، والعربية ، والتاريخ ، والحقوق ، والفلسفة بالأساليب الاستشراقية المغرضة .

وجميع الشبهات التي عرفت في التراث الاسلامي قد طرحت في الوسط الجامعي من المستشرقين انفسهم أو من تلاميذهم .

فالشبهات حول ثبوت النص القرآني وسلامته ، وحول قدم الرواية المسندة في السنة النبوية ، عرفت من هؤلاء الجامعيين أو زملائهم .

ونحل الشعر الجاهلي ، وتشويه التاريخ الاسلامي ، وانحرافات الفلسفة عند الفلاسفة المسلمين ، والتركيز على الحقوق الرومانية والفرنسية للمواد والمبادئ التشريعية الإسلامية ، قد غزيت بها الجامعة قبل أية مؤسسة فكرية أخرى .

٣ ــ وضوح الأثر الثقافي الفرنسي وعمقه ، ثم الايطالي على الجامعة المصرية والمغربية وبخاصة في المجالات التشريعية والأدبية حيث اننا نجد حوالي عشرين مستشرقا فرنسيا حاضروا في جامعة واحدة أو عدد منها وسبعة ايطاليين كان لهم أثرهم الثقافي أيضاً .

ولا غرو فان المستشرقين الألمان وهم سبعة كان لهم دورهم في مصر والمغرب والهند وتركية ، إلى جانب اثنين من البلجيكيين وواحد روسي وآخر اسباني .

ويلاحظ ان امريكا قد دفعت بأربعة مستشرقين الى مصر ولبنان ، وواحد إلى بغداد ، أما الانكليز فان آثرهم قد توضع في بيروت واستنبول والقاهرة وبلغ شأوه في الهند عن طريق خمسة من مشاهيرهم .

ويلاحظ أيضاً أن قدوم المستشرقين كان يترافق مع نوعية أو جنسية الاستعمار العسكري غالباً ، فقد اشتد ساعد الاستشراق الفرنسي في مصر والمغرب العربي حين كانا مستعمرين ، وبرز جيل الدكتور طه حسين ، والدكتور احمد أمين والدكتور احمد لطفي السيد والدكتور عبد الرزاق السنهوري وعبد العزيز فهمى ، وأحمد حسن الزيات ، ولطفى المنفلوطى وغيرهم ، وقدموا ترجمات أدبية وتاريخية وحقوقية فرنسية ، وذلك على اختلاف فيما بينهم في التأثر شدة وضعفاً وانعداماً .

ولا يخفى أثر هؤلاء العمالقة في الأدب والتاريخ والفلسفة والتشريع على أجزاء كثيرة من العالم العربي والإسلامي .

كما برزت شخصيات أخرى عقب الاستعمار الانكليزي والألماني والروسي .

٤ ــ الجمع بين المناصب الإدارية والتدريسية : وإذا جاز جدلا استقدام محاضرين مستشرقين لغزارة علمهم والإفادة من مناهج بحثهم فهل يجوز استقدام إداريين جامعيين ، أو محاضرين جمعوا بين التدريس والعمل الاداري ؟ ومامعنى أن نرى

مستشرقا بلجيكيا مثل (جونجوار) عميد كلية الآداب بالجامعة المصرية ، و (لانداو) الانكليزي رئيس قسم فيها ، و(جريفيني) الايطالي مدير المكتبة المصرية ، ثم (رويمر) الألماني مدير معهد الدراسات الاسلامية ببيروت ؟ يضاف إلى هؤلاء مستشرقون جمعوا بين الأستاذية والعمادة مثل (باسيه) و(ماسيه) الفرنسيين ، حيث جمع الأول الأستاذية والعمادة في كلية الجزائر ، وجمع الثاني الأستاذية في كلية الجزائر ، وإدارة المعهد الفرنسي بالقاهرة ، والمجمعية بدمشق .

والأعجب من هذا وذاك أن يجمع مستشرق عملين في كلية أو مدرسة إسلامية كما فعل (مارسيه) الفرنسي الذي كان مديرا وأستاذاً في مدرسة (تلمسان) ، و(بلاشير) الفرنسي الجامعي للأستاذية في معهد مولاي يوسف بالرباط وادارة معهد الدراسات العليا بالرباط .

٥ ــ ومع الإشارة السابقة الى قيام كثير من المستشرقين الجامعيين بمهام سياسية وأحيانا جاسوسية فان إلقاء مزيد من الأضواء على هذا الجانب يكشف لنا اتجاهاً استعماريا خطيراً هو تسخير العمل الجامعي ورجاله ووسطه وفق الأغراض الاستعمارية العسكرية والفكرية . فالفرنسي (فييت) كان ضابطاً ومترجماً سياسياً وأنه استاذ الأدب في الجامعة المصرية ، والإيطالي (جريفيني) كان أمين أركان حرب طرابلس وأنه مدير المكتبة المصرية وعضو في مجمع دمشق . والبلجيكي (بيرين) كان مستشار الملك ليوبولد الثالث إلى أنه معيد بجامعة القاهرة وعضو في مجمعها . والانكليزي (فيلبي) كان له نفوذه الاستشاري في الأردن والعراق والسعودية ثم أصبح أستاذاً في الجامعة الأمريكية ببيروت .

والألماني (شيباس) كان مدير المعهد الشرقي ، ورئيس معهد اللغات الشرقية الشرقية في (بون) وهو استاذ في جامعة (عليكرة) الإسلامية .

أما الأمريكي (سبيسر) فكان رئيس قسم الشرق الأدنى في فرع الأبحاث والتحاليل في مكتب التنظيمات العسكرية خلال الحرب العالمية كما كان أستاذاً بالمدرسة الأمريكية ببغداد .

والايطاليان (جويدي) و(سانيتلانا) لهما أعمالهما السياسية والدستورية المعروفة .

إن أخشى مايخشاه الباحث امتهان القيم الفكرية والفضائل العلمية التي ينبغي أن تحملها الجامعات العربية والإسلامية والقائمين عليها ، وذلك بسبب ماتقوم به القمم الفكرية من وسائل مشبوهة تبعد الكثير منهم عن الروح الجامعية والأمانة العلمية ، خدمة لبلادهم ولسياستها الغربية . فتهدر بذلك كرامتها وكرامة الجامعة التي تعمل فيها .

٦ ــ وتبرز فعالية جامعية جديدة تحتضن الراهبية وتقوم بالتدريس في جامعات يغلب عليها طابع التنصير ولكنها أقيمت في أرض عربية واسلامية .

فالآباء اليسوعيون كانوا على اتصال دائم مع جامعة القديس يوسف سواء كان منهم المستشرقون أو غيرهم ، مثل ماكانت صلة الآباء البروتستانت بالجامعة الأمريكية ببيروت أيضاً .

ويبدو أن الصلات الدينية والعلمية بين هاتين الجامعتين والمستشرقين في أوربة وامريكا كانت تتعزز وتقوى **بإيفاد** العديد منهم ومن الغربيين عموماً ، إليها وإلى مؤسسات أخرى ــ فمن هؤلاء الأب (فليش) اليسوعي أستاذ فقه اللغات الشرقية والعربية في معهد الآداب الشرقية ببيروت ، وزميله (لاتور) مع أنه كان متوسط الانتاج في الأديان والاستشراق .

اما الأب (رينه موترد) اليسوعي الفرنسي فكان عميد كلية الحقوق الفرنسية والأب (بولس موتور) اليسوعي الفرنسي أيضاً كان استاذاً في جامعة القديس يوسف ، وزميله (دى القرني) فيها وفي مركز الدراسات في (بكفيا) .

وهؤلاء اليسوعيون الذين شاركوا بالتدريس في معاهد وجامعات كانوا يدينون بمعارفهم أو بزمالتهم للمستشرق الكبير (لامانس) المعروف بغزارة انتاجه وتطرفه في الاستنتاج وتعصبه المشين ضد العروبة والاسلام .

و(لامانس) و(جولدزهير) و(شاخت) وغيرهم كانوا على صلات علمية وتنصيرية دائمة مع الجامعة اليسوعية كما كان مستشرقون منصرون أو متهودون على صلة علمية ودينية متتابعة مع الجامعة الامريكية ، واذكر منهم على سبيل المثال (بلش) و(وطسون) من رؤسائها ، و(الفردجيوم) و(فيليبي) الانكليزيين و(فانديك) وغيره من الأمريكيين .

٧ ـ **وكنتيجة عامة** : فان الجامعات العربية والاسلامية على قلتها وحداثة تأسيسها استحوذت على أكثر من خمسين مستشرقاً من البلدان الأوربية والأمريكية والسوفيتية ، لم يكن جميعهم أو كلهم قد حملوا ألقاباً علمية رفيعة مثل الماجستير والدكتوراة ، وانما كان انتاجهم الأدبي والعلمي وروحهم التنصيرية والتلمودية ، واتجاههم السياسي والجاسوسي أحياناً ، قد جعلهم رواداً للثقافة العربية ومرجعا في التراث الاسلامي لفترة ليست بالقصيرة ، واستطاعوا من خلالها أن يخرجوا فئات مغربة لم تكن أقل حماسة وتقديرا لقيم الغربية وثقافتها .

ومهما قللنا من الآثار الفكرية في هذه الفئات العربية فان مما ينبغي ملاحظته أن صفوة المستشرقين الجامعيين وأعلامهم كانوا يضعون اهتماماتهم السياسية والقومية في مقدمة الاهتمامات العلمية الجامعية .

فاذا توضحت هذه الصورة بزحفها الفكري الغربي أدركنا خطورة الاستعمار الأجنبي في الفكر العربي المسلم وبخاصة في الجيل الذي بهرته مناهج المستشرقين ودراستهم ، مع أنها في الحقيقة بعيدة الصلة عن الموضوعية والمنهجية في بواعثها وأغراضها .

ان ماذكرناه آنفاً من نشاط المستشرقين السياسي والإداري والمجمعي بالإضافة إلى العمل الجامعي يقرر الصورة الواقعية والمشاهد للناس ، أما الصورة الخفية لأعمال المستشرقين المعروفين ولغير المعروفين في السياسة والجاسوسية فان أبرازها ليست من مهمة الباحث المتتبع ولا الجامعي الملتزم وانما هي مهمة تتصل بأعمال كثيرة من أمثالهم المرتبطين بأجهزة الاستخبارات وفروعها السرية .

وفي ختام البحث يحسن أن ننوه بمقال الطيباوى في اتجاه المستشرقين الجامعيين السياسي والمغرض فيقول فيه : وجميعهم يؤخذون باعتبارهم متوفرين على النشاط الأكاديمي الذي يحمل في ذاته التبرير والجزاء . والمستشرقين يعملون بالطبع خلال اضطلاعهم بواجباتهم المعتادة على تدريب دبلوماسيين ومبشرين ورجال أعمال بجانب جهودهم في العمل على استدامة بقاء نوعهم بتدريب من يخلفهم في التدريس والبحث . ومن هنا تكون اهمية مايحملونه من (ايدلوجية) بالنسبة لما يخلفونه من آثار وما ينطبع منهم على غيرهم(٤٦) .

من مراجع البحث وهوامشه :

(١) المستشرقون ٣ / ١١٦٥ د / نجيب العقيقي ، (٢) لويس شيخو في الآداب العربية ج ٢ ، فصل المستشرقون نقلا عن مجلة الشرق ، وانظر المستشرقون السابق ١ / ١٩٢ و ١٩٩ في ترجمة (برينيه) ، (٣) سبق القول عن مصادر الترجمات ، (٤) من تعليق محمد المبارك في كلية الشريعة سنة ١٤٠٠ عن المستشرقين ، ويقول : هذه النظرية أخذها د / طه حسين في كتابه : من حديث الشعر والنثر ، (٥) الأدب الجاهلي ص ٩ ــ ١١ ، وانظر تحليلاً لكتاب : مجد الاسلام : فبيت ، بقلم د / حسين مؤنس ، ألحق بكتاب : الفكر الاسلامي الحديث : د : محمد البهي . (٦) د / شوقي ضيف في الأدب العربي المعاصر ، ومعلوم أن لويس ماسينون الفرنسي استاذ الفلسفة فيها ، (٧) المستشرقون السابق ١ / ١٤٩ ، (٨) عاش ١٧٧٩ ــ ١٨٤٥ ، (٩) ١٨٠٠ ــ ١٨٤٣ ، (١٠) والايطالي : روسيني ١٨٧٢ ــ ١٩٤٩ ، وهناك سبعة اساتذة ايطاليون . (١١) ستأتي ترجمتهم ، (١٢) الأعلام : الزركلي ، (١٣) أنور الجندي في : طه حسين حياته وفكره في ضوء الإسلام : ٣٤ ، ٣٦ ، ٦٦ ، ٦٧

(١٤) انظر الاتجاهات الوطنية ١ / ٦٧٨ و ٢ /٢٦٨ د / محمد محمد حسين ، (١٥) المبشرون والمستشرقون السابق ص : ١٦ من غير تعيين زمن الولادة والوفاة ، ولم أعثر عليه في مصدر آخر ، (١٦) تأسس معهد الحقوق قبل عام ١٩١٨ ، (١٧) انظر مصطلح (معهد) في الموسوعة العربية الميسرة ، (١٨) مناهج المستشرقين ١ / ٣٨٨ حاشية ، (١٩) السابق ١ / ٤٢ ، (٢٠) السابق ١ / ٤٣ حاشية وانظر تعليق د / التهامي المفصل ، (٢١) في تفسير الطبري للآيات (٢٢) اعتمدنا بشكل رئيسي في ترجمته على موسوعة المستشرقين د / البدوي (٢٣) ٢ / ٣٠٨ (٢٤) السابق ١ / ٣٦٥ (٢٥) السابق ١ / ٣٥٥ (٢٦) السابق ١ / ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، (٢٧) السابق ٢ / ٢٩٠ ، (٢٨) السابق أيضاً (٢٩) من ص ١٠٠ ــ ١٠٨ ، (٣٠)

السابق : ٢٥٩ ، (٣١) موسوعة المستشرقين ، (٣٢) انظر كتاب الدوميلي السابق ص ١٠٢ ، (٣٣) انظر السابق ص ١١١ (٣٤) موسوعة المستشرقين ، عند ترجمته ، (٣٥) السابق (٣٦) وتعني باليونانية : لامكان ، وجعلها توماس ١٥١٦ عنواناً لكتابه الذي صور فيه دولة مثلى ، ثم اصبحت وصفاً لكل كتاب هذا مبحثه . (الموسوعة العربية الميسرة) . (٣٧) مقتبس من مقدمة : نظريات شيخ الاسلام في السياسة والاجتماع ترجمة محمد عبد العظيم علي ، وتقديم د / مصطفى حلمي من ص ٩م ، علما ان كتاب (لاووست) عن ابن تيمية هو من أصل محاضرة ألقاها في المجمع العلمي العربي بدمشق ، (٣٨) السابق ص ٣٧م ، وانظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ايضاً ١ / ١٢٥ ، (٣٩) كتاب لاووست السابق ص ٢٩م ، (٤٠) في كتاب الرد على المنطقيين ص ٣٧١ ، (٤١) ص ١٣٥ من الكتاب و ٣٩م ، (٤٢) انظر : ابن تيمية . د / محمد يوسف موسى ص ٤٩٨ ، (٤٣) السابق ص : ٤٩٨ ، (٤٤) كتاب لاووست ص ٤٥ م ، (٤٥) السابق من الرسالة القبرصية . (٤٦) ملحق كتاب : الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار د / البهي ٤٨٣ .

ثالثاً

مستشرقون مجمعيون

تطلعت القيادة الفكرية في العالم العربي إبان النهضة الحديثة إلى تطعيم المؤسسات الفكرية العربية بعناصر استشراقية واستعرابية ورفدها بأفكار ومناهج ودراسات أجنبية تواكب التطور المنهجي والتقدم العلمي الحديث ، وقد صادفت أو لقيت هذه التطلعات رغبات قوية لدى الدول الغربية والشرقية بابتعاث خبرات فكرية وتنظيمية إلى الشرق العربي والإسلامي بدوافع الاستعمار المعروفة تحت شعار تبادل المعرفة وإشاعتها لمصلحة الإنسان في أي مكان .

وفي مقدمة المؤسسات الفكرية الجامعات والمجامع اللغوية التي تعنى للمستعربين اتصالاً مباشراً بالثقافة العربية ومراجعها وأشخاصها ، كما تعني إمكان تلقيح الأفكار الأصلية بقيم مغربة عن طريق المحاضرات والدراسات واللقاءات المجمعية والمؤتمرات الدرسية .

وبالاضافة الى ماتلقيه عضوية المجامع من ظلال دعائية وأحياناً من أضواء جاذبة فإن حرص المجمعيين العرب على انتخاب أو اختيار أعضاء مراسلين وفخريين لمجامعهم لايقل عن حرص الغربيين لتحقيق أغراض علمية ودعائية وتغريبية .

وكان المجمعيون الغربيون نشيطين في تناول الثقافة العربية الإسلامية سواء كان عن طريق إرسال بحوث ودراسات تنشر في مجلات المجامع أو عن طريق المحاضرات التي تعقد في ابهائها وقاعاتها .

ولا يفوتني الحديث أن المستشرقين الذين استطاعوا أن يشيعوا حولهم هالات من الإعلام الدولي في القدرة على البحث والتمكن من المعرفة وحيازة مصادرها ووفرة الآثار التي قاموا بها ، كان لها أعظم الوقع في تطلع العرب إليهم ، كما كان لهؤلاء المستشرقين مزيد الأهتمام في إقامات فكرية في أهم العواصم العربية كبيروت ودمشق والقاهرة وبغداد ...

وقد تأسست بعض المجامع العربية تتخذ لها رؤساء من المستشرقين والمستعمرين ... فكان المجمع اللبناني العلمي الذي أسس ١٨٤٧ برئاسة الدكتور (طمسون) و(غالي سميث) ، وأنشأه المرسلون الامريكان باسم الجمعية السورية ومن أعضائه ، البازجي والبستاني .

وأنشأ الامريكان فيما بعد (المجمع العلمي الشرقي) عام ١٨٨٢ برئاسة الدكتورين : (كرنيليوس فانديك) و(يوحنا ورتباث)[1] ، ولكن المجمع اللبناني لم تطل حياته متحملاً مسئولياته اللغوية والعلمية كغيره ، لذا فإننا سنفصل الكلام على المجامع الأخرى .

أولا : المجمع العلمي العربي بدمشق : وقد تأسس عام ١٩١٩ بأعضاء عرب خلص ، ولكن يبدو فيما بعد أن أثيرت بين اعضائه قبول عدد من الموضوعات الاستشراقية ، فحاول الأعضاء ان (يكون في منتهى كل جزء من المجلة مقال أو مقالات باللغة الفرنسية حتى يزداد المستعربون من علماء الغرب انبساطاً اليها) ولكن ذلك لم يتم .

ثم كان من الأعضاء المراسلين لعام ١٩٥٦ :

الفيكونت فيليب دي طرازي (لبنان) ، الأب : ا . س . مرمرجي الدومينكي (فلسطين) ، بلاشير ، وماسينون ، ومارسه (فرنسه) ، أوبري ، وجب ، وغليوم (انكلترا) ، وهلموت ، وهارتمان ، وبروكلمان (ألمانية) ، وبدرنغ (السويد) ، وفيليب حتى ، وبيارده (الولايات المتحدة الأمريكية) ، وبرتل ، وكراتشكوفسكي (الاتحاد السوفيتي) . وسنمنت (هولاندا) ، ونللينو ، وغريفيني (ايطالية) .

ومن المقالات التي نشرت لهم ولغيرهم في مجلة المجمع :

أ ــ نفي أوهام الأوربيين في صعوبة تعلم اللغة العربية : يوحنا اهنتين كرسكو (المجلد الرابع ١٩٢٤)

ب ــ درس الآداب العربية الحديثة : كراتشكوفسكي (المجلد العاشر ١٩٣٠)

ج ــ تصحيفات عربية في معجمات اللغة العربية : نيللو (المجلد العاشر ١٩٣٠)

د ـــ رسالة ابن سينا في الأرزاق : هـ . ريتر (المجلد العاشر ١٩٣٠)

هـ ـــ كتاب الجليس والتأنيس للمعافى بن زكريا النهرواني : البرت ديتريش (المجلد العاشر ١٩٥٥)[٢] .

ويبدو أنه قبل عام ١٩٢٠ لم يكن للمجمع أعضاء أجانب . ولكنه سلك في جلسته المؤرخة في ١٢ تشرين الأول ١٩٢٠ مسلكاً جديداً فقرر انتخاب المستشرقين الآتية اسمائهم :

فرنسة : دوسو ، غوي ، ماسينون ، غو ستاف لوبون .

ايطاليا : جويدي جريفيني ، نللينو ، كايتاني .

بريطانيا : مارجليوث، براون .

هولندا : هوتسما ، سنوك هر .

سويسرا : مونتيه .

اسبانيا : ميكل آسن[٣] .

على انه لم يضعف استشراف المستشرقين والعرب لترشيح أعلام المستعمرين كاعضاء فخريين ومراسلين حتى بعد عهد الاستقلال ، فقد جاء في آخر إحصائية لأعضاء المجمع والذي تسمى فيما بعد بمجمع اللغة العربية ١٩٧٥ أسماء مشاهيرهم :

أسبانيا : غومز بتاريخ ١٩٤٨ ، ومن ايطاليا : جريللى بتاريخ ١٩٤٨ ، ومن فرنسيه : كولان ١٩٣١ ، ومن فلندا : كرسكو ١٩٣٢ ، ومن المجر : عبد الكريم جرمانوس ١٩٦٦ ، ومن النمسا ، كارل ١٩٥٤ ....[٤] .

وإذا عد بعض المستشرقين من المؤسسين مثل : ماسينون ، ونللينو ، ومارحليوث فإنهم قد يعدون مع غيرهم مراسلين أو فخريين .

وربما كان عام ١٩٣٨ ومابعده أعظم الأعوام في عدد الأعضاء ، فقد بلغوا (١١٤) عضواً مابين عامل ومشرف ، نصفهم أوربيون وامريكيون ، ولم يكن ذلك أقل في سنوات أخرى ، والملاحظ بالإضافة إلى ترشيح الكثير من المستشرقين في

معظم البلدان الشرقية والغربية ، ازدياد عددهم وانتقاء مشاهيرهم وتسرب بعض الساسة والدبلوماسيين والعسكريين والجامعيين .

ومن المناسب أن أفصّل شيئاً في نموذجين يعدّان من أعلامهم :

أولهما : فرتيس كرنكوف الألماني المولد والانكليزي النشأة والجنسية[٥] (Krenkow, Fr ١٨٧٢ ـــ ١٩٥٣) فقد ولد بشمالي ألمانيا ثم نزح الى انكلترا وتجنس بها وتزوج منها ، ثم أسس في (ليستر) مصنعاً ضم حوالي ألف عامل وعاملة ، ثم عاد إلى انكلترا بعد هبوط الأسعار في الحرب العالمية الأولى يتعاطى التجارة حتى عام ١٩٢٧ فتركها وانقطع الى العلم .

ويبدو أنه اعتنق الاسلام بعد أن سافر الى حيدر آباد وتسمى بـ محمد سالم الكرنكوي الذي نرجو أن لايكون اسلاماً سياسياً او مصلحيا كإسلام (فيلبي) و(لين) و(كلوب باشا) ، وفي الوقت نفسه اتصل بدائرة المعارف العثمانية التي أنشأها سلطانها حيث كلفته نشر عدد كبير من أمهات الكتب فحققها على خير وجه ، ولكن د / بدوي[٦] يشير الى أن مطبوعاته فيها يعوزها التحقيق النقدي ، ولم يكن الذنب ذنبه ، بل ذنب المشرفين على هذه الدائرة ، إذ جردوا نشراته من الأجهزة النقدية ، والتعليقات والقراءات ، وكان خيرا له ولسمعته ان ينأى بنفسه عن نشر شيء في هذه الدائرة ...

والفترة الخصبة في إنتاجه هي من بعد عام ١٩٢٧ ـــ ١٩٥٣ حيث انقطع فيها إلى التحقيق والنشر ، ولكنه لم يقعد من قبل عن أعماله العربية التي نشرها في المجلات الإنكليزية والألمانية ، حيث لم تشغله مشكلات العمل والتجارة عن متابعة إنتاجه .

ويبدو من آثاره أنه يغلب عليها التحقيق وليست الدراسة التي يمكن أن تكون مجالاً للطعن أو التزييف ، باستثناء : الوحدة في الاسلام (١٩٢٧) والأدب الشعبي العربي (١٩٢٨) ، وترجمات إسلامية وغربية قليلة .

وإذا كانت غالبية المستشرقين قد انفقت جهوداً مثمرة في مجال التحقيق

والفهرسة والنشر فإن (الكرنكوي) يعد في طليعة المكثرين فيه وبخاصة عكوفه على نشر الأمهات في التراث اللغوي الأدبي ، والتراجم والتاريخ وشيىء من الإسلاميات .

ومن هذه المؤلفات : الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني بمعارضته على عدة مخطوطات ، وحلية **الأولياء** لأبي نعيم (١٩٣٢) ، وتفسير ثلاثين سورة لابن خالويه (١٩٣٦) ، ومعجم الشعراء للمرزباني (نشره احمد محمود شاكر ، القاهرة ١٩٥٤هـ) ، والجرح والتعديل لابن أبي حاكم ، ومقامات بديع الزمان الهمذاني (١٩١٧) ، وبمعاونة (بيفان) : فهرسة الأمالي : لأبي على القالي (لندن ١٩١٣) ، والجمهرة لابن دريد (١٩٢٨) في ثلاثة أجزاء ، وجزء تابع للفهرسة ... وغيرها من النوادر والأمهات التي كان جلها حين كان متفرغاً في (حيدرآباد) .

ونقل (الزركلي) في (أعلامه) عن رئيس المجمع العلمي العربي محمد كرد علي قوله : أحب الاستاذ (كرنكو) العرب والإسلام محبة لاترجى إلا من العريق فيهما يتعصب للعرب على سائر أمم الإسلام ، من الفرس والترك والهند ، ويعتقد كما كتب لي في ٢٣ آذار (مارس) سنة ١٩٣٥ — أن زوال الدولة العربية ، أي خلافة بنى أمية ، وانتقال مركز الإسلام من دمشق إلى العراق ، وظهور الفرس على العرب ، كان أول سبب للحيلولة ، دون انتشار الإسلام في الأمم النازلة في الشمال الغربي ، أوربا ، وقال كاظم الدجيلي ، وكان صديقا حميما له ، يوبّنه : كان كرينكو غزير العلم ، واسع الاطلاع ، صادق القول ، أبي النفس بهي الطلعة ، محباً للشرقيين عامة والمسلمين خاصة ، ولاأدري ماتم في أمر خزانته التي تحوي آلاف الكتب الثمينة النادرة من مخطوطات ومطبوعات ، إذ في ضياعها وتفرقها خسارة للأدب العربية والإسلامية .

على أن هناك آراء كثيرة له في الأدب والتاريخ والتفسير تتطلب التحليل والتقويم .

وثانيهما : بلاشير الفرنسي (ريجنس) Bldchér, R, L (١٩٠٠ — ١٩٧٣) عضو في المجمع الفرنسي الأعلى بباريس الى جانب عضويته في المجمع العلمي

بدمشق[٦] ، درس في الدار البيضاء مرحلته الثانوية ، وتخرج بكلية الآداب في الجزائر (١٩٢٢) ، وسمى أستاذاً في معهد الدراسات المغربية في الرباط (١٩٢٤ ــ ٣٥) ، وانتقل إلى باريس محاضراً في الصوربون (١٩٣٨) فمديراً لمدرسة الدراسات العليا العلمية (١٩٤٢) وأشرف علي مجلة (المعرفة) الباريسية بالعربية والفرنسية ، وتنوه كتب التراجم بمشاركته في خدمة القضايا العربية المغربية والفلسطينية .

من آثاره : يمكن أن نقسم آثاره إلى زمرتين الأدبيات والإسلاميات .

الأدبيات : وتتضمن بعض التراجم والفهارس فيما تتضمنه من الدراسات الأدبية ، وعلوم العربية ، وتشير بعض التراجم الى وفرة آثاره التي يمكن ان نصنفها الى الفهرسة مثل : فهرسة المخطوطات المستجدة في المكتبة العامة لمحمية المغرب (١٩٢٢) ، وتراجم مثل : ترجمة طبقات الأمم لصاعد الأندلسي (تحقيق ١٩٣٥) وتراجم ودراسة مثل : الوليد الأموي الثاني (١٩٣٥ ــ ٤٥) والوزير الشاعر : ابن زمرك (١٩٣٦) ، وفي علوم اللغة العربية وآدابها مثل : قواعد . العربية الفصحى (١٩٣٧) ، و : تاريخ الأدب العربي (١٩٥٢) وقد نقله الى العربية د / إبراهيم الكيلاني ، وفي مقدمة دراساته الأدبية : أبو الطيب المتنبي الذي ترجمه الى العربية د / أحمد أحمد بدوي[٧] ، حيث أثار في دراسته الأدباء والنقاد الذين تحدثوا عنه مثل المرصفي والاسكندري ، ومبارك والمازني ، ويؤكد محمد المبارك أن (بلاشير) كان استاذ د / طه حسين في هذه الدراسة حيث (سرق) الأخير منه معظم أفكاره .

وعلى كل حال فإن تضلعه بالعربية علماً وأدباً ودراسة ووفرة آثار رشحته أن يصبح عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق ، وكتب عن : الدراسات العربية في أوربا (مجلة المجمع عدد ٦) ، ثم : أهم مواضيع شعر الغزل على عهد الأمويين بدمشق (حوليات معهد الدراسات الشرقية : ٥ ، ١٩٣٩) .

ومع هذا فهل نفترض أن اعتبارات سياسية ضمنية وفرنسية خاصة تدخلت في ترشيحه لعضوية المجلس ؟ أم أن (شهرته بإخلاصه للعربية وفرضه تدريسها في

بعض المعاهد الثانوية الفرنسية ، ومشاركته في خدمة القضايا العربية كما يقول الزركلي في أعلامه) هي التي بوأته هذا المنصب الرفيع ؟

إن احد الاحتمالين أو كلاهما ، بالإضافة الى وفرة آثاره وعمقها ، له دوره وأثره الذي لاينكر ، وربما ليوضع (بلاشير) وأعماله تحت المجهر الفاحص الذي كان يكشف كل شيء .

وكتابه (المتنبي) (الذي يعد من أوفى وأوسع ماألف عن شاعر العروبة)(٨) قريب في مكانته الأدبية من كتابه (تاريخ الأدب العربي ـــ العصر الجاهلي) وإن كان مترجمه الدكتور ابراهيم الكيلاني قد أشار الى اعتراضات عديدة فيه .

٢ ـــ **الإسلاميات** : ومن أبرزها كتابان : ترجمة القرآن ، ومعضلة محمد .

وليس من سبق النتائج في تحليل الكتابين وتقويم مضمونهما ، مانقدم به من تزييفه النص القرآني ومجانبته الموضوعية والتظاهر بالاعتدال في عرض الأفكار المشبوهة .

فإن غرضه الاستشراقي فيهما ـــ وان أخفاه بعبارات ملتوية ـــ قد كشف عنه الباحثون ، وأبانوا مزاعمه وشبهاته .

الكتاب الأول : ويشتمل على : ترجمة النص القرآني ، والمدخل أو المقدمة .

أولا ترجمة « القرآن » إلى الفرنسية في ثلاثة أجزاء (١٩٤٧ ـــ ٥٢) ، وأدخل فيه : تلك الغرانيق الأولى ، وان شفاعتهن لترتجى . ضمن سورة (النجم) مما يدل على (خيانته) العلم ، على حد قول محمد المبارك .

ومن المناسب أن أوجز الكلام على النقاط التالية :

١ ـــ **ترجمة القرآن** : فالمستشرق بلاشير يعرف الحكم الإسلامي في ترجمته ، ونحن لاننافشه من حيث معرفته بحرمة ترجمته من وجهة الإسلام لأنه لايدين به ولايقبل حكمه ، وإنما يمكن مناقشته طويلاً من حيث القدرة على ترجمة البيان الفني الرائع بالإضافة إلى استيفاء معانيه الواردة والمرادة ، والوفاء بجميع أغراض القرآن في صريح النص ودلالاته وإشاراته .

وإذا كان بلاشير يعجز كأمثاله في ترجمة القرآن مبنى ومعنى فإنه غير معذور من الناحية الفكرية والثقافية أن يقصد بترجمته جلب المنافع المادية التجارية والمنافع المعنوية بين قومه وزملائه .

ولا يعيب بلاشير عجزه عن ترجمة كلام الله لو أنصف مع نفسه وعدل مع ثقافته ، وقدر القرآن كما ينبغي ، كما لا يعيبه أن يقي كما حدث للترجمات والمترجمين ممن سبقوه أو عاصروه ، ولكن العيب لافي جراءته على الترجمة وحسب وانما في تعليقاته القصيرة وتفسيراته المقتضبة على النص القرآني فهل استطاع بلاشير أن يؤدي الترجمة والتفسير حقهما الفني والمعنوي ؟

وقد يكون بلاشير تجنب كثيراً من التشوهات الفكرية والانحرافات المعنوية بالإضافة الى محاولاته الاقتراب من المضامين القرآنية السامية والدقيقة .

وقد تكون ترجمته أقل أخطاء وخطيئات في الفهم والأداء ، وأكثر تظاهراً بالاعتدال في تحرى المعاني والمباني القرآنية ، وأعظم تهذيباً في التعبير عن البيان الإلهي الفذ .

ولكن المنطلق الفكري في مثل هذه الترجمة هو ربطها بناحيتين استشراقيتين هامتين : بشرية القرآن ، وتجريده من المقصد الإعجازي البياني على الأقل .

وكلتا الناحيتين يقصد إليهما المستشرقين عموماً في جميع دراساتهم الإسلامية والقرآنية بألوان مختلفة واساليب متعددة .

وبلاشير المرتبط بالفكر الاستشراقي العالمي يترجم القرآن ويعلق على ترجمته بهذه الروح الاستشراقية التي (تخون) العلم ولا تحقق الغاية العلمية من الجهد الذي أنفقه لذلك .

فخيانته للعلم تبدو في إقحام كلام ليس من كلام الله إجماعاً ، ونفته الوقائع التاريخية والنسق الفني وكتب التفاسير وأقوالها اتفاقا ، كما سبقت الإشارة إليه ،

وإخفاقة في جهوده متوقع في مثل ترجمته البيان المعجز لفظاً ومعنى حين يؤدي بالعربية ، فكيف إذا ترجم إلى لغة أخرى نصاً وتفسيراً .

فالتوهم بالقرآن أنه كسائر الكلام البشري المعتاد ، في حالة الشطط في القول والافتراء على الحقيقة ، أو أنه واحد من الكتب السماوية في حالة الاعتدال والإنصاف ، يوقع صاحبه فريسة الفكر الاستشراقي بنسب متفاوته في التقويم الفكري السليم .

والحقيقة القرآنية الكبرى وحيه من الله بالاسلوب المعجز والبيان المتحدي ، فاذا تمثل الباحث هذه الحقيقة لايقدم على ترجمته مهما كان أداؤه دقيقاً ومحكماً ، واذا خالجه شك فيها أو أنكرها فإنه قد يقوم بالترجمة قياسياً على ماترجمت فيه الكتب السماوية أو الكلام البشري المعتاد ، مع مابين القرآن والكتب السماوية من فروق واضحة منها : ارادة الغرض الاعجازي البلاغي في القرآن ، وعدم إرادته في الكتب السماوية الأخرى .

ان (جول لابوم) صنف معاني القرآن بتصنيف النص القرآني نفسه ، وفي مافهمه منه ، ثم أتى (مونتيه) فأتبعه باستدراكاته في التصنيف اللفظي المعنوي ؛ وكلاهما حاول أن يقدم مفاهيم قرآنية شاملة ووافية ، ووفقا الى حد لابأس به في التبويب والفهم .

ثم أتى (د / احمد ابراهيم مهنا) وعمل تصنيفا معجميا سماه (تبويب آي القرآن الحكيم من الناحية الموضوعية) استوعب فيه من المعاني والمفهوم مالم يستوعبه المستشرقان السابقان ويمكن لغير هؤلاء أن يزيدوا أو يعدّلوا في التصانيف الموجودة .

وكما وقع الحال في التصنيف فقد وقع أغرب منه وأكثر انحرافا وتجنبا في الترجمات القرآنية التي لم تسلم جميعها من النقد والتعليق والتعقيب ، وأحيانا من التشويه والتغريب ، فما بالك اذا كانت الترجمات الى لغات عدة كل واحدة منها تترجم عن السابقة من غير الرجوع الى النص العربي الأول في سلسلة من السلّم اللغوي المختلف .

١ ـــ ترجمات سابقة : فقد بدأت الترجمات في القرن السادس عشر

وحدها ، وأحياناً مع النص العربي على يد الرهبان والقسس في إيطاليا وقبلها في الأندلس .

أ ـــ فقد دعا (بطرس المحترم) (١٠٩٢ ـــ ١١٥٦) إلى ترجمة كاملة للقرآن ، وكان رئيس دير (كلوني) في فرنسا وذلك بعد رحلته الثانية الى الأندلس ، حيث لجأ إلى مدرسة المترجمين من العربية الى اللاتينية في كليكلة التي انشأها ريموند اسقف طليطلة ، وكلف بهذا العمل (بطرس) الطليطلي وشخصين آخرين وأنجزت الترجمة في (١١٤٣) وألحق بها رسائل تتعلق بالنبي والقرآن والإسلام ، وبين (اربنوس) أمثلة لما في هذه الترجمة من غموض وخطأ ، على الرغم من أنها استمرت معتمدة في أوربا حتى نهاية القرن السابع عشر (وهي أقرب الى التلخيص الموسع منها الى الترجمة ، فهي لاتلتزم بالنص دقة وحرفية ، ولا تلتزم بترتيب الجملة الأصل العربي وانما هي تستخلص المعنى العام في أجزاء السورة الواحدة ثم تعبر عن هذا بترتيب من عند المترجم المرسومة) .

ب ـــ وعن هذه الترجمة اللاتينية تمت أول ترجمة إيطالية لاعن الأصل العربي كما زعم كذباً (١٥٤٧) .

ج ـــ وعن الترجمة الإيطالية تمت الترجمة الألمانية على يد سالومون اشفجر (١٦١٦) .

د ـــ وعن الترجمة الألمانية تمت الترجمة الهولندية (١٦٤١) .

هـ ـــ ثم ترجم (دي ريير) القنصل الفرنسي (١٦٤٧) أول ترجمة فرنسية باعتباره يتقن العربية (لكن في ترجمته كثيراً من المواضع الغامضة ولم يزودها بتعليقات لشرح المواضع الغامضة) .

و ـــ وعنها ترجم إلى الإنكليزية (١٦٨٨) والى الهولندية (١٦٩٨) .

ز ـــ وعن الهولندية ترجمة الى الألمانية .

ح ـــ ثم ترجم للمرة الثانية إلى الفرنسية على يد (سافاري) (١٧٨٣) في مجلدين ؛ في الأول مقدمة مقارنة بين هذه الترجمة ، والترجمات الأقدم والأحدث ، وفيها : حياة النبي ... وترجمة السور الأولى إلى السورة ١٤ ، وفي الثاني بقية

السور .
ط ــ وأقدم ترجمة انكليزية على يد (جورج سيل) (١٧٣٤) والطبعة الثانية (١٧٦٤) وانتشرت الترجمات حتى اليوم .
ى ــ وعنها ترجمت الى الألمانية على يد (تيودور أرنولد) (١٧٤٦) وترجمة المقدمة الطويلة الى الفرنسية (١٧١٥) .
ك ــ وأقدم ترجمة ألمانية عن العربية قام بها (دافيد فريدرش) (١٧٧٢) ، وهي التي قرأها (جوتيه) ومنها بدأ اعجابه واهتمامه بالاسلام . وفي السنة التالية ظهرت ترجمة ألمانية أخرى(٩) .

وبعد هذا العرض الموجز لابد من أن ننوه بالأمور التالية :
١ ــ معظم الترجمات وباللغات المختلفة تنسب القرآن إلى الرسول وتضيفه إليه : مثلا الترجمة الإيطالية الأولى بعنوان L'Alcoran di Cometto والترجمة الألمانية الأولى بعنوان Alcoranus Morameticus والترجمة الفرنسية الأولى L'Alcoran de Mahomet والانكليزية : Thee Alcoran of Mohamet والهولندية Mohomets Alcoran ، وأحيانا تنسب الترجمة إلى التركية ، ففي الترجمة الألمانية عن الهولندية Vollstandiges Tuarkisches ، والترجمة الألمانية الأقدم (دافيد فريدرش) Die Turkische Bibl, oren des Korans .
٢ ــ بالإضافة الى العيوب اللفظية والمعنوية في الترجمات تقدم دراسات عن موضوعات قرآنية معينة مثل : رد موجز على المبتدعة وعلى فرقة المسلمين في ترجمة (بطرس المحترم) مع بحث عن : عقيدة محمد ، ونشأته وميلاده ؟

و : مقدمة عن حياة النبي محمد ، في الترجمة الفرنسية التي قام بها (سافاري) كما سبقت الإشارة ، ويقصد منها الجدل والرد أكثر من أي غرض آخر .

وواضح اعتماد الترجمات بعضها على بعض من غير الرجوع الى النص العربي ليس بسبب ضعفهم بالعربية وحسب وإنما للوثوق بالترجمات السابقة والاعتماد عليها ، فيما عدا بعض الترجمات القليلة التي رجعت إلى النص العربي الأصيل ،

يضاف إلى ماسبق تعييب كل ترجمة لما سبقتها واظهار نقائصها ، ومحاولة إبراز مزايا الترجمة الجديدة وإن اعتمدت على القديمة .

٢ ــ ترجمات حديثة تالية : وربما كان أحدثها ترجمة المستشرق الألماني (رودي بارث) فقد تحدث عنها في كتابه الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية(١٠) في تدرج متطور حيث يقول : نشرت عام ١٩٥٠ اعتماداً على عينة ترجمة للسورة الثلاثين (الروم) من القرآن ، مقالاً عن « حدود بحوث القرآن » .

وقد ظهرت بين عامي ١٩٦٣ و ١٩٦٦ ترجمة ألمانية كاملة للقرآن بقلمي ، هي ثمرة اشتغال عميق بالنص القرآني استمر سنوات طويلة ، وتقصد هذه الترجمة إلى المساعدة على فهم القرآن فهماً تاريخيا ، فهي تصيغ الأجزاء المختلفة على النحو الذي اعتقد أنها عنيت به عندما نطق بها النبي العربي ، وكثيراً ماتضيف إضافات معينة لتوضح العبارة الأصلية التي كثيراً ماتتصف بالايجاز والاقتضاب ، وتضع هذه الإضافات بين أقواس حتى يفرق بينها وبين النص الأصلي ...

ويبدو مما سبق : ترتيب الترجمة حسب النزول التاريخي ، كما تلفت النظر إلى الإضافات التوضيحية لتفسير الجملة القرآنية الموجزة .

وليس بين أيدينا النص المترجم لنرى مدى اقتباسه من الترجمات السابقة أو اعتماده على الأصل العربي ولكن من المرجح أن (بارث) لم يتقن العربية كغيره من المستشرقين عموماً والألمان خصوصاً .

وعلى أية حال فإن الترجمات القديمة والحديثة والمعاصرة توضح الاهتمامات العالمية بكتاب الله وإن قصدت فيما قصدته الطعن به وتزييف مصدره وأحكامه .

وربما اطلع (بلاشير) على هذه الترجمة أو اطلع (بارث) على ترجمة (بلاشير) مما جعل (بارث) يدعى أن ترجمته تساعد على فهم القرآن فهماً تاريخياً ، وزودت بتعليقات وإيضاحات تفسيرية لها أهميتها عنده ، وهذه الترجمة تحاول الابتعاد عن الطعون الفاشية والأخطاء الشائعة بأسلوب بعيد عن التطاول اللفظي والنفسي الذي هو قريب في الوقت ذاته من الأسلوب والغرض الاستشراقين .

وإذاً : فان ترجمة (بلاشير) حلقة متميزة من بين الترجمات أذنت لنفسها في نقل البيان القرآني إلى الفرنسية بغرض استشراقي وتجاري .

مع ماتتضمنه من تجاوزات معنوية وانحرافات فكرية وتعبيرية .

٣ ــ الترجمة وفق ترتيب النزول : فقد بدأ (بلاشير) عمله بترتيب القرآن وفقاً لما ظنه أنه ترتيب نزول السور والآيات ، وفي طبعة أخرى عامة واسعة الانتشار (١٩٥٧) عاد إلى الترتيب الأصلي الوارد في المصحف والجزء الأول ظهر ١٩٤٩ والثاني ١٩٥٠ وفي ١٢٣٩ صفحة[١٥] .

واذا كان ثمة مانع شرعي ولغوي وفكري في ترجمة القرآن فان هناك موانع في ترتيب (النص المترجم) وفق ظنون (بلاشير) .

والموانع هنا هي ليست في ترتيب النص المترجم على خلاف المجمع عليه وحسب وإنما في ترتيبه وفق فهم المترجم وجهده الذهني ومعلوماته التاريخية والنفسية وليس وفق الروايات الراجحة المسندة .

وفي الأصل لا أظن أن اعتراضاً مقبولا قد يرد على تفسير القرآن وفق النزول أو الموضوعات أو الأحكام الفقهية أو إبراز المسائل اللغوية والبلاغية ، فإن علماءنا درجوا على ذلك من غير اعتراض .

وربما كان آخرها بالنسبة الى التفسير حسب النزول : كتاب (التفسير الحديث) للمرحوم محمد عزة دروزة الذي يبدأ بعد الفاتحة بتفسير العلق ، ثم ن والقلم ، ثم المدثر ، ثم المزمل ، ثم المسد ، ثم الكوثر ، ثم سبح اسم ربك الأعلى ، ثم الغاشية ، ثم الفجر[١٦] .

وكان مؤلفة يتوقع ان يصيب به نصيبا وافراً من الانتشار والذيوع ولكني لم الاحظ ماكان يتوقعه له ، وذلك على الرغم من أن المؤلف واسع المعرفة ، خصب الإنتاج ، واضح العبارة من غير حشو ولالغو .

قلت هذا لاشير الى ماقام به (بلاشير) من إعراضه عن الطريقة التاريخية أو بالأدق عن الطريقة الظنية والشخصية والعودة بالترجمة الى ترتيب المصحف

الشريف .

ربما لأن في ذلك أصداءً معينة لوضع القرآن الكريم في العالم ، ولما يترتب على ذلك من مكاسب مادية تجارية ومعنوية استشراقية .

ثالثا : شبهات في : المقدمة : ومن الشبهات التي أوردها في (المدخل) أنه (شك في حرص الرسول على كتابة الآيات حال نزولها ، وأن خوفه كان شديداً لما نزل عليه لأول مرة ، فلا يمكن أن يكتب مانزل عليه ، ولأن المسلمين كانوا في صراع مع يهود المدينة الذين كانوا يسيطرون على وسائل الكتابة ، واستخلص أن النص القرآني لم يكتب بأكمله في عهد الرسول . والحفظ مثل الكتابة لم يستطع أن يحافظ عليه ، وهو لاينفي احتمال اختلاط النص الأصلي ببعض الزيادات الطفيفة التي أدخلت عليه في العهود المتأخرة .

وتساءل عن الاسباب التي جعلت الرسول لايحرص على كتابة القرآن في عهده مفترضاً عدة احتمالات جلها غير صحيح ... وأغرب تعليل قوله : إن ميل الرسول وأصحابه الى ترك الأمور على ماهي عليه يؤيده ما اشتهر به العرب من أنهم لا يفكرون إلا في الحاضر ، ولا يهمهم المستقبل ، وهذا الميل يقف وراء عزوف المسلمين عن جمع القرآن في عهده ، اذ لم تكن الحاجة ماسة اليه ، كما يؤيد ذلك عدم تعيين خليفة له)[١٧] .

والشبهة هنا ضياع بعض القرآن بسبب خوف الرسول من الوحي ، واحتكار المدينة الكتابة ، ونفسية العرب بعدم الاهتمام في المستقبل .

إن أي احتمال سبقَ ذكره وصرح به أو لم يصرح غير وارد نهائياً بسبب نقل القرآن بالتواتر تلقياً وكتابة مما يفيد اليقين والقطعية التي يزول معها أي احتمال ، والأخبار والآثار في ذلك صريحة وفيرة .

هذه قاعدة عامة ومقبولة عقلاً وتوثيقاً ، تدفع أي افتراض مزعوم .

وبالتفصيل يمكن القول :

أ ـــ خوف الرسول : فقد حدث الخوف للمرة الأولى وفي اللقاء المفاجىء ، فإنها

كانت غير منتظرة ولم ينزل عليه من الوحي سوى أول سورة العلق ، أما اللقاءات الأخرى فكان الرسول ﷺ يتوق إليها ويتوقعها ويرقبها وبخاصة في الأزمات الجهادية البيانية ، والإجابة على الأحكام الطارئة ، وتقرير العبر والتوجيهات إثر النوازل والأحداث ، والشواهد الصحيحة على ذلك عديدة ومعروفة[١٨] .

وأحيانا كان جبريل يأتي الرسول بالصورة الإنسانية الوديعة المعلّمة الأليفة .

فهل من الموضوعية أن تقاس فترة ثلاث وعشرين عاماً ينزل فيها الوحي على الرسول من غير خوف على اللقاء الأول ؟

ب ــ احتكار اليهود الكتابة : وهو احتمال غير واقعي في التاريخ فقد كان اليهود في المدينة على شكل قبائل وبيوتات منها بنو النضير والقينقاع وقريظة .... ولم تعرف قبائلهم ولا بيوتاتهم في مكة حيث نزل الجزء الأكبر من سور القرآن من حيث التعداد ، أما في المدينة فالمعروف أن مسالمة اليهود لم يمض عليها أكثر من سنة واحدة حتى نقضوا العهود وأعلنوا المحادة .

فبالاضافة إلى كتبة الوحي في المدينة تشرف بكتابة المكي منه المهاجرون والأنصار الكاتبون ، منهم : الخلفاء الأربعة ، ومعاوية ، وأبان بن سعيد ، وخالد بن الوليد ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وثابت بن قيس ، وأرقم بن أبي ، وحنظلة بن الربيع وغيرهم إلى جانب حفظته الكثرين ومنهم : الخلفاء الأربعة ، وعبد الله بن مسعود ، وأبو الدرداء ، وأبو زيد ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وابن عمر ، وابن عباس ، ومعاذ بن جبل وجم غفير من الصحابة والصحابيات . ولنفرض أن اليهود لم يحتكروا الكتابة فهل يستعين بهم الرسول أمناء الوحي وهم قد خانوه في أقل من ذلك ؟ وهم وإذا احتكروها فهل عدم المسلمون المهاجرون والانصار كتّابا وان عرفوا بها في الأميين ؟

ان رواية تقول : كان كتبة الوحي يقاربون الأربعين إلى جانب كتاب الرسائل والأحكام[١٩] ، وأحيانا كتب الحديث النبوي وحده الذي نهى الرسول عن كتابته لمن يلتبس عليه كلام الله بكلام رسول الله .

ج ـــ نفسية العرب الخاصة : وهو احتمال مرفوض واقعاً واهتماماً ، فالواقع أثبت وجود الكتبة الذين كان يقول لهم الرسول : ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا .

والاهتمام الديني المفعم بأنبل العواطف والحماسة قد يغير أشياء في الطبيعة ، إنْ ثبت مثل ذلك في طبيعة العرب ، فالقرآن كان علم المسلمين ومرجعهم وعماد حياتهم[٢٠] .

د ـــ معارضة (كازنوفا) وموافقته : ان (كازانوفا) في كتابه (محمد ونهاية العالم) يقرر أن محمداً ﷺ مؤمن بأن العالم لن يستمر طويلاً بعد وفاته ، وإن الساعة ستقوم قبل موته أو بعده مباشرة ، فلم يعيين من يخلفه على المسلمين ، يقول : نعلن أن السبب في إهمال أمر الخلافة بسيط ، وهو اعتقاده بان نهاية العالم قريبة ، وهي عقيدة مسيحية محضة ، ومن كان يقول عن نفسه : إنه نبي آخر الزمان الذي اعلن المسيح بأنه سيجيء ليتمم رسالته »[١١] .

وقد سبق أن (كازانوفا) يستنتج من هذا ، أن القرآن أدخلت إليه تغييرات وآيات ليست منه ، ورددنا على ذلك في حينه .

(وقد لاحظ بلاشير أن تفسير كازانوفا لم يلق أي تأييد من الدارسين المسلمين ، كما أنه لايعتمد على أدلة قوية ، بل هناك مايدحض أقواله / من ذلك : أن الرسول ﷺ ، إن كان في العهد الملكي لايذكر الا يوم القيامة ومايتصل بالجنة والنار ، فإنه لما استقر بالمدينة أصبح يدعو إلى العبادات والمعاملات ، وتنظيم العلاقات التي يجب أن تقوم بين المسلمين وغيرهم ، كما أن انتشار الإسلام في الجزيرة فرض على المسلمين منذ عصر النبوة أن يفكروا في الحياة الدنيا إلى جانب التفكير في الآخرة)[١٢] .

وإذاً فالقضية التي يحاول كل من (كازانوفا) و(بلاشير) إثباتها هي : إدخال آيات من القرآن ليست منه ، وإن اختلفا في تفسير هذه الزيادة عليه .

فكازانوفا يربط بفكره نهاية العالم ، وبلاشير يربطها بطبيعة النفس العربية التي

تأبى التفكير في المستقبل . ومع هذا فإن (بلاشير) الذي يستبعد تفسير كازانوفا السابق لأنه لم يلق تأييد الدارسين المسلمين فإنه يوافقه في سيطرة (نهاية العالم) على الرسول ، فهو يقول توضح لنا التجربة الأولى للنبي الجديد أنه مازال تحت وطأة النداء الإلهي يلازم خياله ، تصوره للكارثة الأرضية التي ستقضي على العالم وتصوره للحساب الأخير . ان الساعة لقريبة ، ولا تحديد للوقت الذي ستقع فيه على البشر ، وان هلعاً عظيماً سيصيب الآثمين الموسرين[١٣] .

والشبهة هنا تقوم على عدم تعيين الخليفة قبل وفاة الرسول ، وإدخال آيات ليست من القرآن ولكن التفسير لذلك اختلف بين كازانوفا وبلاشير ، على حين وافقه الثاني أن الرسول متأثر بنهاية العالم .

أما عدم تعيين الرسول خليفة عنه فهما أعرف الناس أن الحكم الإسلامي مبني على قواعد فكرية من الشورى والأخوة والمساواة والإسلامية ، وليست مبنية على الأشخاص . ولو أنها كانت مبنية على الأشخاص دون الأفكار لاختار رجلا يخلفه من بيت النبوة ومن آل الرسول نفسه .

وهو الذي كان يوجّه صحابته والمسلمين بقوله في حجة الوداع : ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا . ورواية أبي ذر : خليلي أوصاني ان أسمع وأطيع وإن كان عبداً مجدّع الأطراف . ورواية غيره : عبداً حبشياً مجّدعا[١٤] . ورواية أحمد وغيره : اسمعوا وأطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة وأما خضوع الرسول إلى وطأة النداء الإلهي : فالواضح أن أوائل مانزل على الرسول من الوحي الإلهي : أول سورة العلق ، المدثر ، الضحى ، المزمل ... لم تصرح بنهاية العالم ولم تعرض إلى أحداثه فيما عدا قوله من سورة المدثر : فإذا نقر في النقور . فذالك يوم عسير على الكافرين غير يسير (الآيات ٨ ـــ ١٠) .

ولا نعلم يقينا أن هذه الآيات نزلت مع صدر (المدثر) ومقترنة بها ، كما أن الآيات لا تشير الى الكارثة العالمية التي ستحل بالأرض التي ستقضي على العالم ، وإنما هي مشهد خاطف للنفخ في الصور إيذاناً يبدء يوم القيامة .

وهي على كل حال لاتضع وقتا طويلاً أو قصيراً لأحداثه ، ثم ان هذه الآيات ليست التجربة الأولى للنبي الجديد كما زعم بلاشير ، فالجمهور ماعدا جابرا كان يقول : أول شيئ نزل من القرآن (اقرأ ...) .

أما سائر السورة فهي تبين موقف الوليد بن المغيرة في قوله : (ذرني ومن خلقت وحيداً ... لمن شاء منكم أن يتقدّم أو يتأخرّ) (١١ ــ ٣٧) ، وموقف أبي الأشدين (كلدة بن أسيد بن خلف) القوي المصارع ، ومصيرهما ، وقد تأخر كثيراً عن أول الوحي الى مابعد الجهر بالدعوة .

وكذلك ماتبقى من السورة التي تنذر الكافرين وتبشر المؤمنين .

ولذا فان (المدثر) لم تنزل دفعة واحدة وانما نزلت وفق الحوادث وأسبابها المذكورة في (التفاسير) المعتمدة بأسانيدها ، وهي قد تأخرت عن التجارب الأولى بالاجماع .

وموضوعها وإن تحدث عن مصير المعاندين المستكبرين فإنها تتحدث عن مصير أصحاب اليمين ، وليس فيها شيئ من أهوال الكارثة الأرضية التي هي موضع الحديث .

ويلاحظ من بعض الآيات فيها ومن أسبابها أن نزولها متأخر ، فقد قال الله عن المكذبين : قالوا لم نك من المصلين ... والصلاة شرعت في حادثة الإسراء والمعراج في السنة الثانية عشرة للبعثة ثم لانجد ذكراً للساعة القريبة والبعيدة في جميع آيات السورة ، فالتوقيت ليوم القيامة وما يسبقه من أحداث غير وارد تماما لا تصريحاً ولا تلميحاً .

اما سورة (المزمّل) فقد نزلت بعدها ، وربما كانت (الضحى ــ والانشراح) بعد (المدثر) ... أو كانت (المزمل) بعدهما ، واخيرا : إن تعبير (بلاشير) بـ (التجربة الأولى) غير دقيق من الناحية العلمية والعقدية ، فالنبوة حق ، ومانزل على الرسول من الوحي يقين ، أما التجارب ناجحة كانت أم فاشلة فهي من الأعمال الاعتيادية الخاضعة للتصديق أو التكذيب والانكار ولا يليق مثلها

مع الأنبياء . وأما قوله : وإن هلعاً سيصيب الآثمين الموسرين ، فإن أهوال القيامة وما يسبقها سيصيب (الناس) جميعا (ياأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم) الحج : ١ : ٤ .

الكتاب الثاني : معضلة محمد ﷺ . Le Probleme de Mahomet[٢١] ، وهو كتاب صغير صنفه بمناسبة اشتغاله بترجمة القرآن ، ولخص فيه أبحاث المستشرقين الذين كتبوا عن الرسول[٢٢] .

وعرض الكتاب ينبه الى ناحيتين :

أولاهما : مواقف المستشرقين العامة والمتجنية من الرسول عليه الصلاة والسلام التي لا تدع شبهة ولا افتراء إلا ألصقته به . وفي ذلك مافيه من التأييد الضمني الذي يلوث سمعته كمستشرق معتدل .

ثانيهما : ربط هذه المواقف من القرآن الذي يوحي أنه من تأليفه ومن صنعه ، وإلا فما العلاقة بين كلام الله وبين الرسول محمد إن لم يقصد من ذلك ربطاً بين الرسول وبشرية القرآن ؟

وفي كلتا الحالتين تحوم الشبهات وتتركز حول الأصول الإسلامية في (الرسالة) و(الرسول) .

فهو (يتحدث في كتابه عن مصدر القصص القرآني ، ذاكراً بالخصوص أن مما لفت انتباه المستشرقين هو التشابه الحاصل بين هذا القصص وبين القصص اليهودي المسيحي . وقد كان التأثير المسيحي واضحاً في السور المكية الأولى ، إذ كثيرا ماتكشف مقارنة بالنصوص غير الرسمية كإنجيل الطفولة الذي كان سائداً في ذلك العهد عن شبه قوي ، ويفرض في هذا الصدد آراء بعض الباحثين ، مبيناً رأيه فيما يستنتج من العلاقات المستمرة التي كانت تربط بين مؤسس الإسلام والفقراء المسيحيين بمكة ...)[٢٣] .

وكان (جولدزهير) أحد المستشرقين الأعلام الذين تقدموا بمثل هذه الافتراءات . وهي المصدرية التي يصنفها الى عنصرين : خارجي وداخلي ، ويقول :

فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجا منتخباً من معارف وآراء دينية عرفها بفضل اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية التي تأثر بها تأثراً عميقاً والتي رآها جديرة بأن توقظ في بني وطنه عاطفة دينية صادقة ، وهذه التعاليم التي اخذها عن تلك العناصر الأجنبية كانت في وجدانه ضرورية لإقرار لون من الحياة في اتجاه يريده الله .

لقد تأثر بهذه الأفكار تأثيراً وصل إلى اعماق نفسه ، وأدراكها بإيحاء قوة التأثيرات الخارجية فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه ، كما صار يعتبر هذه التعاليم وحياً الهياً(٢٤) ...

وبالاضافة إلى جولدزهير فان (جب) و(نيكلسون) وغيرهما من المستشرقين العلمانيين ، وأمثالهما من المستشرقين الرهبان يدورون حول هذه القضية ويعالجونها كل حسب مقدرته الفكرية والبيانية مهما ابتعدت عن الحقيقة وجانبت الصواب .

ويبدو من المتابعات التاريخية التي لا تصل الى مرتبة التوثيق والصحة التي يحاول المستشرقون أن يبرزوها في أسلوب مدروس وبحث منهجي أن هذه القضية (المصدرية البشرية) لهم ومن نتاج فكرهم الاستشراقي وحده ، كشفوا عنها وأبانوا عن خفاياها .

ولكن القرآن بيّن قدمها التاريخي ومعاصرتها للرسول نفسه حيث كان العرب يزعمون تردد (بلعام) أو غيره من موالي النصارى ، يعلّم الرسول ماعنده من الإنجيل ويتعلم الرسول من (بلعام) أو (جبر) أو (يعيش) ، ويتلو ذلك آيات على الصحابة ، فرد الله ذلك بقوله : ﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾ (النحل : ١٠٣) . وهنا ينبغي أن نلفت ذهن المستشرقين الى جملة من المضامين القرآنية التي ترد عليهم افتراءاتهم .

١ ــ هناك قصص قرآنية تتشابه مع قصص التوراة والإنجيل ، فهل الاحتمال الوحيد هو أن محمداً آخذها من الأحبار والرهبان ؟

وهناك قصص تختلف عما في الكتاب المقدس اليس هناك احتمال

اقرب وهو : اشتراك المتشابهات في مصدر واحد طالما أن ثبوت النبوات وحكمتها واقعة في التاريخ ؟ في حوادث وأحداث ، وفي صفات خلقية وخلقية ينسبها (الكتاب المقدس) الى الأنبياء ، ولم يتابعه القرآن في ذلك وعصم الأنبياء من كل سوء ومعصية بسبب نبوتهم ، فلماذا خالف القرآن في أجزاء من القصص ووافقهم في الأخرى ؟ إن الاحتمال الذي ينوه بأخذ الرسول من (الكتاب المقدس) يبطل هنا تماماً لأنه لايمكن أن يجتمع في شخصية الرسول صفتان لاتليقان بمقام النبوة ولم يعرفا من حياته قبل النبوة وبعدها ، وهما الخيانة والتزوير ، فالمعروف عن الرسول الصدق والأمانة في أقواله وأفعاله وأحواله ، وشهد له بذلك أعداؤه وأصحابه على السواء .

وقد لفت الباحث المسلم (مالك بن بني) نظر المنحرفين بإيراد نماذج من القصص مقارنة بين القرآن والكتب السماوية المقدسة ، ومنها سورة (يوسف) واستنتج منها أصالة النبوة واستقلالية الوحي القرآني . واشاد (بوكاي) بمزية القرآن الأولى وهي صحته وسلامته من الاقتباس ، كما نبه (الطيباوي) الى ذلك بنماذج استشراقية متعددة .

٢ ــ هناك قصص قرآنية زائدة على مافي التوراة والإنجيل وهي قصص : عاد وثمود وغيرهما ، فمن أين أخذها الرسول ووضعها في القرآن وهي لم تذكر في الكتب السماوية السابقة ؟ والاحتمال الذي يقول : إنه اخذها من تراث الجاهلية باعتبار أنها جزء من تاريخ الجزيرة العربية شمالها وجنوبها ، مرفوض لأن الرسول عندئذ يوهم نفسه أنه يواجه الجاهلية وينكر مفاسدها ويوعظ بتاريخها ثم هو يعتمد في ذلك كله على مصادر جاهلية حية معاينة . والقرآن ندد بالكفر والكافرين منذ وجود الكفر والكافرين في اصقاع واسعة من العالم العربي فكيف يتخذ من الكفار مصدراً عن أهله وقومه ؟ وهل مثل هذا المصدر يوثق بأمانته ونقله وصدقه ؟[٢٥] .

٣ ــ والتشريع القرآني ليس تشريعاً نصرانياً باتفاق ، وليس تشريعاً يهودياً لأن الله تعالى ينص على التشريع اليهودي بنسبته إليهم ، مثلا قوله (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس) (المائدة : ٤٥) . و(من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه

من قتل نفسا ...) (المائدة : ٣٢) . و(وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة ...) (الاعراف : ١٤٥) . و(لقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ...) (الانبياء : ١٠٥) ، واذا وجد في القرآن بقايا من أعمال الحج وغيره المعمول به في الجاهلية فإن تشويهه عما كان يؤديه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام دليل على أن القرآن رجع الى صفاء العبادة وتوحيد العقيدة التي كان إبراهيم يبشر بها .

وعلى هذا فإن التشريع القرآني العظيم بما يتضمنه من كمال وشمول وخلود لابد من أن يستقل بالوحي الإلهي فلا يتبع كتاباً أو إنساناً .

أضف إلى ذلك ماكان القرآن ينعى به على الأقوام السابقة من انحرافاتهم في العقيدة وعصيانهم في التشريع وطغيانهم في السلوك والأخلاق . فكيف بعد هذا يمكن أن يأخذ منهم أو من كتبهم ؟

٤ ــ وبالنسبة إلى مايسوقه (بلاشير) . فهو يشير إلى مايسمى بإنجيل الطفولة ، ويصرح أنه إنجيل غير رسمى وكان شائعا في مكة حينذاك ، ولكنه لم يأت بأي دليل يثبت صحة مايدعيه ، سوى أنه يشذ عن إجماع الكنسيين بقول مارفضوه ، أو الاعتماد على إنجيل غير مقبول عندهم ، فكيف يقبله الفكر الاسلامي والبحث الموضوعي .

ثم لم نفهم ماذا يقصد (بلاشير) من قوله بوجود علاقات مستمرة بين مؤسس الإسلام والفقراء المسيحيين بمكة . فهل يقصد بها علاقات علم وتعليم ، أم علاقات إحسان واستحسان ، أم علاقات دعوة وتبليغ وإنقاذ الفقراء المسيحيين من ظلم الفقر وتعسف الوثنيين ؟

إن من الطبيعي وجود (علاقات) بين الأديان السماوية وأصحابها ، وغالباً ماتكون هذه العلاقات في الأصل واقعة في إطار التسامح والتفاهم اللذين رفع الرسول لواءهما في مكة والمدينة ، ومنح أصحابها أكرم مايمنحه حاكم ورسول ، فكيف تكون إذاً طبيعة هذه (العلاقات) بين الرسول وبين جماعة يؤمن بنبيهم ونبوتهم ؟

ويبدد من عرض (بلاشير) السابق ، توافق (القصص اليهودي المسيحي)

كجانب أول يمكن مقابلته مع القصص القرآني كجانب ثان .

ولكن الذي يبدو غريبا وغير منطقي هو الاقرار بالتوافق والاشتراك في القصص اليهودي المسيحي ، وماذكر في الأناجيل منها موجود في أسفار التوراة ، وماقصه الله علي لسان عيسى متماثل أو متشابه لما قصه الله على لسان موسى وهارون عليهم السلام .

وهذا وضع مقبول منطقاً وعرفاً ، ولا يستطيع أحد رفضه أو إنكاره إلا ماحرفه الأحبار والرهبان بعلمهم وشهاداتهم ، وكل ذلك منسوب إلى مصدره الإلهي من غير (تأثر ولا تأثير) ، إذاً فلم يختص (التأثر والتأثير) في التشابه القرآني وحده ؟

وإذا كان عرض مثل هذه المفتريات عرضاً يوحى بالإقرار والموافقة الضمنية التي يحاول فيها (بلاشير) أن يقنع المثقف بالتجرد والموضوعية من خلالها فإن من خيانة الحقيقة ومجانبة العلم أن تصبح (معضلة محمد) كما يسميها ، معضلة الحقيقة الفكرية التي سكت (بلاشير) عنها ولم تدفعه المسئولية العلمية إلى بيانها وإشهارها .

وأخيراً فإن (بلاشير) العضو المجمعي بدمشق لم يقدّم للمجمع أي بحث أو محاضرة سوى مقال واحد أو اثنين فيما أعلم ــ تقديراً منه على التكريم الذي أحاطه به المجمع ــ كما فعل (ماسينون) في المجمعين القاهري والدمشقي ، و(كرينكوف) في المجمع الدمشقي ، و(عبد الكريم جرماوس) في المجمع العراقي .

جدول بالمستشرقين المجمعيين في المجمع العلمي العربي بدمشق

إن العدد الكبير لمجمعيي دمشق يجعل من الضرورة إحصاءهم في جدول يعرف بهم وبأشهر أعمالهم داخل المجمع وخارجه مع الإشارة إلى شيء من شبهاتهم ، ثم نستخلص النتائج الهامة .

المستشرق	حياته	بلده	أعماله ـــ آثاره
١ ـــ آسين بلاسيوس ـــ الأب Asin Palacios	١٨٧١ ـــ ١٩٤٤	اسباني	مجمعي في عدد منها ـــ مثل بلاده في معظم مؤتمرات المستشرقين ـــ رتب حوالى ٣٠ ألف ترجمة للعلماء العرب في الأندلس ، تخصص في الفلسفة والتصوف
٢ ـــ اراندوك س Arendenk, C,Von	١٨٨١ ـــ	هولندي	امين المخطوطات والكتب الشرقية بليدن ـــ استاذ العربية بجامعتها ، دراساته عن الامامية وجنوب الجزيرة العربية
٣ ـــ أربري . ا . ج Arberry, A.J	١٩٠٥ ـــ ١٩٦٩	انكليزي	وزير الأنباء (١٩٤٠ ـــ ٤٤) ، مجمعي ف عدد منها ـــ رئيس قسم الدراسات الشرقية والأفريقية (١٩٤٦ ـــ ٤٧) .
٤ ـــ استروب ج = أويستروب Oestrup.J.E	١٨٦٧ ـــ ١٩٣٨	دانمركي	محاضر للغات السامية والحضارة الاسلامية (١٨٩٦) ـــ له معرفة طوبغرافية بصحراء سورية ، وألف : موجز تاريخ الاسلام (١٩١٤) ـــ رحل كثيراً الى الشرق الأوسط .
٥ ـــ أشتولز ـــ كارل .A. K		نمساوي	
٦ ـــ باسيه رينه Basset, renet	١٨٥٥ ـــ ١٩٢٤	فرنسي	تعمق في الأخلاق والعادات التونسية ، رأس مؤتمر المستشرقين في الجزائر (١٩٠٥) قنصل في الجزائر ـــ عميد كلية الجزائر ، عضو في مجامع عديدة .
٧ ـــ براون ـــ ادوارد Browne,E,G	١٨٦٢ ـــ ١٩٢٦	انكليزي	درس الطب انتدب لتدريسه في ايران (١٨٨٧) اشتهر بجمعه بين الطب والعلوم الطبيعية ـــ عضو في المجمع البريطاني .

المستشرق	حياته	بلده	أعماله ـــ آثاره
٨ ـــ بدرسن ـــ جون Pedersen, J	١٨٨٣ ـــ	دانمركي	اهتم بالتوراة والانجيل ، له : اسرائيل في مجلدين (١٩٢٠) ، ترجم القرآن الى الدانمركية ـــ اتصل بعلماء الأزهر ـــ كان في بلاد عربية ـــ عضو في الجمعية الشرقية الألمانية ، وجمعية الألسن ، وجمعيات أخرى .
٩ ـــ بروكلمان ـــ كارل Brockelmmanm,C	١٨٦٨ ـــ ١٩٥١	ألماني	استاذ في جامعات برلين ، وهالة وغيرهما وعضو في مجامع برلين وبودابست وغيرهما ، وجمعيات آسيوية كثيرة ـــ غزير الانتاج تحقيقا ودراسة .
١٠ ـــ برتلس Bertels,E,E	١٨٩٠ ـــ ١٩٥٧	روسي	استاذ الكلية الشرقية بموسكو . له : الصوفية في ايران (١٩٢٧) والصحافة في افغانستان (١٩٣٤) ، وفقه اللغة العربية (١٩٥٥)
١١ ـــ بفين .B		انكليزي	
١٢ ـــ بلاشير ريجي Regis Blachere	١٩٠٠ ـــ ١٩٧٠	فرنسي	استاذ العربية في المدرسة الوطنية بباريس ـــ عضو في اكاديمية النقوس بفرنسا .
١٣ ـــ بوفا ـــ لوسيان Bouvat,L	١٩٤٢ ـــ	فرنسي	محرر في مجلة العالم الاسلامي سنوات ، له تاريخ البرامكة ، الاسلام في افريقيا السوداء (١٩٠٧) ، الاسلام رسالة وسياسة (١٩١٢) الشيوعية والاسلام (١٩٢٢) ...
١٤ ـــ بوهل Buhl,F	١٨٥٠ ـــ ١٩٣٢	دانمركي	متمكن من العبرية ، استاذ للمعهد القديم بجامعة كوبنهاجن ـــ رحل الى الشرق وفلسطين
١٥ ـــ بيارد ـــ دودج Baird, Dodge	١٨٨٨ ـــ	امريكي	رئيس الجامعة الامريكية بيروت (١٩٢٣ ـــ ٤٨) مستشار هيئة الأمم المتحدة لوكالة غوث اللاجئين ـــ محاضر في جامعة برنستون ١٩٥١ استاذ زائر في الجامعة الامريكية بالقاهرة (١٩٥٦ ـــ ٥٩) .

المستشرق	حياته	بلده	أعماله ــ آثاره
١٦ ــ بيرشم ــ فان Berchem, Van	١٨٦٣ ــ ١٩٢١	سويسري	استاذ اللغات الشرقية في جنيف ــ طوف في سورية واستخرج آثارها من قلاعها وابراجها .. له : سورية الجنوبية ، رحلة الى سورية ، نبذات عن الصليبين ، آثار الباطنية ، وخرائط عن مقاطعات سورية ولبنانية .
١٧ ــ جب . هـ . ا . ر Gibb, Hamilton, AR	١٨٩٥ ــ ١٩٧١	انكليزي	مولود في الاسكندرية ــ علم في الاستشراق ــ مجمعي في القاهرة عند تأسيسه ــ استاذ بجامعة لندن (١٩٣٠ ــ ٣٧) واكسفور (١٩٣٧) وهارفارد (١٩٥٥) مدير مركز الدراسات للشرق الأوسط (١٩٦٢) ــ غزير الانتاج .
١٨ ــ جبرائيلي ــ فرنشيسكو Gabrieli-F	١٩٠٤ ــ	ايطالي	استاذ في جامعة رومة ــ متخصص في الشعر الجاهلي والتاريخ الاسلامي ــ مجمعي في عدد منها ــ غزير الانتاج .
١٩ ــ جريفيني ــ أوجنيو Griffini,E	١٨٧٨ ــ ١٩٢٥	ايطالي	امين لادارة اركان حرب طرابلس (١٩١١ ــ ١٣) كلف برسم خرائط المدن والبقاع ــ مساعد لأمين مكتبة ميلانو ــ مدير المكتبة الملكية بالقاهرة (١٩٢٠) غزير الانتاج .
٢٠ ــ جولدزهير ــ اغناطيوس Goldziher,Y	١٨٥٠ ــ ١٩٢١	مجري	استاذ بكلية العلوم بجامعة بوداست (١٨٧٣) انتدبته حكومته للقيام برحلة الى سورية (١٨٧٣) ثم رحل الى فلسطين ومصر والتقى بمحمد عبده وغيره ــ عضو في مجمع العلوم المجري (١٨٩٣) ومجامع علمية ، حضر مؤتمرات استشراقية ــ مكتبته تزيد على ٤٠ ألف مجلد ، انتاجه غزير .
٢١ ــ جويدي ــ اغناطيوس Guidi Ignazie	١٨٤٤ ــ ١٩٣٥	ايطالي	استاذ الأدب في الجامعة المصرية (١٨٠٨) عضو مراسل في مجلس الأعيان برومة ــ شيخ المستشرقين في اللغات السامية ــ غزير الانتاج .

المستشرق	حياته	بلده	أعماله ــ آثاره
٢٢ ــ حتي ــ فيليب Hittl, F	١٨٨٦ ــ	امريكي	لبناني الأصل تخرج من الجامعة الامريكية ببيروت ــ اشتاذ تاريخ العرب في الجامعة السابقة ، وجامعة برنستون استاذ للآداب السامية ــ مجمعي في عدد منها .
٢٣ ــ روسو ــ رينة (ديو) Dussaud, R	١٨٦٨ ــ ١٩٥٨	فرنسي	استاذ في معهد فرنسا (١٩٠٥) ومدرسة اللوفر (١٩١٠) ومعاون في مجلة تاريخ الأديان ــ قصد سورية للكشف عن آثار النصيرية وجبل الدروز والصفا واللجاة ــ عضو في مجمع الكتابات والآداب الفرنسية ــ مجمعي في عدد منها .
٢٤ ــ ديدرنغ Dedring, S.	١٨٩٧ ــ	سويدي	استاذ اللغات السامية بجامعة لوند (١٩٣٧) له : الوافي بالوفيات صلاح الصفدي.
٢٥ ــ ريتر ــ هلموت Ritter, H	١٨٩٢ ــ	ألماني	من الأعلام ، اشراف على معهد الآثار الألماني باستنبول ثلاثين سنة عميد كلية الآداب في فرانكفورت (١٩٤٩) .
٢٦ ــ ساخو ــ ادوارد زاخو Sachau, E	١٨٤٥ ــ ١٩٣٠	ألماني	استاذ العربية في ليبزيغ ــ اوفدته الحكومة البروسية الى سورية والعراق (١٨٧٩ ــ ٨٠) اسس معهد اللغات الشرقية ببرلين ١٨٨٨ .
٢٧ ــ سارطون ــ جورج Sarton, G	١٨٨٤ ــ ١٩٥٦	امريكي بلجيكي الأصل	محاضر في الجامعات الامريكية والأوربية ــ وكلية المقاصد والأمريكية ببيروت ــ زار سورية ومصر ــ منح ستشهادات دكتوراه فخرية ، رئيس الاتحاد الدولي لتاريخ العلوم بباريس .
٢٨ ــ سترستين Zettersteen, K,V	١٨٦٦ ــ ١٩٥٣	سويدي	استاذ اللغات السامية في جامعة أو بسالة إلى سنة ١٩٣١ ، اسهم في عدة معاجم ومجلات ــ اصبح رئيسا لتحرير مجلة العالم الشرقي ــ اشترك في مؤتمرات المستشرقين ــ غزير الانتاج .

المستشرق	حياته	بلده	أعماله ـ آثاره
٢٩ ـ شاخت ـ جوزيف Sshacht. J	١٩٠٢ ـ ١٩٦٩	ألماني	استاذ في جامعات ألمانية ، والجامعة المصرية (١٩٣٤) والجزائر (١٩٥٢) عضو في مجامع عدة ـ تخصص في التشريع الاسلامي ـ غزير الانتاج .
٣٠ ـ غليوم ـ الفرد = جيوم ـ الفرد Grillame,A	١٨٨٨ ـ	انكليزي	محاضر في العبرية بلندن (١٩٢٠) واستاذ في جامعات أوربية والجامعة الامريكية ببيروت (١٩٤٤ ـ ١٤٥) واستنبول رئيس قسم الشرقين الأوسط والأدنى (١٩٤٧ ـ ٥٥) .
٣١ ـ غومز ـ اميليو = جوميث اميليوجارثيا Gomez, E		اسباني	استاذ بجامعة غرناطة (١٩٢٩) ومدريد ـ مدير المعهد الثقافي العربي الاسباني ـ طوف بسورية ولبنان ـ سفير في بغداد ثم لبنان .
٣٢ ـ فران ـ جبرائيل Ferrand, G	١٨٦٤ ـ ١٩٣٥	فرنسي	وزير مفوض بالمشرق ـ عضو بالجمعية الآسيوية ـ اختص بالعربية والجغرافية .
٣٣ ـ فيشر Fischen, Aug	١٨٦٥ ـ ١٩٤٩	ألماني	تخصص في المعاجم وفقه اللغة ـ انشأ مجلة الدراسات السامية في ليبزيج (١٩٣٢) مجمعي بالقاهرة .
٣٤ ـ كراتشكوفسكي . أ Kratchkouski, I	١٨٨٣ ـ ١٩٥١	روسي	مدير المكتبة العامة ورئيس لجنة الآثار ـ أوفدته حكومته الى الشرق لتعلم العربية ، تعرف على ادبائها وعلمائها في بيروت ودمشق وحلب والقدس والقاهرة ـ محاضر في قسم اللغات الشرقية
٣٥ ـ كرسيكو ـ يوصاهتنن = كوروسكو Korosco	١٨٨١ ـ	يوغوسلافي	عضو في مجمع العلوم الروسي وايران ـ غزير الانتاج .

المستشرق	حياته	بلده	أعماله ـــ آثاره
٣٦ ـــ كرينكون ـــ فريتز Krenkow. F	١٨٧٢ ـــ ١٩٥٣	انكليزي الماني الأصل	ولي تحرير صحيفة فلندية (آبو) العاصمة القديمة ـــ علم العربية ـــ يعرف لغات كثيرة ـــ نادر الانتاج .
٣٧ ـــ كليمان ـــ هوار Clement, H	" "	فرنسي	من أوائل اساتذة الجامعة المصرية . له : فرنسيو مصر في القرنين السادس عشر والسابع عشر .
٣٨ ـــ كوفالسكي ـــ ت Kowalski, T.	١٨٨٩ ـــ ١٩٤٨	بولوني	محاضر لفقه لغات الشرق الاسلامي في جامعة كراكوفيا ، عضو مراسل في مجمع العلوم البولوني ـــ رئيس اللجنة الاستشراقية
٣٩ ـــ كولان ـــ جورج = كولين جورج ـــ سافن ColinG.S	١٨٩٣ ـــ	فرنسي	مقيم في شمال افريقيا ، متخصص بدارسة تاريخه ولغاته واتصالاته ـــ متوسط الانتاج
٤٠ ـــ كولين ـــ جابريل Colin G	١٨٩٣ ـــ	فرنسي	استاذ مدرسة اللغات الشرقية بباريس قليل الانتاج في المغربيات .
٤١ ـــ كي . أ = جي أرثور Guy, Arthur	١٨٧٤ ـــ ١٩٢٨	فرنسي	مترجم في سفارات دمشق وطرابلس الغرب واستنبول والقاهرة ـــ قنصل في حيفا وطرابلس الغرب وأزمير ـــ عضو في الجمعية الآسيوية تسمى بالشيخ يحيى الدبقى في كتاباته .
٤٢ ـــ لاوست ـــ هنري Lause, H	١٩٠٥ ـــ	فرنسي	مدير المعهد الفرنسي بالقاهرة (١٩٤١) ـــ استاذ بجامعة ليون (١٩٤٥) عضو في مجامع عديدة ـــ متوسط الانتاج .

المستشرق	حياته	بلده	أعماله ــ آثاره
٤٣ ــ لوبس ــ دافيد Lopes, D	١٨٦٧ ــ ١٩٤٢	برتغالي	كرسي العربية بكلية الآداب في لشبونة (١٩١١) مجمعي بعلوم لشبونة ومجمع التاريخ بمدريد .
٤٤ ــ مارسه ــ وليم Marcais, W	١٨٧٤ ــ ١٩٥٦	فرنسي	مدير مدرسة تلمسان (١٨٩٨) درس اللهجات المغربية ــ من أوائل المستشرقين الأوربيين .
٤٥ ــ ماسة ــ هنري Massé, H	١٨٨٦ ــ ١٩٦٩	فرنسي	مديرّ المعهد الفرنسي بالقاهرة ــ استاذ في الجزائر (١٩١٦) عضو في مجمع الكتابات والآداب ــ اختارته اليونسكو في لجنة المستشرقين
٤٦ ــ ماسينون ــ لويس Massig non, L	١٨٨٣ ــ ١٩٦٢	فرنسي	كبير المستشرقين في فرنسا ــ اشترك في مؤتمر المستشرقين الرابع عشر بالجزائر ١٩٠٥ ــ مستشار وزارة المستعمرات ــ أقام في القدس وبيروت وحلب ودمشق واستنبول ــ تولى تحرير مجلة العالم الاسلامي (١٩١٩) عضو في مجامع عدة ومنها بمصر غزير الانتاج .
٤٧ ــ ماكدونالد ــ د ــ ب Macdonaald,D,B	١٨٦٣ ــ ١٩٤٣	امريكي	اسس مدرسة كندي للبعثات (١٩١١) انشأ مع زويمر مجلة عالم الاسلام (١٩١١) اختص بالاسلاميات
٤٨ ــ مالنجو ــ العقيد Malinjoud, C	١٨٧٣ ــ ١٩٢٦	فرنسي	مولود في الجزائر ــ مترجم في المدرسة الحربية السورية (١٩٢١) له دراسات متعددة عن سورية .
٤٩ ــ ماليير ــ ادوار Mahler, Ed	١٨٥٧ ــ ١٩٤٥	ألماني	استاذ العربية في بودابست ، له : دليل القرآن (١٨٨١) والتقويم اليهودي (١٩١٦)

المستشرق	حياته	بلده	أعماله ـــ آثاره
٥٠ ـــ ماهلر Mahler		مجري	
٥١ ـــ مرجليوث ـــ د ، س Margoliouth, D,S	١٨٥٨ ـــ ١٩٤٠	انكليزي	من الاعلام ـــ استاذ العربية في اكسفورد ـــ رئيس تحرير المجلة الملكية الآسيوية ـــ عضو في المجمع اللغوي البريطاني والجمعية الشرقية الألمانية ـــ غزير الانتاج
٥٢ ـــ موجيك ـــ هانز Muzik, H, Von		نمساوي تشيكي الأصل	اختص بالتاريخ الاسلامي له : الوزراء والكتاب : للجهشياري ، صفة الأرض : للخوارزمي .
٥٣ ـــ موزال ـــ آلوا = موزيل الويز Musil,A	١٨٦٨ ـــ ١٩٤٤	تشيكي	استاذ اللغات السامية بجامعة براغ ـــ علم بمدرسة الكتاب المقدسة بالقدس (١٨٩٥) له رتبة لواء
٥٤ ـــ مونيته ـــ ادوارد Montet, Ed	١٨٥٦ ـــ ١٩٢٧	فرنسي سويسري الأصل	د / في اللاهوت البروتستانتي من باريس (١٨٨٣) استاذ العبرية والعهد القديم في جنيف ثم اضيف اليه العربية وتاريخ الاسلام
٥٥ ـــ ميتفوخ ـــ أوجين Mittwoch, Eug	١٨٦٧ ـــ ١٩٤٢	ألماني	استاذ في معهد اللغات الشرقية (١٩٠٧) وبرلين (١٩١٩) تخصص في فقه اللغة الحبشية والبيئة وجنوب الجزيرة العربية
٥٦ ـــ ميشور ـــ بللير Muhoux, B		فرنسي	مدير البعثة العلمية بطنجة راختص بالمعرب ، اسلم وتزوج من مغربية ـــ متوسط الانتاج
٥٦ ـــ فلللينو ـــ كارلو Nallino, C,A	١٨٧٢ ـــ ١٩٣٨	ايطالي	استاذ في جامعة القاهرة للفلك والأدب ـــ عضو المجمع الايطالي وعدة مجامع ومنها مجمع القاهرة ـــ اشرف على مجلة الدراسات الشرقية فمجلة الشرق الحديث ـــ غزير الانتاج .

المستشرق	حياته	بلده	أعماله ـــ آثاره
٥٨ ـــ هارتمان ـــ ريتشارد Hartman,R	١٨٨١ ـــ	ألماني	استاذ في جامعة ليبزيغ (١٩١٨) والعربية في جامعة برلين (١٩٣٦) عضو في عدة مجامع مدير معهد اللغات الشرقية ببرلين .
٥٩ ـــ هارتمان ـــ مارتين Hartman, M	١٨٥١ ـــ ١٩١٨	ألماني	مستشار القنصلية ببيروت (١٨٧٦ ـــ ٨٧) استاذ السريانية والدراسات الاسلامية بمدرسة اللغات الشرقية ببرلين (١٨٨٧) انشأ معهد شرقي بسورية (١٨٩٨ ـــ ١٩٠٦) عالم الاسلام (١٩١٣) . ومصر وتركستان أصدر بمعاونة العلماء مجلة
٦٠ ـــ هرزفلد ـــ أرنست = هرسفيلدأرنست Herzfeld,E,E	١٨٧٩ ـــ ١٩٤٨	ألماني	من علماء الآثار وخاصة في منطقة دجلة والفرات استاذ الجغرافية التاريخية بجامعة بغداد (١٩٢٠) .
٦١ ـــ مس ـــ جان ـــ جاك Hess, J,J	١٨٦٦ ـــ ١٩٤٩	سويسري (فرنسي)	استاذ الآثار المصرية والآشورية في جامعة فرايبورخ ثم أقام بمصر ـــ استاذ اللغات الشرقية بجامعة زوريخ .
٦٢ ـــ هوتسمام ـــ ت Houtsma,M,T	١٨٥١ ـــ ١٩٤٣	ألماني	كلف بانشاء والاشراف على دائرة المعارف الاسلامية (١٨٩٥) عضو في مجامع وجمعيات
٦٣ ـــ هرجرونجة سنوك Hurgrony,C		هولندي	مكث لحكومته في جاوة ١٧ سنة ـــ زار مكة متسميا بعد الغفار (١٨٨٤) غادرها قبل موسم الحج ـــ عميد العربية والفقه والأصول والحديث في أوربا .
٦٤ ـــ هوروفيتش ـــ جوزيف Horvitz, J	١٨٧٤ ـــ ١٩٣١	ألماني	استاذ العربية في عليكرة (١٩٠٧ ـــ ١٤) متخصص بالاسلاميات في الهند ـــ انتقل الى جامعة فرانكفورت (١٩١٥)
٦٥ ـــ هوميل ـــ فريتز Hommel, F	١٨٥٤ ـــ ١٩٣٦		علم بالسامية في جامعة ميونخ ـــ متوسط الانتاج

المستشرق	حياته	بلده	أعماله ـــ آثاره
٦٦ ـــ هيار Huart. Cl	١٨٥٤ ـــ ١٩٢٧	فرنسي	قنصل بالمشرق (١٨٩٧) امين سر ومترجم بوزارة الخارجية ـــ منتدب بمؤتمر المستشرقين بالجزائر (١٩٠٥) ، وكوبنهاجن (١٩٠٨) قنصل عام (١٩١٢) رئيس مجمع الكتابات والآداب الفرنسية ١٩٢٧ ، عضو المعهد الفرنسي والجمعية الاسيوية غزير الانتاج

١ ـــ محاضرات المستشرقين مابين ١٧ نيسان ١٩٢١م ـــ ١٢ نيسان ١٩٤٦م

المحاضر	جنسيته	الموضوع	التاريخ
١ ـــ لاووست ـــ هنرى Lwuse, H	فرنسي	حياة ابن تيمية وافكاره	٥ آذار ١٩٤١م
٢ ـــ ماسينون ـــ لونسي Massignon,L	فرنسي	وسائل اللغة العربية الى غايتها الثقافية	٢٤ آذار ١٩٤٥م

٢ ــ المقالات والبحوث الاستشراقية في ثلاثين جزءاً من سنة ١٩٢١ ــ ١٩٥٥م

الكاتب	جنسيته	الموضوع	المجلد	التاريخ
١ ــ آربري Arberry,A,J	أنكليزي	جزء من رواية أبي عمر الزاهد غلام ثعلب	١٤	١٩٤٩
٢ ــ بيريس ــ هنري B, H		للغة العربية وسكان الأندلس في القرون الوسطى	١٩	١٩٤٤
٣ ــ جبرائيل ــ ف Gabrieli, Francesco	ايطالي	ديوان الوليد بن يزيد	١٥	١٩٣٧
٤ ــ حتي ــ فيليب Hitti P.K.	أمريكي	نظم العقيان في أعيان الأعيان للسيوطي	٥	١٩٢٥
٥ ــ ديتريش ــ ألبرت Dietrich, A	ألماني	كتاب الجليس والأنيس للمعافي بن زكريا النهراوني	٣٠	١٩٥٥
٦ ــ ريتر ــ هـ Ritter, H	ألماني	رسالة ابن سينا	٢٥	١٩٥٠
٧ ــ شتولز ــ كارل		اللغة العربية في افغانستان	٣٠	١٩٥٥
٨ ــ كراتشكوفسكي Kratchkovski I	روسي	درس الآداب العربية	١٠	١٩٣٠
٩ ــ كرسكو ــ يوحنا أهنتين Korosco. A	فلندي	نفي أوهام الأوربيين في صعوبة تعلم اللغة العربية	٤	١٩٢١
١٠ ــ كرنكو ــ فريتز Krenkow, Fr	انكليزي	ترجمة الجاحظ	٩	١٩٢٩
١١ ــ كرنكو ــ فريتز Krenkow, Fr	انكليزي	صلاح الدين الصفدي	٩	١٩٢٩
١٢ ــ نيللينو ــ كارل Nellino, Carlo, A	ايطالي	تصحيفات عربية في معجمات اللغة العربية	١٠	١٩٣٠
١٣ ــ هوكسلي ــ جوليان		الأونيسكو ــ برنامجه وآماله	٢٣	١٩٤٨
١٤ ــ ولفنسون ــ اسرائيل Wolfensonhn, Y	ألماني	كتاب المصايد والمطارد لكشاجم	١٨	١٩٤٣

دراسة وتعقيب :

إن مايلفت الذهن وجود العدد الوفير في المجمع العلمي العربي بدمشق والذي أضحى فيما بعد مجمع اللغة العربية ، ومن جنسيات وشعوب عديدة لايخلو منه بلد أو شعب .

وإذا بلغ عددهم سنة ١٩٣٨م (١١٤) عضواً عاما فان الإحصائية التي بين أيدينا تمثل نصف الأعضاء من غير العرب مما ينبه الى تغلغل الفكر الاستشراقي العلمي في أرفع مؤسسة علمية لغوية بدمشق .

وفي الوقت ذاته لانجد مثل هذا العدد الضخم في مجمع عربي آخر حتى ولا في مصر التي استقطبت الثقافة الغربية قبل أي بلد عربي أو إسلامي آخر .

ومع هذه الملاحظة العددية فان الدراسة الإجمالية تطلعنا على النواحي التالية :

١ ــ تناسب الأعمال والأنشطة الفكرية العليا : فقد جمع معظمهم بين المجمعية والجامعية ، وكان نشاط بعضهم الجامعي أبرز من نشاطه المجمعي ، وآخرون كانوا على العكس ، مع الاشارة الى أن نشاطهم الجامعي كان خارج سورية وجامعتها .

مثلاً : (أراندوك) الهولندي أستاذ العربية بجامعة ليدن ، و(استروب) الدانمركي محاضرا للغات السامية والحضارة الإسلامية و(برتلس) الروسي أستاذ في الكلية الشرقية بموسكو ، و(بيرشم) السويسري أستاذ اللغات الشرقية في جنيف ، و(جويدى) الإيطالي أستاذ الأدب في الجامعة المصرية ، و(كولين) الفرنسي أستاذ بمدرسة اللغات الشرقية في باريس .

بالإضافة الى هؤلاء فإن العديد منهم كان يدرس في جامعات عربية أو في جامعات أقيمت في بلاد عربية واسلامية .

مثلا (جويدي) السابق و(دودج) الأمريكي في الجامعة الامريكية ببيروت رئيسا ، وأستاذاً زائرا في الجامعة الأمريكية بالقاهرة ، ومثله (فيليب حتى) في بيروت بالإضافة إلى جامعة (برنستون) الأمريكية ، وكذلك الانكليزى (جيوم) في الجامعة الامريكية ببيروت . و(هوار) ، و(ماسينون) الفرنسيين في الجامعة

المصرية ، و(مارسه) الفرنسي أستاذ اللهجات المغربية ومدير مدرسة تلمسان ، و(هوروفيتش) الألماني أستاذ العربية في (عليكرة) ، و(هرسفليد) الألماني استاذ الجغرافية التاريخية في بغداد .

وكان بعضهم يجمع بين العضوية في مجمع دمشق والعضوية في جمعيات ومجامع عربية وأجنبية ثانية ، تقديراً لأعماله وتكريماً لإنتاجه . ومنهم : (براون) الإنكليزي العضو في المجمع البريطاني ، و(بدرسن) الدانمركي ، العضو في الجمعية الشرقية الألمانية ، و(كراتشكوفسكي) الروسي العضو في مجمع العلوم الروسي والإيراني و(كوفالسكي) البولوني ، العضو المراسل في مجمع العلوم البولوني ، و(لويس دافيد) البرتغالي العضو في مجمع التاريخ بمدريد ومجمع العلوم بلشبونة .

وبعضهم كان يتمتع بعضويته في مجامع عربية أخرى مثل : (جب) الإنكليزي العضو المؤسس في مجمع القاهرة ، و(فيشر) الألماني العضو في مجمع القاهرة أيضاً و(جيوم) الانكليزي العضو في مجمع بغداد .

وربما جمع أعلامهم العضوية في أكثر من مجمع أو جمعية في العالم العربي والغربي ومنهم (فرنشيسكو جبرائيلي) الإيطالي و(اغناطيوس جولدزهير) المجري العضو بمجامع علمية عديدة ومنها مجمع العلوم المجري ، و(رينه دوسو) الفرنسي العضو في عدد منها ، وفي مقدمتها : مجمع الكتابات والآداب الفرنسية ، و(شاخت) الألماني العضو في مجامع عدة ومنها مجمع القاهرة .

ومن الأعمال التي تتلاءم مع (أستذتهم) و(مجمعيتهم) رئاساتهم أو عضوياتهم في مؤتمرات المستشرقين ولأقسام ثقافية اخرى .

فمنهم (آسين بلاسيوث) الإسباني الذي مثل بلاده في معظم مؤتمرات المستشرقين ، و(رينه باسيه) الفرنسي رئيس مؤتمر المستشرقين في الجزائر ، و(جولد زهير) المجري الذي كان يحرص على حضور مؤتمراتهم ، و(سترستيل) السويدي الذي اشترك في العديد منها ، و(هنري ماسه) الفرنسي الذي اختارته اليونسكو في لجنة المستشرقين ..

أما المساهمون في اعمال فكرية أخرى فمنهم (آربري) الانكليزي رئيس قسم الدراسات الشرقية والأفريقية و(لوسيان بوما) الفرنسي محرر في مجلة العالم الإسلامي لسنوات ، و(هلموت ريتر) الألماني عميد كلية الآداب في فرانكفورت ، و(سارتون) الأمريكي رئيس الاتحاد الدولي لتاريخ العلوم بباريس ، و(هنري لاووست) الفرنسي ، مدير المعهد الفرنسي بالقاهرة ، ومثله (هنري باسيه) ، و(هوتسما) الألماني المكلف بالإشراف على دائرة المعارف الإسلامية .

٢ ــ الجمع بين العضوية المجمعية والعمل العسكري والسياسي : وإذا عد الجمع بين العمل السياسي والجامعي غريباً في المنظور العلمي أو العلمي فإن اغرب منه حصول قائد عسكري ، أو موظف سياسي خطير على عضوية مجمع عربي أو عدد من المجامع العربية والغربية .

وذلك لأن الأحداث السياسية والعسكرية قد تفتح آفاقاً فكرية مغرضة أو علمية للمفكر الجامعي ، فتتوسع النظرات والتأملات في القضايا المطروحة كبحوث جامعية ، إن لم تستعمل لصالح الاستعمار والغزو الفكري .

أما المجمعي العسكري أو السياسي ، فماذا يمكن للمجمع اللغوي أو العلمي أن يفيد من وجهة المستشرق السياسية وعمله العسكري ؟

وفي الأصل كيف تسنى له أن يدخل في مثل هذه المؤسسة العلمية ؟ ومامهمته فيها ؟ وماالأصداء النفسية لديه ولدى المجمعيين الآخرين فيما اذا دارت بينهم مناقشات لغوية أو علمية ؟

ومالذي يجنيه الفكر الاستعماري من وجود عملائه بأفكار سياسية وأعمال عسكرية في مؤسسات لغوية متخصصة ؟

إن قدرات المستشرق الفردية ومزاياه العلمية الشخصية لهما الأثر الكبير في صلاحية المستشرق لعمله المجمعي أو عدم صلاحيته له .

فالمستشرق الفرنسي (ماسينون) يمكن أن يقوم بدور مجمعي هام عن طريق

بحوثه أو محاضراته أو مناقشاته بما يتمتع به من قدرات متفوقة ومزايا علمية تدنيه من احترام المجمعيين الذين يعلمون يقيناً عمالته لفرنسا وفكره السياسي الاستعماري .

ومثله (آربري) الانكليزي الذي تتلمذ على يديه العديد من العرب وتأثروا بأفكاره ، ونال شرف العضوية في عدد من المجامع العربية والغربية ، وبلغ أعلى المناصب السياسية حتى أضحى وزيراً للأنباء .

أما (هورجرونيه) الهولندي الذي نال شهرة ذائعة بين المستشرقين في تخصصاته في الفقه والأصول والحديث فقد ضرب الرقم القياسي في خدمة الاستعمار الهولندي في أندونيسيا طول (١٧) عاماً .

إن أمثال هؤلاء الأعلام لهم دورهم العلمي والدراسي في المجامع التي دفع بهم اليها ليحققوا أغراضاً سياسية واستشراقية معاً .

ولكن المستشرقين العسكريين ليس لهم دور يذكر في المجالات الثقافية واللغوية غالباً ، وهم أبعد مايكونون عن آفاقهما وبيئاتهما ، فهل نفترض أن وجودهم أو على الأقل وجود معظمهم يؤكد نوعا من السيطرة الاستعمارية العسكرية على العقول المجمعية العربية ورصد نشاطاتها داخل المجامع وخارجها ؟

إن مثل هذا الافتراض لايستبعد وقوعه في فترات كان العالم العربي تحت السيطرة العسكرية الاستعمارية التي تحاول أن تحكم قبضتها على الأفكار والموارد معاً .

فالعسكريون على قلتهم تنبه عضوياتهم في المجامع العلمية الى الروح السائدة البغيضة التي تسري في غير أجسامها والى غير طبيعتها واختصاصاتها .

ولدينا نماذج متمايزة تعيننا على فهم أعمالهم ونشاطاتهم :

فالمستشرق الايطالي (جريفيني ــ أوجنيو) أمين في إدارة أركان حرب طرابلس (١٩١١ ــ ١٣) ثم شغل مدير المكتبة الملكية بالقاهرة (١٩٢٠) .

والعقيد الفرنسي (مالنجو) مترجم في المدرسة الحربية السورية إبان الاحتلال الفرنسي ١٩٢١ ، وله دراسات متعددة عن سورية .

واللواء التشيكي (موزيل ألوا) ربما كان أكثرهم معرفة باللسانيات فهو أستاذ

اللغات السامية بجامعة براغ ، وعلم بمدرسة الكتاب المقدس بالقدس (١٨٩٥) .

وإذا استعرضنا أسماء وأعمال المستشرقين السياسيين الآخرين فإنها تكشف عن عدد غير قليل منهم فاق العسكريين عدداً ، ونشاطاً علمياً وسياسياً .

فالفرنسيون أكثر عدداً ، أذكر منهم (جبرائيل فران) وزير مفوض المشرق وعضواً بالجمعية الآسيوية .

و(رينه باسيه) قنصل فرنسا في الجزائر ، وعميد كلية الجزائر ورأس مؤتمر المستشرقين فيها (١٩٠٥) .

و(هيار) قنصل فرنسا بالمشرق (١٨٩٧) ثم قنصل عام (١٩١٢) ورئيس مجمع الكتابات والآداب الفرنسية (١٩٢٧) وعضو المعهد الفرنسي والجمعية الآسيوية .

بالإضافة الى (ماسينون) السابق ذكره .

ومن الانكليز : المستشرق المشهور (جب) والمجمعي في القاهرة والأستاذ في عدد من جامعات انكلترا وامريكا ، وكان مدير مركز الدراسات للشرق الأوسط (١٩١٢) .

و(الفردجيوم) المحاضر بعدد من العواصم العربية والاسلامية والغربية ، وكان رئيس قسم الشرقيين الأوسط والأدنى (١٩٤٧ ــ ٥٥) . **بالإضافة** إلى (آربري) السابق ذكره .

ومن الأمريكان (دودج بيارد) احد رؤساء الجامعة الامريكية في بيروت ومحاضر في القاهرة ، و(برنستون) وكان مستشار هيئة الأمم المتحدة لوكالة غوث اللاجئين .

ومن إسبانية (اميليو غومث = جوميث) أستاذ في جامعاتها ، ومدير المعهد الثقافي العربي الإسباني ، كان سفير بلاده في بغداد ثم في بيروت . ومن ألمانيا : (مارتين هارتمان) الذي أنشأ معاهد شرقية في سورية ومصر وتركيا ، وصاحب

مجلة : عالم الاسلام ، وكان مستشار القنصلية الألمانية ببيروت (١٨٧٦ — ٨٧) .

وإذا كانت السياسة لاتقوم على الأخلاقية حينذاك ، والساسة يسيرون وفق الخطة المرسومة لهم من حكوماتهم فإن أي عمل فكري لهم مهما كان قليلاً أو نادراً يتسم بالبعد الفكري المغرض الذي يتجلى في التعرف على اللغات المحلية ورسم الخرائط الطوبغرافية للبلاد الإسلامية والإحصائيات المختلفة والدراسات حولها ...

٣ — مجمعيون مسلمون : ويزداد عددهم عن المسلمين الجامعيين ، وأكثرهم من السياسيين الذين يقتضي عملهم إعلان إسلامهم في ظروف وملابسات معينة .

والمسلم الذي يفترض حسن إسلامهم بما يراه من ظواهر أحوالهم والله يتولى سرائرهم ويجد بيانات تحدد نوعية إسلامهم يكون إسلاماً مصلحيا في بعض الأحيان ، وإسلاماً سياسياً في أحيان اخرى ، وينبغي الّا يخدع بأقوال إسلامية لا ترافقها أعمالها ومسئولياتها ، وأن يكون على وعي تام من أعمال مستشرقين تزيوا بزي العامة أو العلماء ، ومنهم (كراوس) الصهيوني ، و(جولدزهير) المجري ، و(ماسينون) الفرنسي .

ومن حقهم أو من حق إعلان إسلامهم علينا أن نذكرهم والقلب في رية من صدقهم والنفس في شك من حسن إسلامهم إلا من عصم ربك .

فالمستشرق الهولندي (هورجرونيه) زار مكة قبيل موسم الحج وتسمى بعبد الغفار (١٨٨٤) وغادرها الى (جاوة) ولم يعرف عنه الاستمرار على الإسلام .

والانكليزي (فريتز كرينكوف) عمل في الهند (حيدرأباد) بدائرة المعارف العثمانية واعتنق الاسلام وتسمى بـ محمد سالم الكرنكوي .

والفرنسيان : (كي . أ = جي أرثور) مترجم في سفارات دمشق وطرابلس الغرب واستنبول والقاهرة ، ثم اصبح قنصل بلاده في حيفا وطرابلس المغرب وأزمير تسمى بالشيخ يحيى الدبقي في كتاباته .

و(بلليرميشو) مدير البعثة العلمية بطنجة ، أسلم وتزوج من مغربية مسلمة .

٣ ــ في الإلتزام المجمعي :

لقد كرمت المجامع المغربية عدداً وفيراً من المستشرقين ورفعت بعضهم الى أعضاء مؤسسين بعضهم إلى أعضاء فخريين ، وآخرين إلى مراسلين .

وبلغ عددهم في مجمع دمشق حوالى ستين ، وفي القاهرة حوالى ثلث الدمشقيين وقريباً من ذلك في مجمع بغداد .

وكان منهم أعلام ، لهم صيتهم في بلادهم خاصة وبين زملائهم المستشرقين في مختلف أصقاعهم عامة .

والمكثرون منهم زاد إنتاجهم على أربعة مئة وأقل مابين كتاب ورسالة ومقالة ومحاضرة .

وكان منهم مجيدو الفصحى كتابة وحديثاً ، وقد درسوها في بلادهم وفي الجامعات العربية لفترات متفاوتة . وكان منهم الجامعيون والمجمعيون في أكثر من جامعة ومجمع عربيين وغربيين ، يحاضرون في مواد عدة من الثقافة العربية والإسلامية وفي مقدمتها اللسانيات .

وهذه المزايا والنشاطات تؤهل للعمل المجمعي الغزير باعتبارها مسئوليات ينبغي أدبياً أن يلتزموا بها ويعملوا من أجلها .

فماذا قدم المستشرقون للمجامع التي كرمتهم بشرف عضويتها ، وبوأتهم ماتستطيعه من التقدير على صفحات مجلاتها ؟

ولنفترض أن كل واحد منهم قام بدراسة أو أعطى محاضرة واحدة فان مايزيد عن مئة محاضرة ودراسة على الأقل كانت من إعدادهم وإنتاجهم في السنة الواحدة ، فإذا استمرت عضوية الكثيرين منهم مايزيد عن خمس سنوات فإن الدراسات المجمعية يزداد عددها أضعافا مضاعفة ، وقريب من ذلك العطاءات التي يفترض تقديمها من امستشرقين في مجمع دمشق وحده .

ولكن ماذا نجد في العمل المجمعي الواقعي ؟

في مجمع دمشق محاضرتان للفرنسيين (لاووست) عن حياة ابن تيمية ، و(ماسينون) عن رسائل العربية الى غايتها الثقافية ، وأربعة عشر مقالاً أو تحقيقاً جزئياً ، أو دراسة لمخطوط أو ترجمة مقتضبة .

وثلاثة من الانكليز ومثلهم من الألمان وإيطاليين وأمريكي واحد وفلندي واحد ايضاً .

فكيف عقمت العقول الاستشراقية في ولادة الدراسات العربية في المجامع وكانت غزيرة الانتاج خارجها ؟

ولم القصور في الوفاء بالالتزام الأدبي المجمعي بعد مابلغوا من التكريم مالم يبلغه كثير من المجمعيين العرب ؟

ربما شعر بعضهم بالعجز اللغوي أمام اللغويين المسلمين ، وربما آثروا السلامة في عدم طرح شبهاتهم وأفكارهم الاستشراقية بعد أن طرد بعضهم منها ، وربما خضع بعضهم لسياسة ثقافية موجهة في أن يستفيدوا من ذخائر المكتبات المجمعية لبلادهم وبحوثهم الخاصة ، ويضنون بعطاءاتهم الفكرية السليمة .

واحتمالات أخرى يمكن أن تبرز بدوافع شخصية وقومية وفكرية .

وحسبنا أننا اطلعنا على إحصائية بأعمالهم لندرك البون الشاسع بين التزامهم المجمعي وبين استجابتهم المفترضة في الواقع .

من مراجع البحث وهوامشه :

(١) تاريخ المجمع العلمي بدمشق : احمد الفتيح : القسم الأول ، (٢) السابق من ص ١٧٤ ، (٣) السابق ص ٢٣٦ ، (٤) مجلة المجمع : المجلد ٥١ ص ١٩٥ ومابعد للعام الدراسي ١٩٧٦م (٥) في (أعلام) الزركلي : كرنكو ، وأنه ألماني ، وفي (المستشرقون) : للعقيقي : كرنكوف ، وانه انكليزي (٦) في موسوعة المستشرقين ، (٧) لم يذكر (المستشرقون) عضويته فيه ، (٨) در الكيلاني في مقدمة الكتاب ، (٩) مختصراً من : موسوعة المستشرقين ، (١٠) من ص ٧٩ ، (١١) مناهج المستشرقين ١ / ٤٢ ، (١٢) السابق ١ / ٤٣ ، (١٣) السابق ١ / ٤٥ عن (القرآن) بلاشير : ترجمة : رضا سعادة ص : ٤٥ ـــ ٤٦ ط بيروت ١٩٧٤ ، (١٤) وروايات أخرى في صحيح مسلم : الامارة ١٢ / ٢٢٤ ـــ ٢٢٨ بشرح النووي ، وانظر البخاري في : الزكاة والترمذي في : الفتن ، (١٥) موسوعة المستشرقين ، (١٦) وانظر البرهان في علوم القرآن ١ / ١٩٣ (١٧) مناهج المستشرقين ١ / ٤٠ ، ٤٢ ، (١٨) انظر مثلا : البخاري في تفسير : الضحى ، والحاكم في التاريخ ٢ / ٦١١ ، وانظر تفسير الطبري في سورتي : الضحى ، والمدثر ، وابن هشام في السيرة ١ / ٢٤١ ، (١٩) انظر : التراتيب الادارية : الكتاني ١ / ١١٥ ـــ ١١٧ ، (٢٠) انظر أفكاراً طيبة أخرى في : مناهج المستشرقين ١ / ٤٠ ، (٢١) لم يشر صاحب (الأعلام) اليه ، (٢٢) موسوعة المستشرقين ، (٢٣) مناهج المستشرقين ١ / ٣١ ، (٢٤) العقيدة والشريعة في الاسلام ، ترجمة : د / يوسف موسى ، وزميله ص : ١٢ ، (٢٥) سيأتي مزيد من البيان حول قضية التشابه عند المستشرق (الفردهيوم) .

ثانيا : المجمع المصري

تأسس ١٩٣٢ باسم مجمع اللغة العربية الملكي ومركزه القاهرة وكان يرأسه محمد توفيق رفعت باشا ، وتنص المادة الرابعة من مرسوم إنشائه : يؤلف المجمع من عشرين عضواً عاملاً يختارون من غير تقيد بالجنسية ، كما تنص المادة السابقة ، يجوز من غير تقييد بالجنسية أن يمنح لقب « عضو فخري » للأشخاص الذين يكونون قد قاموا بخدمات جليلة الشأن في دراسة اللغة العربية أولهجاتها ، ولايجوز أن يزيد عدد الأعضاء الفخريين على العشرين . والمادة الثامنة للمجمع أن يمنح لقب « عضو مراسل » لكل شخص مصريّ أو أجنبي ... وليس لهم عدد محدود ، ثم ازراد عدد الأعضاء المصريين وغيرهم الى (٣١) ثم الى (٤٢) عضواً[١] .

وأول لجنة عينت كانت مؤلفة من (١٥) عضواً عربياً ومسلما و(٥) أعضاء أجانب هم : جب بمدرسة لندن للدراسات الشرقية ، وفيشر : بجامعة ليبزج ، ونللينو بجامعة روما ، وماسينون : بجامعة فرنسا ، وفنسنك بجامعة ليدن . ثم نص المرسوم الثانى بتعيين (ليتمان) الألماني بدلاً من (فنسنك) وترجمة المراسم الى الفرنسية . ثم صنف الأعضاء إلى إحدى عشرة لجنة : الرياضيات ، العلوم الطبيعية والكيميائية ، علوم الحياة والطب ، العلوم الاجتماعية والفلسفية ، الآداب والفنون ، المعجم ، اللهجات ، المجلة ، خزانة الكتب : الميزانية ، الأصول العامة[٢] .

ويلاحظ اشتراك (نيللو) في لجان الرياضيات والمعجم والميزانية ، واشتراك (جب) في : الرياضيات واللهجات والمعجم ، واشتراك (فيشر) في أربع لجان : الكيمياء والمعجم ، واللهجات ، والأصول العامة ، واشتراك (ماسينون) في لجنتين الاجتماعية الفلسفية ، والآداب والفنون ، و(ليتمان) في المعجم ، واللهجات ، أما (هايم نحوم افندي) (ويظهر أنه يهودي) فقد أشترك في أربع لجان : المعجم رئيساً ، والمجلة ، والخزانة ، والاجتماعية الفلسفية .

ومن البحوث الأولى في العدد الأول : أسماء المسميات في شئون مختلفة ، تاريخ المجامع ، وفي تناظر العربية واليونانية والعربية واللاتينية ، اللهجة العربية العامة ، تيسير الهجاء العربي ، في علم الاشتقاق ...

ومن البحوث الاستشراقية حين تسمى مجمع اللغة العربية : وظيفة المجتمع في تشكيل الاصطلاحات : ماسينون ، وتطور علم الألسنة : جرمانوس ، أثر اللغة العربية في اللغة البرتغالية الأب ر ، دي ، سا ....

أولئك أعضاء عاملون ، أما الأعضاء المراسلون فقد تقرر اختيارهم بناء على اقتراح من رئيس المجمع اللغوي بدمشق محمد كرد علي عضو المجمع فيه برسالة بعث بها ، وفيها : (ان) وضع نظام العضو المراسل يتسع (به) نطاق المجمع لطائفة من العلماء اللغويين والأدباء لايتسع لهم نظام الأعضاء العاملين ، ولهذا اقترح على المجمع أن يضم الى هيئته عدداً من الأعضاء المراسلين يختارون من مختلف البلاد العربية ... ثم اصطفى بعضاً من أهل العلم والأدب في سورية ، واقترح أسماءهم أعضاء مراسلين .. ورحب الأعضاء في مجمع (فؤاد الأول) بالاقتراح ، وأن يختار أعضاء مراسلين من بين المستشرقين ايضاً[٣] ومن هؤلاء :

١ ــ جبريلي : روما .
٢ ــ أربري : لندن .
٣ ــ لاووست : ليون .
٤ ــ ينبرج : اوبسالا .
٥ ــ خليل مردم : سورية .
٦ ــ شفيق جبري : سورية .

وأعضاء آخرون من أقطار عربية أخرى[٤] :

ثم تبع ذلك ١٩٥٢ ، عملان لهما صلة بالاستشراق : أولهما إنشاء : جماعة الدراسات الشرقية باقتراح من المستشرق (جب) التي ترمي الى نشر البحوث الشرقية الممتازة ، والاتصال بالهيئات العلمية للمستشرقين خارج مصر ، وتنظيم لجان علمية

وفنية خاصة تضطلع بالدراسات الشرقية ...

وثانيهما : اشتراك المجمع المصري في الاتحاد المجمعي الدولي وذلك باقتراح من السكرتير الإداري للاتحاد المجمعي الدولي بمدينة بروكسل ، والغرض منه التعاون الدولي لتقديم العلوم عن طريق البحوث والنشرات المشتركة حسب العلوم التي تختص بها المجامع الممثلة في الاتحاد[٥] .

وكان المجمع سنة ١٩٤٢ قد أوصى بالاتصال بأعضائه المقيمين في الخارج ، واقترح أن تظل العلاقات بين المجمع وبينهم وثيقة ويبعث الى من يستطاع الاتصال بهم بنتائج مايدرس في المجمع من المصطلحات العلمية والقرارات اللغوية[٦] .

ثم دعي المجمع للاشتراك في المؤتمر الدولي الخامس والعشرين للمستشرقين الذي عقد بموسكو سنة ١٩٦٠ السنة التي تم فيها استصدار قرار رئيس الجمهورية جمال عبد الناصر بإنشاء مجمع اللغة العربية بالجمهورية العربية المتحدة ، يندمج فيه مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، والمجمع العربي في دمشق ، مع بقاء كل منهما باعتباره مجمعاً فرعاً[٧] .

١ ــ كارلو نللينو الإيطالي Nollino, Carlo, Alfonso (١٨٧٢ ــ ١٩٣٨)

خريج جامعة (تورينو) في العربية ، وفي وقت مبكر أوفدته حكومته إلى القاهرة فأقام فيها ستة أشهر (١٨٩٣) لا تعرف طبيعة إيفاده ، وفي عام (١٩٠٩) استدعته الجامعة المصرية استاذاً فيها لمادة الفلك ثم للأدب العربي ، ثم لتاريخ جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام (١٩٢٧ ــ ٣١) ، ومن خلال تدريسه يتبين أنه على اطلاع واسع في علوم شتى كالجغرافية والفلك والأدب والتاريخ والتصوف والفلسفة والفقه واللهجات ، وأتقن اللغة الفارسية ، وهو لهذا أصبح عضواً في مجامع عدة منها : المجمع العلمي الإيطالي ، والعلمي العربي بدمشق (١٩٢٠) واللغوي بالقاهرة منذ تأسيسه ، وتولى الاشراف على مجلة الدراسات الشرقية ، فمجلة الشرق الحديث .

أذكر من آثاره : تاريخ علم الفلك عند العرب في القرون الوسطى (١٩١١ ــ ١٢) بالعربية وهو نص المحاضرات التي كان ألقاها في الجامعة في أول مقدمه ، و : تاريخ الأدب العربي (١٩١٥ ــ ١٧) ، ودراسات في التراجم مثل : الفلسفة الشرقية أو الاشراقية لابن سينا (١٩٢٣ ــ ٢٥) ونقله الدكتور (بدوي) في كتابه : التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية (القاهرة ١٩٤٦) ، وابن أفلح العربي السرقسطي (مجلة الدراسات الشرقية ١٣ ، ١٩٣١) ، وابن المقفع (السابق : ١٤ ، ١٩٣٣) ، وكتب في دائرة المعارف الاسلامية عن : ابن رشد ، ابن جابر ، الغزالي ، ابن سينا ، الفارابي ، الإباضية ، إخوان الصفا ..)

وفي اللغويات عمل : تصحيفات غريبة في معجمات اللغة (مجلة المجمع العلمي بدمشق : ١٠ ، ١٩٣٠) ، وفي الفرق : آراء عن القرآن منسوبة للجاحظ (مجلة الدراسات : ٧ ، ١٩١٦) ، وأصل المعتزلة (٧ ، ١٩١٦) وعقيدة المعتزلة والعبادة وطبيعة الخلافة (١٩١٧ ــ ١٩) والتصوف الإسلامي

(١٩١٩ ــ ٢٠) ، وفي الشريعة كتب عن العلاقات بين الشرع الإسلامي وبين الحق الروماني ، والحق الشرقي القديم والحق الشرقي المسيح وغيرها مما تعد باكورة الدراسات في (تأثر) الشريعة بالقانون الروماني الذي كان يردده معه (جولدزهير) في : العقيدة والشريعة ، وبعده (شاخت) في كتاباته وبخاصة محاضرته في الأكاديمية الايطالية للعلوم بعنوان : القانون البيزنطي والشريعة الإسلامية (يولية ــ تموز ١٩٥٦) ، وربما سبقه (كاروزي) الايطالي ايضاً في : صلات القانون الروماني بالقانون الاسلامي (الجمعية الايطالية الشرقية للعلوم ٧ / ١٩١٣م ، ورد عليهم باحثون مسلمون وغير مسلمين(٨) .

وإذا طلب اليه المجمع المصري تصحيح أعلام البلدان في بلاد الإسلام ، وأنجز القسم الأعظم منه فإن باحثاً إسلامياً قال عنه : معروف بكتاباته ضد الإسلام(٩) .

وذكر باحث آخر ان (نللينو) أشار إلى مدى دقة العرب في كتابة التاريخ ، وأنهم اتخذوا لذلك طرقاً بالغة الحيطة : أولاها : ذكر السنين .. مهما كانت البلاد التي وقعت فيها كما فعل الطبري ، وثانيها : العناية برواية الحوادث باعتبار سياقها على قدر الاستطاعة كما فعل المسعودي في : مروج الذهب ، وابن خلدون وابن القفطي(١٠) .

ولكن إشرافه على مجلة (الشرق الحديث) وإصداره لها مدة (١٧) سنة كشف جانباً من شخصيته السياسة والاستعمارية ، حيث ان المجلة (تعنى بسياسة الشرق ، وتقويم بلدانه وأصول سكانه وتطور الثقافة الحديثة)(١١) .

وينوه الدكتور طه حسين بمدى تأثير (نللينو) الفكري في عقلية الدراسين من شباب الجامعة فيقول : ماأعرف أن أحداً أثر في الحياة العقلية للشباب المصري في ذلك الوقت مثل الأستاذ (ليتمان) والأستاذ (نيللو)(١٢) .

وواضح أن الشهادة السابقة ليست تعليقاً عابراً وذاتياً أو شخصياً من إنسان عادي وإنما هي بيان للواقع الذي يقرر فيه د / طه حسين حقيقة ماثلة للعيان متجددة الفعالية والآثار .

كما أن وضوحه ظاهر في تأثير (نللينو) في (الحياة العقلية) (للشباب المصري) ، وليس قاصراً على المادة الأدبية أو التاريخية التي كان يحاضر فيها .

وأرجح أن التأثير الشبابي العقلي له أبعاده الفكرية التي تتناول القضايا الإيمانية العلمية والغيبية عند طرح الشبهات في مصدرية الشعر الجاهلي ، ودراساته في جنوب الجزيرة العربية قبل الاسلام الذي حاضر فيها وكتب عنها ، والتي لها صلة بدعوى المستشرقين عموماً بآدمية القرآن ، وعلاقة الإسلام بالحياة العربية وبالفقة الروماني(١٣) .

ولكي يتضح اتجاه (نلينو) الاستشراقي ، أو على وجه الدقة (الاستعرابي) لابد من أن نوه بالنقاط التالية :

١ ـــ تاريخ القرآن : فقد قام المستشرق الألماني تيودور نولدكه (١٨٣٦ ـــ ١٩٣٠) بعمل كتاب ضخم في ثلاثة أجزاء يؤرخ فيه للقرآن وآياته حسب الترتيب الزمني الذي توصل اليه بمعرفته التاريخية ، ثم (اخرج نلينو كتاباً جمع فيه أشهر السور القرآنية ورتبها ترتيباً تاريخياً على حسب النتائج التي انتهى اليها نولدكه في كتابه عن : تاريخ القرآن ، وأضاف اليها تعليقات ومعجماً بأهم مافيها من ألفاظ قارنها بمقابلات في اللغات السامية الأخرى)(١٤) .

ثم رتبه بلاشير (١٩٠٠ ـــ ١٩٧٣) كما سبق الكلام عليه : (وفق فهمه وجهده الذهني ومعلوماته التاريخية والنفسية ...) .

ويبدو من هذه الأعمال القرآنية : ان (نلينو) رتب السور القرآنية لابقصد تفسيرها ، وانما ربط مفرداتها بما يقابلها في اللغات السامية ، وهو هدف لغوي مقارن يحمل المثقف على تتبع اللفظة القرآنية تاريخاً وربطها بالأسرة السامية ليوهم صلة القرآن بالعمل الإنساني وليس بوحي الله تعالى .

لأن التفسير اللغوي المقارن بتتبعه تاريخ نزول الآيات يقصد به إظهار العلاقة اللغوية بين القرآن والعبرية والفنيقية والبابلية لتبرز ثقافة الرسول اللغوية في القرآن وربطه بها على أنه منها ، وهو مقصد استشراقي معروف عملوا له بأساليب متلونة ،

المنصرون منهم والعلمانيون . ومن الناحية المنهجية فإن اسلوب العمل المنهجي غير سليم ولا يرضى عنه سوى المستشرقين أو بعضهم ، فاعتماد نيلنوفي ترتيب القرآن على النتائج التي انتهى اليها زميله نولدلكه ، مرفوض منهجياً . لأن النتائج التي توصل إليها نولدكة ليست محل اتفاق بين المستشرقين أنفسهم فكيف بالمسلمين وعلمائهم ، وماقدمه (بلاشير) من (ترتيبه) وفق فهمه وجهده دليل قريب على الاختلاف ، وعلى كل حال : فإن ترتيب القرآن على حسب النزول مخالف لاتفاق المسلمين إذ هو يعتمد على روايات مظنونة وأفهام متشبعة ومختلفة ، ومن ناحية ثانية فإن ابسط مبادئ المنهجية هي اتباع المصادر الأولى والأصول العربية الإسلامية الموثوقة مادام الموضوع المعالج عربياً وإسلامياً وليس اعتبار نتائج (نولدكه) مسلمات تنبى عليها حقائق دينية ولغوية . وعلماؤنا المسلمون عرفوا الدقة في المنهجية والتزموا بها ، وراحوا ينقلون شبهات الآخرين عنهم ومنهم مباشرة أو ممن يثقون بنقله وعزوه من المسلمين .

أما نيلنو ، وغيره كثيرون فإن اعتمادهم على بعضهم ، وثقة كل منهم بالآخر تبعدهم عن الغوص في المراجع الإسلامية وتجعلهم يقطفون النتائج من أيسر طريق وأقربه .

ولذا فان عمل نيلينو مغرض من ناحتين : المنهجية ، واللغوية المقارنة .

ويكفي أن أشير الى مقاله عن : نظام القبائل العربية في الجاهلية الذي (شهد به الأب لامانس في كتابه المشهور مهد الاسلام)(١٥) وهو الكتاب الذي ربط به لامانس الإسلام باليهودية والنصرانية بعيداً عن الرسالة والرسول .

وهذه (المقابلات) اللغوية تؤكد الربط في الاتجاه الاستشراقي العام وعند نلينو بوجه خاص ، وذلك بطريقة عرضها الخاصة لتحقق من ورائها الغرض المقصود .

٢ ــ رسوخه في المهام السياسية الاستعمارية : ففي تاريخ إيطاليا الامبراطوري حرص مسعور على التوسع الاستعماري في إفريقية منافسة للاستعمار الفرنسي ..

ولكنها اتفقت مع فرنسا فيما بعد على توزيع الأقطار العربية الأفريقية ، وعلى استخدام المعلومات التاريخية والجغرافية واللغوية والدينية لدى المستشرقين .

فقد عرف التاريخ الاستعماري الايطالي شخصيات استشراقية اتسمت بطابع عسكري وسياسي ، ومن هؤلاء : أوجينو جريفيني (١٨٧٨ ـــ ١٩٢٥) أمين إدارة اركان حرب طرابلس (١٩١١ ـــ ١٣) حيث كلف برسم خرائط المدن والبقاع في ليبيا . وفيتو (١٨٤٤ ـــ ١٩٠٤) القنصل في بيروت ، و(أمارى) (١٨٠٦ ـــ ١٨٨٩) وزير مالية ايطاليا ، وشير وللي (ولد ١٨٩٨) نائب الحاكم العام في افريقيا الشرقية ، كما عرفته دراسات خاصة عن ليبيا مثل : شعب طرابلس : بجونيوت (١٨٧٩ ـــ ١٩٥٣) ، وتاريخ ليبيا منذ الفتح العربي : أرتوري روسي (١٨٩٤ ـــ ١٩٥٥) و : ليبيا تحت حكم العرب والبربر والأتراك ، له ايضاً ... وكثير غيرها ...

ولكن دور نيلينو كان أرسخ في سياسة بلاده الاستعمارية فبعد (غزو إيطاليا لطرابلس لجأت اليه وزارة المستعمرات لتستعين بخبرته ومعرفته الدقيقة بأحوال العالم الاسلامي ، فكان مديراً للجنة تنظيم المحفوظات العثمانية ، ولمكتب الترجمة ، وفي هذا أفاد الحكومة الايطالية فائدة قيمة ، خصوصاً فيما يتصل بنقل أسماء البلدان العربية في طرابلس الى اللغة الايطالية ..)[١٦] (وفي سنة ١٩٢١ أنشئ في ايطاليا معهد الشرق ، من أجل دراسة أحوال الشرق وشئونه السياسية والاقتصادية والثقافية وخصوصاً الشرق الاسلامي ، فعين نلينو مديره العلمي ، وهذا المعهد هو الذي يخرج مجلة الشرق الحديث ـــ التي سبق الكلام عليها ـــ والتي تعبر عن نشاط هذا المعهد الدراسي)[١٧] .

أما زيارته الى المملكة العربية السعودية وإقامته زمناً بجدة طاف خلالها ببعض مدنها مثل الطائف ، ومقابلته الشخصيات السياسية الكبرى فقد نتج عنها كتابة القسم الأول من النظام السياسي والإداري والقضائي في المملكة ، ولكن الموت عاجله قبل أن يتم القسمين الباقيين الخاصين بالحياة الدينية والثقافية[١٨] .

إذاً فهو ضليع بالعمل السياسي كمدير للترجمة ولمعهد الشرق الدبلوماسي

الاستعماري الذي قلما يحظى مثله بمثل هذه المكانة الاستعمارية التي عرف منها وحشية بلاده العسكرية وبربريتها في الشعب الليبي المسلم تحت سمعه وبصره وعلمه مما لم يشهد تاريخ الاستعمار نظيراً له .

وربما كانت مهامه السياسية وأعماله فيها منطلقة من تصوره المشوه عن الخلافة عموماً وعن الخلافة العثمانية خصوصاً . فقد كتب رسالة ، طويلة فيها ، ثم كتب عنها في مجلة (الشرق الحديث) (١٩٢٤) بمناسبة زوالها على يد مصطفى كمال آتاتورك .

ولايخفى أنه طرح مشكلات دينية وعالمية وحكومية في نشأتها وتطورها وزوالها مثل ماكان يفعله زملاؤه المستشرقون جميعاً .

إن حقد نيلينو على الخلافة الإسلامية جعل منه مستودع معلومات استراتيجية وسياسية يزود بها السلطة العسكرية حينذاك ليعيد فيها أمجاد الامبراطورية الرومانية التي قام بتحقيق شيء منها بعد قليل زعيم ايطاليا الفاسشتي موسوليني .

٣ ــ مساهمته في الدعوة إلى العامية : إذا عد كتاب : نحو اللغة المغربية العربية مع استعمالات اللغة العامية : دومباي النمساوي (١٧٥٨ ــ ١٨١٠) أول بحث مفرد في اللهجة المغربية)[١٩] اقتصر فيه على لهجة أهل طنجة ، فإن بدعة العامية قد حمل العديد من الانكليز لواءها في مصر أكثر من أي أمة أخرى .

نقد أثارها القاضي الانكليزي ولمور ١٩٠٢ ، ثم المهندس الانكليزي وليم ولكسوس ١٩٢٦ ومن قبلهما مستشرقون ومديرو دور الكتب المصرية من الانكليز ايضاً[٢٠] ، ومن الايطالين : فارينا (١٨٨٩ ــ ١٩٤٧) في : قواعد العربية الفصحى واللهجات المغربية . و : جريفيني السابق : معجم ايطالي طربلسي ، وكاستلينوفو : معجم عامي ايطالي ١٩١٣ ...

ولكن نيلنو المحاضر بالعربية الفصحى مثل (جويدى) و(دلافيدا) و(ليتمن) الايطاليين المحاضرين بالفصحى ايضاً في الجامعة المصرية ، أراد أن يتعمق في فهم طبيعة الشعب المصري في زيارته الدراسية الأولى مدة ثمانية أشهر من

سنة ١٨٩٣ وقبل أن يستقدم محاضراً في الجامعة للمرة الثانية ١٩٠٩ ، فدرس اللهجة المصرية دراسة لغوية مشبوهة ، وربما استعان بتجارب ونتائج المستشرقين السابقين في دراسة اللهجة المصرية بالإضافة الى ماكان يتردد على ألسنتهم والسنة المستغربين العرب من ضرورة (تطوير) الفصحى الى العامية ، أو إهمالها كلية والاهتمام بالعامية بما كانوا يطرحونه عليها من شبهات وأباطيل . ومهما يكن من أمر فإن نلينو أصبح واحدا من المستشرقين غير الانكليز داعية الى العامية بأسلوب يغلب عليه الطابع اللغوي المغرض ويبدو اتجاهه الى العامية من جانبين .

١ ــ التزامه بالاستعراب : فقد تخصص في دراسة الثقافة العربية الاسلامية وترك (الشرقيات) جانباً فيما عدا ماله صلة بالعربية ، وأراد أن يتميز عن سواه من الغربيين بهذا التخصص ، وهو أن يكون (مهتما بالدراسات العربية وحدها دون غيرها من الدراسات الشرقية بخلاف غيره من المستشرقين الذين كانوا في الغالب يوجهون نشاطهم إلى أكثر من ناحية واحدة من نواحي الاستشراق من عربية وإيرانية وارامية ... على حد قوله ــ لا أريد أن يغريني شيء على الخروج من دراسة العرب وحدهم الى دراسة أخرى ولكنني أريد ان أعرف عن العرب كل شيء ...)[٢١] .

وأرجح أن (استعرابه) يرتبط باتجاهه القومي الاستعماري الذي كانت الأعمال العسكرية فيه (تلجأ) الى (ترجماته) و(معلوماته) عن الشعب الليبي المسلم أشد من أنه (حاجة) مؤقته قاصرة على الاستعمار قصير الأجل .

ومثل هذا الاستعراب بامتداده الى اللهجات المحلية وفي طليعتها المصرية يقوي الصلة مع (الشعب) من حيث اللغة والعادات والاجتماع في الجانب الاستعماري البعيد القريب .

٢ ــ تأليفه في اللهجة المصرية : فالمعروف أنه بعد زيارته الأولى لمصر ١٨٩٣ أصدر كتابه : اللغة العربية في لهجتها المصرية (لكي يدرس الإيطالي اللغة العربية بواسطته) ، حيث كان مرحلة فاصلة في حياته الثقافية الجامعية فشغل بعد تأليفه (كرسي اللغة العربية الشرقي في نوفمبر ١٨٩٤ وقد ظل به حتى ١٩٠٢)[٢٢] .

ولنا أن نفترض أن الحكومة الإيطالية إنما دفعت بنلينو في وقت مبكر لدراسة أحوال الشعب المصري عن طريق دراسة لهجته لما كان غامرها من أطماع استعمارية في إفريقيا العربية التي تحققت في غزو ليبيا فيما بعد ، وهو افتراض أخذ حيزه من الحقيقة بعد زمن قصير في غزو فكري في الجامعة ومجمع اللغة المصرية ، وغزو عسكري وفكري في القطر الليبي .

وإذا لم تعرف عن نلينو دراسة أخرى في اللهجات فيما بعد فان (اقتناء) الحكومة الايطالية الاستعمارية حينذاك ، معجماً ودراسة عن اللهجة المصرية لتستعين به لدى شخصيات سياسية مؤهلة أخرى يفيدها على المدى الطويل كبلد توسعي ، كما يفيد غيرها من الدول الاستعمارية التي يمكن أن تنتظم معها بمصالح دولية مشتركة .

تلك أبعاد وصفية لا تخلو من شيء من التحليل والاستنتاج لشخصية عريقة في الاستعراب برزت أعمالها في جوانب فكرية وعملية ، قومية وعربية استعمارية سياسية .

وإني لا أعد وصفاً تحليلاً كهذا تقويما كاملاً ودقيقاً لأفكاره ، وإنما أحسب أنني ألمحت الى المحور الذي ينطلق منه اتجاهه الاستعرابي ، ومدى تحققه في الإصدارات الفكرية ، وتأثر تلاميذه عمالقة الفكر العربي باتجاهه وكثير من وجهات نظره ، ثم إفادة حكومته من قدراته الذهنية ومعلوماته الغنية في نشوء التيار الفاشستي الاستعماري فيما بعد .

وأدع الغوص في اتجاهه ، وتتبع أفكاره واستقصاء أعماله وآثاره الجامعية والمجمعية إلى الأقلام الغيورة على الاسلام والمسلمين بل وإلى من يعنيهم تحرر الفكر الانساني من روابط الاستعمار ودسائسه ورواسبه مما نشأ عنه تشويه للفكر الاسلامي الأصيل .

٢ ــ لويس ماسينون الفرنسي Massignon, L (١٨٨٣ ــ ١٩٦٢) الذي تعرف على كبار المستشرقين الخطرين امثال (جولدزهير) و(سنوك هرجرونجه) و(لي شاتيله) أحب أساتذته اليه في الاستشراق ، وقصد بغداد حيث صادق العالم

(الألوسي) ثم عاد الى القاهرة (١٩٠٩) واستمع الى دورس الأزهر بالزي الأزهري ، وانتدبته الجامعة المصرية أستاذاً لتاريخ الفلسفة (١٩١٢ ـــ ١٣) ، ثم رحل الى الحجاز والقاهرة والقدس (١٩١٧ ـــ ١٩) وأقام في القدس وبيروت وحلب ودمشق والأستانة ، ثم رجع الى باريس وحصل على الدكتوراة (١٩٢٢) ، وتولى تحرير مجلة العالم الاسلامي ذات الطابع التنصيرى (١٩١٩) ومجلات أخرى .

وتميزت شخصيته بالسياسة فهو مستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في شئون شمالي إفريقيا ، وبالجامعية حيث حاضر في تاريخ الفلسفة كما مضى أربعين محاضرة ، وتدريسه في (الكوليج دي فرانس) ، وبالمجمعية فهو عضو في الجمعية الآسيوية ، والمجمع العلمي العربي في دمشق ، (١٩٢٠) والمجمع اللغوي المصري (منذ انشائه ١٩٣٣) ، وبالعسكرية فهو خدم بالجيش الفرنسي خمس مرات في الحرب العالمية الأولى .

ولكن أبرز طوابع هذه الشخصية الطابع التنصيرى فهو الراعي الروحي للجمعيات التبشيرية الفرنسية في مصر ، ووضع اتجاهه التنصيري البارز في خدمة السياسة الاستعمارية الفرنسية حينذاك .

وما تخصصه في الفلسفة والتصوف (الحلاجى) وتأليفه فيهما سوى توظيفهما في النشاط التنصيري السياسي الظاهر والخفي ، فقد كتب عن : آلام الحلاج المقتول (٣٠٩) ومذهب الحلاجية (١٩٠٩) ، والحلاج والشيطان في نظر الزيدية ، وكتابا الزيدية المقدسان (١٩١١) ، وتاريخ تأليف رسائل إخوان الصفا (١٩١٣) ، وأربعة نصوص متعلقة بالحلاج (١٩١٤) ، وآلام الحلاج شهيد التصوف في الإسلام أول رسالة دكتوراه من الصوربون (١٩٢٢) ، والتجربة الصوفية والأساليب الأدبية (١٩٢٧) ، وفي الفلسفة بالإضافة الى ماسبق : تاريخ المصطلحات الفلسفية بالعربية (مازالت مخطوطة) ، وترجمة ابن سينا لابن سبعين (تحقيق) ، وابن سبعين والنقد النفساني (١٩٢٨) ، والفلسفة وماوراء الطبيعة في التصوف الحلاجي (١٩٥٠) ، واتسعت دراساته في الفرق الباطنية وبعض

جوانبها : مثل : القرامطة ، والخطابية ، **والمتنبي** والعصر الاسماعيلي في الاسلام (١٩٣٥) ، وإمام العصر الإسماعيلي في الاسلام (١٩٣٦) ، وثبت مراجع عن القرامطة (١٩٣٩) ، ودراسته الاسلامية والفكرية قليلة مثل : المسيح في الأناجيل حسب الغزالي (١٩٣٢) ، والزمن في التفكير الاسلامي (١٩٥٣) ، وأهل الكهف في المسيحية والاسلام (١٩٥٥) ، وتاريخ العلم عند العرب (١٩٥٧) ...

وتبدو مهارته السياسية في محاولته التوفيق بين الفكر الاستعماري وتطلعات العرب في شمالي إفريقيا إلى الحرية والاستقلال ، وبتعبير أدق استخدم ذكاءه وقدرته المتفوقه في إقناع العرب بالسياسة الفرنسية ونجاحه فيها على حساب الشعب العربي المغربي وإيهامه بمناصره حقه والدفاع عنه ، فقد استعاد جامع (القيشاوة) في الجزائر لأصحابه المسلمين بعد ١٣٢ سنة .

ومثل منصبه في وزارة المستعمرات الفرنسية كمستشار تزدوج فيه اهتماماته الدرسية والسياسية الى سمته الغالبة في الاتجاه التنصيري الصوفي لتكوّن منه الفرنسي المخلص لدولته ، والكاثوليكي اليسوعي الواهب نفسه لها والذي استغل انتشار الصوفية وطرقها في الشمال العربي فعنى بها سلوكاً وكتابة .

وإذا أردنا أن نتبين ضلاعة (ماسينون) في الفكر الاستعماري فان من المهم إبراز العلاقة بين نشاطه الاستعماري الفكري وبين السياسة الاستعمارية الفرنسية التي كانت فرنسا تمارسها في المغرب العربي وبخاصة في (المغرب) وعلى يد المارشال (ليوتي) ، وكذلك جهوده الاستعمارية في سورية إبان الاحتلال الفرنسي وعلى يد الجنرال غورو ؟

فقد كان ماسينون (مستعمرا نشطاً يؤمن بالسياسة الاستعمارية للمارشال ليوتي في المغرب ، وعمل على تنفيذها لتأييد سياسته (البربرية)في مراكش ، بعد أن وجد مايسوغها من الناحية الفكرية ، ليس هذا فحسب . بل بتأييد الاستراتيجية الفرنسية لدمج المغرب مع فرنسا)[٢٣] ، ولم يكتف بماقامه في المغرب العربي

وإنما لحق بسورية واتصل بأهل الساحل السوري وجبال العلويين وكاد يقنعهم بولاء فرنسا لهم وبولائهم لفرنسا ، وإمكان فصلهم عن جسم سورية بدولة خاصة بهم ، وتعزل سورية في مناطق داخلية لايربطها بالعالم ساحلها أو بحرها .

وكتب د / بدوى ترجمة مفصلة عن جوانب عديدة في شخصيته وحياته ودراساته وتدريسه وسنفصل الكلام على جوانب أخرى .

١ ـــ بين صوفية ماسينون وصوفية الحلاج :

فهو يتحدث عن (نفوذ النظرة وعمق الاستبطان والقدرة على استنباط التيارات المستوردة وراء المذاهب الظاهرة والأفكار السطحية ، ومرد ذلك الى مزاج شخصي خاص جعل حياته الباطنة ثرة عامرة بأعمق معاني الروحية ...) .

وربما كان إيمانه القوي بكاثوليكيته ورعايته لها ولجمعياتها قوى في نفسه النزعة الباطنية ، وإضفاء الروحية في حياته وأعماله .

ثم إن اشتغاله بالصوفية المتأخرة لفهم أسرارها جعلته أقوى يقينا (بعمق الإيمان الديني بالمعنى الأدق الأسمى الواسع الذي يضم في داخله كل المعاني السامية في كل الأديان ـــ كتابية أو غير كتابية ، سماوية أو غير سماوية موحدة أو غير موحدة ـــ مما جعله أقدر على فهم دقائق الإيمان في كل الأديان ...)

ويبدو لي أن نزعته الانسانية في الأديان متعارضة مع نزعته العنيفة الى الكاثوليكية الذي اختارها وهو في الخامسة والعشرين من عمره . ثم مراسلاته العديدة مع الأب شارل دي فوكو ، والشاعر الكاثوليكي : بول كلودل فيما بعد ... ولكنها لاتتعارض مع النزعة (الماسونية) التي تلف جميع الديانات السماوية والوضعية في إطارها الإنساني المغرض سوى ماترمى اليه الماسونية من سيطرة اليهودية العالمية ، ومايرمى اليه (ماسينون) من سيطرة الكاثوليكية الفرنسية .

وبالإضافة إلى هذا فهل صوفية الحلاج ، وفريد الدين العطار ساعدته على تقوية (معاني الروحية وأنه أقدر على فهم دقائق الايمان في كل الأديان) كما يقول / بدوى معرضاً عن إجماع المسلمين في شذوذ الحلاج وخروجه عن منهج المسلمين ؟

فالمعروف أن (ماسينون) حجة في الصوفية ، استكمل دراستها من خلال بحوثه العديدة في الحلاج وأن المغرب العربي وبعض أقطار المشرق العربي قد انتشرت فيه فرق الصوفية وذلك إبان أو قبيل الاحتلال الفرنسي ، وأن مثل هذا التخصص الصوفي الماسينوني لايرضى الاستعمار الفرنسي وحسب وإنما يدخل قناعات في العديد من الصوفيين بل وربما يوقع البلبلة والفوضى والتمزق بين صفوف المسلمين حين تذاع أخبار الحلاج ومقتله بين المشرق والمغرب العربيين .

وعندئذ تتم له أمور منها : طغيان الصوفية الهندية والفلسفة اليونانية على المتصوفة كعلم وحركة وانتماء ، ومنها نجاح (ماسينون) وأمثاله في إشغال المسلمين بأعمال وأحوال ليست في الأصول الاسلامية ، ومنها نشر فكرة (الانسانية) التي عمل وتعمل لها (الماسونية) ، وأخيراً : تثبيت النفوذ الفرنسي والسيطرة الاستعمارية عن طريق الدراسات المذهبية التي تفرق بين وحدة المسلمين وتشتت شملهم .

وربما كان معاصره أو خلفه (نيكلسون) (١٨٦٨ ـــ ١٩٤٥) الانكليزي ينحو المنحى نفسه في الاتجاه الإنساني للديانات وعلاقة الصوفية بذلك فهو يقول : من المعروف جيداً أن مذاهب الصوفية للمسلمين وتأملاتهم أثرت في الاسلام تأثيراً قوياً ، والى حدما ، فانها توفر أرضاً مشتركة يمكن أن يلتقي فيها أناس من ديانات مختلفة ، مع بقائهم مخلصين للديانة التي يؤمن بها كل واحد منهم ، يلتقون بروح التسامح والتفاهم المتبادل وعن هذا الطريق يتعلمون أن يعرف بعضهم بعضاً ويحبه ، فإن كان عملي قد أعان على أي نحو ، في هذا التفاهم ، فلن يكون قد أنجز عبثاً[٢٤] .

فقد التقى مستشرقان كبيران فرنسي وانكليزي كاثوليكي وبروتستناتي وغيرهما معهما ، على أن تحمل الصوفية أبعاداً روحية وإنسانية تعلي (الماسونية) كثيراً منها ، ويهتم الاستعمار بأكثرها .

ثم أمكن لـ (ماسينون) وأمثاله أن ينفذوا عن طريق صوفية الحلاج الى انسانية

الأديان وربما إلى (الماسونية) المستورة بعد أن تمكنت أسرارها في نفسه وأعماله تمكناً جعله يكبر الاتجاه الصوفي الحلاجي العنيف الذي يشعره أن (له رسالة روحية تقتضي الحركة إلى جانب الهدوء في الدراسة)[٢٥] . وكذلك فإن إيمانه ظل حتى آخر لحظات حياته حيث كان يردد فيها الآية التي كان الحلاج يرددها قبيل مقتله ، متأثراً بها منفعلا بموقف الحلاج وهي قوله تعالى (يستعجل بها الذين لايؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق) (الشورى : ٤٢) .

ويمكن القول : إن شخصية الحلاج قد شدته اليها فحاول أن يعيش تجربة ذاتية حين تقمص شخصيته الصوفية وذلك على الرغم من سريان الاتجاه الأوربي المادي (فإنه إذاً يتمرد على حاضر هذا الإطار الأوربي يتمسك بماضيه فيعيشه رومانسيا عبر تجربه هذه الشخصية أو تلك من الشخصيات الروحانية في الثقافة العربية الإسلامية التي يجد فيها تعويضا عن الروحانية التي افتقدتها الثقافة الأوربية المعاصرة)[٢٦] .

٢ ــ ماسينون في دراساته منهجه فيها : يعد ماسينون من أعلام المستشرقين عموما والفرنسيين خصوصا ، فإنتاجه فريد بين مقال وبحث ومحاضرة ورسالة وكتاب ، وهو إن أنفق حياته في « الحلاج » و« الصوفية » عموماً . فقد كتب عن الكندي والسنوسية والترمذي وغيرها مقالات في دائرة المعارف الاسلامية ، كما كتب فصلاً عن تراث العرب العلمي في المطابع الجامعية ١٩٥٧ ، وآخر عن : غيوم ماجلان واكتشاف العرب لها ، أثبت فيه أسبقية العرب في اكتشاف الكواكب التي اهتدوا بها الى المحيط الهادي ، وذلك قبل أن يكتشفها (ماجلان) عند دورته حول الأرض[٢٧] .

وإلى جانب اهتمامه البالغ بالحلاج والتصوف نجده يعنى بالفرق الباطنية والحركات السرية وغيرها مثل : الشيعة ، والزيدية ، والنصيرية ، والإسماعيلية ، في كل من دائرة المعارف ، ومجلة العالم الفرنسي ، ومجلات أخرى عربية وغربية ، سبق الكلام على بعضها ، ومنها : مواد تتصل بالتصوف مثل : تصوف ، شطح ، طريقة ، زنديق ، زهد ، ورد ، و : الله حي ...

ومن المقالات القصيرة التي لا نعثر عليها في المصادر الكبرى مانشره في مجلة مجمع اللغة العربية المصري سواء كانت تتصل باللغة العربية مثل : الأصول الثلاثية في اللغة العربية[٢٨] ، وخطرات في الاحتفاظ بعبقرية النحو العربي[٢٩] ، أو كانت تتصل بالنواحي الاجتماعية والعلاقات الثقافية العامة مثل : المصطلحات العربية في القرى واكرام الضيف[٣٠] ، والتعادل الثقافي بين اللغة العربية ولغات الغرب[٣١] ، ومقالات أخرى نعود اليها في حينها .

ولكن الملاحظ هنا دفاع د / بدوي عن دراسة ماسينون للتصوف في كتابه : بحث في نشأة المصطلح الفني في التصوف الاسلامي في ٣٥٠ صفحة وأعيد طبعها ١٩٥٥ ، حيث يقول (استعرض نشأة التصوف منذ عهد الرسول حتى الحلاج ، ودرس المصطلحات الكبرى التي ظهرت في تلك الفترة ، وأدلى برأيه السديد الأصل وهو أن التصوف قد نشأ عن أصول إسلامية خالصة مستمدة من القرآن الكريم وسنة الرسول وحياته ، وأصحابه ذوى النزعات الزاهدة ، وبهذا دفع في صدر تلك الآراء المغالية الواهية التي ظهرت في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن نتيجة للمنهج الهزيل الذي اتبع ، منهج الأشباه والنظائر الواهية الظاهرة للتدليل على التأثير ، وقد اندفع فيه نفر من مؤرخي التصوف والحياة الروحية في الاسلام من المستشرقين أمثال : تولك ، وجولدزهير ، ومكدونالد ، وهورتن ، ولايزال هذا المنهج يجد له مع الأسف بعض الأنصار اليوم ، لما أن حاولوا رد نشأة التصوف الاسلامي إلى تأثيرات أجنبية كالأفلوطينية المحدثة والمذاهب الهندية ، ولهذا فان للمرحوم الأستاذ ماسينون الفضل العظيم في تفسير نشأة التصوف الاسلامي ونموه على الأقل في القرون الثلاثة الأولى ـــ تفسيراً مستمداً من أصول إسلامية خالصة ومن الكتاب والسنة على وجه التخصيص[٣٢] .

والكلام السابق يدور حول نقطتين :

١ ـــ دفاع عن ماسينون حيث لم يتجه الاتجاه الاستشراقي العام في تبعية التصوف الإسلامي للمذاهب الهندية واليونانية .

٢ ـــ دفاع عن التصوف نفسه واستمداد أموره من أصول إسلامية ومن سيرة الرسول وحياة الصحابة الزاهدة .

أما النقطة الأولى فهي تدور في إطار من الثناء والدعاء والفضل العظيم هنا وفي مواضع اخرى أكثر مما تدور حول حقائق مقارنة بين ماسينون وزملائه ، وقد أغفل العامل الذاتي لدى ماسينون في إعجابه بالحلاج من ناحية ، وتقمصه التجربة الصوفية الحلاجية وتأثر بها من ناحية أخرى .

وأما النقطة الثانية فإن د / بدوي يؤيد أصالة التصوف واستمداده من الأصول الاسلامية ، وتجريده من التأثرات الخارجية وبخاصة في القرون الثلاثة الأولى . وهي قضية نوقشت من قبل العلماء والمؤرخين عرباً كانوا أم غربيين حيث ترجح الآراء ثبوت الاقتباس من المذاهب الهندية واليونانية الإشراقية وبخاصة في العصور المتأخرة .

وعلى كل حال فإن (صفاء) النفس و (نقاء) القلب وزهادة الحياة التي عرفت في الرسول عليه الصلاة والسلام وفي الرعيل الأول لم تعرف بالتصوف ، ولم تعلن على أنها طريقة مذهبية وسيرة خاصة ، وإنما كانت فهوماً لأنماط معينة من الحياة الاسلامية أقرها الاسلام كما أقرها غيرها وذلك على اختلاف في الأنماط الأخرى التي اتخذتها الطرق الصوفية المتأخرة .

ومهما يكن من أمر فإن منهجية (ماسينون) في دراسة التصوف تقصد الى أغراض استشراقية فكرية ثقافية ، واستعمارية غازية .

والدراسة ضمن المنهج أو الإطار الذاتي لاتشوه المنهجية والموضوعية وحسب وإنما تحاول اقناع المسلمين بل وفئة خاصة منهم بولائه لهم وولائهم له لأنه منهم وهم منه .

ويؤكد المنهجية الذاتية عند ماسينون ماذكره د / محمد عابد الجابري بقوله : كان ماسينون من أبرز من مارسوا في ميدان الاستشراق هذا ـــ الكفران ـــ بالعقلانية والهروب إلى الذات .. ومواجيدها وقد أتاحت له رحلته إلى المشرق ـــ في

إطار الدور الاستكشافي الاستعماري ، وقد سبق له أن مارس الاستعمار مباشرة في المغرب العربي ـــ فرصة مكنته من اكتشاف الحلاج المتصوف المشهور ، فوجد في تصوفه ومأساته ماجعله يعانق فيهما أزمته الروحية ، ويعيش داخلهما أزمة الفكر الأوربي الذي ينتمي اليه ، ويقرأ فيهما بـ « تعاطف » رومانسي ، روحانية المسيحية الأوربية في القرون الوسطى(٣٣) .

وواضح هنا وهناك محاولات ربط المنهجية الذاتية بالأغراض الاستعمارية ضمن الاطار الصوفي المنحرف .

ولكن دراسة أخرى تبين منهج (ماسينون) البحثي الذي يتلخص في : طريقة المعالجة الشاملة (المدخل الشامل) وذلك من خلال موضوعه في كتاب : عاطفة الحلاج الشهيد الصوفي في الاسلام .

وأبان البحث السابق من خلال دراسة الحلاج (بعض الجوانب الصوفية الإسلامية وأرسى أسساً للجوانب الأخرى التي تتلوها .. فلقد أثرت طبيعة المصادر التي استقى منها ماسينون معلوماته تأثيراً حاسماً على طريقته في المعالجة ... اذ نجده قد دفع ماسينون الى توسيع رقعة طريقته في المعالجة مما يضفى على كتابه أهمية أكبر من أن يكون مجرد سيرة حياة موجزة ... والميزة الفريدة .... هي ذلك الجهد الذي لم يبذله في دراسة الرجل فحسب بل في دراسة البنية الاجتماعية له ، وأستاذته الذين تتلمذ عليهم ، ورحلاته التي قام بها ، والفلسفات المتصوفة التي كانت سائدة في المجتمعات التي زارها ، أو التيارات الدينية التي صادفها ...

ثم تنتهي الدراسة بالقول : إن طريقة المعالجة الشاملة وجدت مايسوغها في البحث العميق الذي أجري لتأكيد كل فصل من الفصول بالدقة اللازمة لأي عمل متخصص ...(٣٤) .

ولابد من إضافة نقطة قد تكون جديدة مع أنها ملاحظة في الذهن وطبيعة في معالجة موضوعات التراجم وهي أن اهتمامات (ماسينون) الكبرى في شخصية الحلاج ، وتفرغه جل حياته لدراسته ، وتعمقه في معالجات النواحي المختلفة في

شخصيته بالإضافة الى عمق ثقافته المعالجة ، ستؤدي الى دراسة الأحوال الاجتماعية والسياسية والعلمية في عصر الحلاج وما سبقه ولحقه من العصور .
وهي منهجية متعارف عليها في التراجم الذاتية حديثاً ، كما اتخذها علماؤنا في كثير من جوانبها قديماً .

ومهما حاولت مثل هذه الدراسات أن تبرر كثيراً من تصرفات الحلاج فإنها (لاتقنع القارئ بالضرورة سواء باعتباره مفكراً أو حتى صوفياً)(٣٥) .

حتى إن (ماسنيون) (باعتباره كاثوليكياً كان في وسعه أن يربط تفسيره الذاتي لصلب المسيح تضحية منه في سبيل خلاص البشرية ، بحياة الزهد والتقشف التي عاشها الحلاج ، والتي ادعى بأنها تضحية وقربان الى الله)(٣٦) ، وكان ماسنيون يبرز وسائل المعارضة الأقوى الثلاث : الصوفية والفقهاء والحكومة ثم (يصف الاتهام الثلاثي الذي وجه اليه كمايلي : أولاً لإفشاء الكرامات ، ثم لادعاء الربوبية ، وادعاء سلطات الله العليا المخولة للإمام فقط ، وأخيراً لجريمة الزندقة (نظرية الحب المقدس)(٣٧) .

فهذه الحقائق المقررة أو المستنتجة ــ إن وجدت وحدها كفيلة أن تجعل الحلاج خارج الدائرة الاسلامية لأن كل واحدة منها تدينه عقيدة وإيماناً كما تدينه علماً في الصوفية المفتراة .

ولذا فإن الإجماع قد قام من الحكومة والفقهاء حتى ومن الصوفية على محاكمته كمرتد عن الاسلام ثم قتله ، ويؤيد هذا الإجماع ماوصفه به الصولي (ت ٣٣٥) : اذا علم الحلاج أن شعب مدينة كانوا معتزلة وإمامية يعلن عن نفسه أنه إمامي ، ويقول : إنه يعرف إمامهم المنتظر ، وإن كانوا من أهل السنة يعلن أنه من أهل السنة(٣٨) . فهو وصفه بالكذب في الدين والقدرة على الانتماء لأي مذهب أو فرقة تخالف الاسلام صراحة أو ضمنا . كما يؤيده ماأقره الحلاج أو ادعاه على نفسه من قوله المشهور : مافي الجبة إلا الله ، ومشيراً الى نفسه ويقول عمرو بن عثمان : كنت معه فسمع قارئاً يقرأ القرآن فقال : أقدر أن أصنف مثل هذا القرآن(٣٩) .

وإذا فسرت حكايات الكرامات تفسيراً سياسياً كقوة تهدد المسئولين باعتبار شعبيته المتزايدة بالإضافة إلى تعاطفه مع العلويين أعداء العباسيين فإن التفسير الفكري لمذهبية الحلاج أنه مماثل للمذهب المانوي في الاندماج الصوفي عن طريق الحب باندماج النار داخل الفرد في المانوية .

وإذا فإن طريقة الدراسة عند ماسينون تقوم على دعامتين : الذاتية ، والمعالجة الشاملة ، وهما دعامتان متداخلتان ولابد أن تضعا سمات خاصة في الدراسات الاستشراقية عموما ، ودراسات ماسينون على وجه الخصوص .

٣ ـ ماسينون في الجامعات : يبدو أن شهرة ماسينون قد سعت به إلى التدريس في الجامعات وبين المستشرقين ، حتى إن الجامعة المصرية رغبت بالتعاقد مع جولدزهير وسنوك هورجرونيه للتدريس فيها ، فاعتذرا وأوصيا بماسينون لهذا المنصب ، فدعي إليها وألقى فيها أربعين محاضرة باللغة العربية (١٩١٣) حول تاريخ المذاهب الفلسفية وعنون لها : تاريخ الاصطلاحات الفلسفية ، وكان الدكتور طه حسين من طلابه حينذاك ، وقد أعجب بطريقة دراسته ومحاضرته .

وفي سنة ١٩١٩ بُعد أن سرح من الخدمة العسكرية عين أستاذاً بديلاً في : الكوليج دي فرانسي ، كرسي : الإسلام من الناحية الاجتماعية . الذي كان يشغله استاذه : لوشاتيليه .

ثم استمر يدرس الأحوال الاجتماعية والأنظمة في العالم الاسلامي على مر العصور طول خمس وثلاثين سنة ، حتى سنة ١٩٥٤ مستفيداً من رحلاته وأسفاره في العراق حيث عهدت اليه مهمة القيام بأبحاث وحفائر في الآثار ١٩٠٧ ، واختلاطه بالأسر المعروفة فيه ونزل ضيفا على أسرة الألوسي ، وتمخضت رحلته وأعماله عن العديد من المقالات والكتب ، وقبلها سافر الى الجزائر ١٩٠١ في رحلة قصيرة ، ثم إلى مراكش ١٩٠٤ واشترك في مؤتمرها الاستشراقي ١٩٠٥ ثم إلى مصر ١٩٠٦ للمرة الأولى وإلى استنبول ١٩٠٩ ثم عاد إلى مصر وحضر دروساً في الأزهر بالزي الأزهري إلى سنة ١٩١١ .

ولاننسى أنه كان تحت تصرف وزارة الخارجية الفرنسية بوصفه ضابطاً ملحقاً بمكتب المندوب السامي الفرنسي في سورية وفلسطين ، فقد كانت أسفاره كثيرة وتجاربه جمة أفاد منها في تدريسه (الأحوال والأنظمة في العالم الاسلامي) حتى أضحت (مادة خصبة لاتنفذ ، ولا شك في أنه أكبر عالم رحالة في هذا العصر ..)[٤٠] .

ثم عين مديراً للدراسات بالمدرسة العلمية للدراسات العليا (قسم العلوم الدينية) وظل فيه حتى تقاعد .

ومما سبق يتبين لنا الأمور التالية :

١ ـ قلة انتاجه الفكري الجامعي فانه لم يعرف عنه الا محاضراته الأربعون في : تاريخ الاصطلاحات الفلسفية ، المخطوطة في المجمع اللغوي .

٢ ـ بدايته في التدريس الجامعي بترشيح من زميليه جولدزهير وهورجرونيه ، كان في الجامعة المصرية في بداية إنشائها ، ولم ينل الدكتوراه كما أنه لم يستمر طويلاً فيها سوى عامين (١٩١٢ ـ ١٩١٣) .

ثم عين استاذاً في (الكوليج دي فرانس) بقية حياته .

٣ ـ نفوذه الأدبي في الجامعة كان واضحاً في ترشيح المستشرق التشيكي اليهودي (كراوس) الذي زكى ترشيحه للتدريس في كلية الآداب ، وذلك في عمادة الدكتور طه حسين حيث أشاد ماسينون بمناقب كراوس ومايؤمل منه ، وقد عين فعلاً (١٩٣٦) وبذلك على الرغم من انقطاعه عن التدريس مع الابقاء على صلته بالمؤسسات العلمية العليا مثل الجامعة ومجمع اللغة العربية .

٤ ـ اشتراك مستشرقين آخرين في تدريس : الفلسفة الاسلامية وتاريخها في الجامعة : منهم الاسباني : (الكونت دي جالارثا) والايطالي اليهودي (دافيد سانتيلانا) (١٨٥٥ ـ ١٩٤١) ، والمستشرق الصهيوني (كراوس) الذي نشرت له الجامعة : رسائل فلسفية لمحمد بن زكريا الرازي (١ / ١٩٣٩) كلية الآداب ، ولم يكن مدرسا للمادة نفسها .

٥ ــ ومن المرجح انصرافه إلى الفلسفة الإسلامية عموماً في الدراسة والتدريس أولا ثم تفرغه للدراسة الحلاجية ثانيا ، حيث نال الدكتوراه فيها بعد ذلك (١٩٢٢) ، ولم يفد منها بشيء في التدريس ، وانما تابع تأليفه في اختصاص آخر .

٦ ــ إن تقويم محاضراته غير ممكن في الوقت الحاضر بسبب بقائها ضمن المخطوطات مع محاضرات مخطوطة أخرى للمستشرقين الايطاليين : (نللينو) و(سانتلانا) في مكتبة الجامعة وفي مكتبة المجمع اللغوي ، ولكن الشيخ مصطفى عبد الرازق كان يشير الى محاضرات (سانتلانا) وينقل بعض المواضع منها بحسب ماذكره في كتابه « التمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية »[٤١] .

٧ ــ عدم صحة ماقاله الدكتور طه حسين من أن المستشرقين الجامعيين نقلوا مناهجهم في الأدب العربي وبعض العلوم كالفلك واللغة الانكليزية فقط ولا خطورة منهم ومن تدريسهم ، فقد عرف عن (كازانوفا) مفسراً للقرآن الكريم ، كما عرف عن (كراوس) مدرساً للنصوص العربية في الكتاب المقدس ، وعدد من المستشرقين متعددي الجنسيات مدرسين للفلسفة الاسلامية وتاريخها كما سبقت الإشارة إليه .

٤ ــ ماسينون في الجمعيات والمجامع اللغوية : إن المكانة الأدبية والمنزلة المعنوية الرفيعة التي يعرف بها عضو في جمعية علمية أو مجمع لغوي تحفز كثيراً من المستشرقين للحصول عليها بشتى الوسائل والطرق .

فهي من ناحية تشريف لأشخاصهم ونجاح لأعمالهم ، ومن ناحية أخرى إقناع الآخرين بصدق آرائهم واستقامة أفكارهم على المستوى الدعائي الإعلامي .

ومن هنا فان للعضوية المجمعية خطورتها في الفكر الإنساني عموما وفي الفكر اللغوي خصوصاً ، ثم ان لها خطورتها وأثرها على المستعمرين وأقوامهم ، والمستغربين وذويهم ، بالإضافة الى آثارها الشخصية والفردية في مزاج العضو ونفسيته .

وكانت عضوية (ماسينون) في الجمعية الآسيوية والمجمع العلمي بدمشق ،

والمجمع اللغوي المصري منذ إنشائهما تحمل أكثر من معنى شخصي وقومي وفكري استعماري .

ونستبق القول بالإشارة إلى أن ماسينون لم تعرف له مجالات لغوية أو بحوث فيها فيما قدمه من إنتاج فكري في داخل الجامعات وخارجها سوى ماقام به من محاضراته ومقالاته في المجمعين العربيين .

فقد عرف في الوسط الجامعي بتدريس تاريخ الفلسفة الإسلامية بجامعة القاهرة ، كما عرف بتدريس الإسلاميات نُظماً واجتماعاً في جامعة (الكوليج دي فرنسي) قرابة خمس وثلاثين سنة .

أما خارج الوسط الجامعي فقد عرف جل اهتمامه في التصوف عموماً والحلاج خصوصاً الى جانب دراسات قصيرة في التراث العلمي والفرق الدينية .

وبين حياته الجامعية وحياته الخاصة لانجد أعمالا لغوية أو أدبية تستحق التنويه بها في مستوى الأعمال الفكرية الأخرى .

وسبق أن ذكرت مقالات قصيرة دفع بها الى مجلة المجمع اللغوى المصري لبعضها صلات لغوية وشيجة ، ولبعضها الآخر صلات اجتماعية وثقافية عامة .

وهناك مقالات قصيرة أخرى تنحو المنحى نفسه لم ينشئها ماسينون إلا في المجال المجمعي ، ومن أجله ، حتى إنه لم يكن لها امتداد فكري أو لغوي في المجالات الخارجة عن المجامع ، لتستوفي أبعادها وتستكمل نقائصها .

ومع مافي هذه الملاحظة من الأهمية الثقافية والنفسية فإنه يجدر أن نتابع ماسينون في عضويته المجمعية ثم نشاطه في المجامع وتقويم بعض هذا النشاط ماأمكن .

أ ــ عضويته في مجمعي القاهرة ودمشق : فقد عقد المجمع العلمي العربي بدمشق جلسته بتاريخ ١٢ تشرين الأول ١٩٢٠ وقرر انتخاب عدد من المستشرقين من بلاد مختلفة ، ومنهم (ماسينون)[٤٢] وذلك بعد عام واحد من تأسيس المجمع ، ولذا فان (ماسينون) يعد من الأعضاء المؤسسين فيه .

ومن خلال عضويته الطويلة التي تجاوزت الأربعين عاماً لم يعرف له نشاط فكري واضح في البحوث المكتوبة أو المحاضرات سوى محاضرة واحدة ألقاها في ٢٤ آذار ١٩٤٥ وموضوعها : وسائل اللغة العربية الى غايتها الثقافية ، أما المقالات فلم يعرف أنه كتب واحداً منها خلال ثلاثين جزءاً من سنة ١٩٢١ ــ ١٩٥٥م .

ومن المناسب الإشارة إلى محاضرة وحيدة ألقاها في المجمع العلمي العراقي بعيدة عن اللغويات تحت عنوان : خطط البصرة في ١٧ / ١٢ / ١٩٥١ . وفي مجمع اللغة العربية بالقاهرة نص المرسوم الملكي الأول بتعيين ماسينون عضواً عاملا مع خمسة آخرين من جنسيات مختلفة وذلك عند انشاء المجمع ١٩٣٣ ، وبقي عضواً عاملا فيه حتى سنة ١٩٥٦ ، ثم عين عضواً مراسلاً إلى سنة ١٩٥٧ حتى وفاته .

ثم صنف الأعضاء العرب والمستشرقون إلى إحدى عشرة لجنة ، وكان ماسينون في لجنتي : الاجتماعية الفلسفية والآداب والفنون وعمل بحثاً حينذاك بعنوان : وظيفة المجتمع في تشكيل الاصطلاحات ، ثم توالت المقالات في حجم متوسط العدد بالنسبة للمستشرقين الآخرين ، إلا أنه على كل حال أغزر مما قدمه في المجمع الدمشقي بكثير(٤٣) . وفيمايلي ثبت بالمقالات المدونة خلال اثنين وثلاثين مجلداً من سنة ١٩٣٤ ــ ١٩٧٤ .

في العدد الأول :

١ ــ وظيفة المجتمع في تشكيل الاصطلات (وقد تقدم)

في العدد السابع :

١ ــ المعاجم الأوربية الحديثة ومدى ماتستفيده المعاجم العربية منها .

في العدد الثامن :

١ ــ الأصول الثلاثة في اللغة العربية .

٢ ــ اشياء ضرورية لوضع أطلس مصري لمصطلحات الحرف العلمية .

٣ ــ خواطر مستشرق في التضمين .

في العدد التاسع :

١ ــ المصطلحات العربية في القرى وإكرام الضيف .

٢ ــ التعادل الثقافي بين اللغة العربية ولغات الغرب .

في العدد العاشر :

١ ــ خطرات في الاحتفاظ بعبقرية النحو العربي .

في العدد الحادي عشر :

١ ــ ميتافيزيقا اللغة .

في العدد الثاني عشر :

١ ــ قيمة الخط العربي لتأسيس فن النقش المجرد .

٢ ــ افتراضات في مستقبل الخط بالحروف .

ومن ثم توقف نشاطه نهائيا بعد أن نُشر المقالان الاخيران في سنة ١٩٦٠م = ١٣٧٩هـ ، أي قبيل وفاة ماسينون بسنتين فقط .

ويبدو من ثبت المقالات أعلاه أن ماسينون كان ملتزماً بالكتابة في معظم فترته في عضوية المجمع وفي معظم أجزاء المجلة بدءاً من العدد الأول حين اختير عضواً في المجمع ا لى قبيل وفاته في العدد الثاني عشر ، وكان مجموعها إحدى عشرة مقالة ، ويلاحظ أن العدد الثامن قد سجل ثلاث مقالات كلها تتصل بمسائل لغوية ومعجمية . كما يلاحظ تداخل المسائل اللغوية بالمسائل الاجتماعية العربية والغربية ، ومن بينها اقتراحات ومشاريع لغوية .

وإذا توقفنا قليلاً عند بعض المقالات فإننا نستطيع أن ننوه ببعض أفكارها وقيمتها اللغوية والعلمية .

وأكرر القول أنني لا أدعي أن أقوم بدراسة عميقة ومستفيضة لهذه المقالات ، كما لا أدعي أنني سأقومها من الناحية الفكرية اللغوية فإن لهذه ولتلك مجالات أخرى لست الآن بصددها .

وإنما أسجل بعض الخواطر والملاحظات عن بعض المقالات التي يمكن أن تعد الحلقة الأولى في الدراسة العميقة المستفيضة .

١ ــ فالمقال : المصطلحات العربية في القرى وإكرام الضيف ، لم يذكر فيه سوى ثلاث مصطلحات في صفحتين ألقي في دورة المؤتمر التاسع عشر .

٢ ــ والمقال : التعادل الثقافي بين اللغة العربية ولغات الغرب ، أشبه مايكون باقتراحات لوضع المجمع معجماً لغوياً ضخماً .

٣ ــ والمقال : افتراضات في مستقبل الخط بالحروف وانعكاسها على استبقاء الخط العربي . ينوه فيه : بابتداء الخط العربي مرتبطاً بنظرية منازل القمر الثامنة والعشرين ، ويشير فيه الى ربط الهجائية العربية بعدد الحروف الموجودة في أوائل السور القرآنية وهو ٣٠٩ حروف ، وفي المقال إشادة بأن ماسينون من أنصار الصعوبة في تعلم اللغات ومنها العربية ، ولكن أهم مافي المقال هو : اقتراح بحذف التنقيط من الحروف ، وسمى ذلك (تحرراً) ، كما تحررت الموسيقى من استعمار (البيانو) ، ويتبع الاقتراح السابق بالاعتماد (على صورة مقتبسة من الخط الكوفي للتسوية بين الحروف في الاستقلال الشكلي) .

والمقال كتب في ٩ / ١ / ١٩٥٦ حين أضحت قضية الغزو اللغوي في نهايتها بعد اشتداد أوارها من قبل .

ومن العجيب مايذكر عنه من الجهالة بأبسط اللغوية الشرعية فهو يقرأ : لبست المرأة لباس الحداد ، (الحدّاد) ويتمحك في تأويلها .

كما يذكر عنه تأثر مسلمين به ارتدوا عن الإسلام وكانوا من تلاميذه ، ولاندري مدى تأثر المستشرق الانكليزي (تومبسون) به وهو مؤلف : الحلاج ولي وشهيد (١٩٢٩)

ومهما يكن من أمر فإن اهتمام (ماسينون) بالباطنية والصوفية في العالم العربي الذي بات متخلفا كان يقصد منه أن يكرس الفرقة بين المسلمين ويشتت وحدتهم ويبقيهم في سلطان المستعمر وضمن نفوذه .

ولا يفوتني أخيراً أن أشير إلى اعجاب الدكتور ابراهيم مدكور الأمين العام لمجمع اللغة العربية في تأبينه سنة ١٩٦٢ فقد غلب عليه الإشادة والانبهار

بشخصيته ، وبآثاره أكثر من تحليلها ونقدها .

ذكر د / مذكور أن لماسينون نحواً من ٦٠٠ بحث بين مقالة وكتاب ورسالة ومحاضرة ... ثم صنف كتبه إلى ثلاثة أبواب :

١ ــ آثار وتخطيط : ومنها : لوحة جغرافية للمغرب في الخمس عشرة سنة الأولى من القرن السادس عشر أخذاً عن : ليون الافريقي . و : بعثة في شبه الجزيرة ، و : تخطيط بغداد والكوفة ، والبصرة .

٢ ــ تصوف ودين : وذكر فيه بعض المؤلفات (الحلاجية) .

٣ ــ اجتماع وحضارة : درس : العمل والمشكلة العمالية في الاسلام .

و : المهن والحرف في المغرب .

و : الصهيونية والاسلام .

و : تقسيم فلسطين .

وعرض إلى شيئ من آرائه التي كان في مقدمتها : إيمانه بالحضارة الإسلامية ، وأنها كانت حضارة ذاتية ، صنعها الإسلام بتعاليمه ومبادئه ، وساهمت في بنيانها الشعوب الإسلامية المختلفة ، ولا نزاع في أنه سرت إليها تيارات من الحضارات الأخرى . ولكنها عدلتها وهذبتها وأصبحت جزءاً فيها .

ومنها موقفه من الديانات وهو أن الإسلام أخو المسيحية واليهودية ، وهي ثلاثتها تمت بصلة وثيقة إلى شريعة إبراهيم ... وقال : لقد ملأت هذه الأخوة قلب ماسينون واستولت على روحه حتى أصبح يعد أكبر مسلم بين المسيحيين وأكبر مسيحي بين المسلمين ... باسمها استنكر الحروب الصليبية في الماضي ، وباسمها استنكر العدوان على فلسطين في الحاضر ... وعاش يدعو الى التفاهم والتسامح بين الأديان ...

ومنها : تقديره للعربية التي يعتبر أن لها وظيفة دينية لأنها تعبر عن أوامر الله ووسيلة إلى التأمل والمناجاة هي لغة الوحي ، ومنه استمدَّت مجدها وقداستها ... وهي لغة حضارية تستطيع بألفاظها وتراكيبها أن تؤدي أدق المعاني وأحدثها ، وفي

نحوها كمال ودقة لم تتوفر لأي نحو آخر ، وربما امتدت إليه آثار يونانية أو سريانية ولكنه في أساسه عربي .

أما آراؤه السياسية فيقول د / مذكور عنها إن ماسينون (كان يحرص على أن يقول كلمة الحق ، ولقد قالها دائما برغم القوة وعنفها دعا الى استقلال مراكش ، وأيد محمد الخامس ، واستنكر تصرف (الجلاوي) وعارض حرب الجزائر ، كما عارض حرب السويس ، وجرت عليه معارضته ماجرت من أذى وعدوان ، فقبض عليه مرة في (فنسين) وقيد الى مركز الشرطة وعومل معاملة الأشرار ، وضرب مرة أخرى ضرباً مبرحاً في اجتماع عام كان يعرض فيه قضية الجزائر[٤٤] .

ومن أولى الملاحظات هنا عدم اعتماذ المقال على أي مرجع سوى صلة الكاتب الشخصية بماسينون ، ثم خلطه ولبسه بين آرائه وكلامه وآراء كلام المؤبن .

جدول بالمستشرقين المجمعيين في مجمع اللغة العربية بالقاهرة

لاتمنع قلة المستشرقين المجمعيين في المجمع المصري من (جدولة) أسمائهم وأبرز أعمالهم داخل المجمع وخارجه مشيراً الى اخطر شبهاتهم ومستخلصاً أهم النتائج .

المستشرق	حياته	بلده	اعمال أخرى
١ ــ أربري Arberry-A.J	١٩٠٥ ــ ١٩٦٩	انكليزي	مجمعي بدمشق ـ وزير الأنباء (١٩٤٠ ــ ٤٤) رئيس قسم الدراسات الشرقية والأفريقية ــ مجمعي في عدد من المجامع .
٢ ــ بلاشير Blachér,R,L	١٩٠٠ ــ ١٩٧٣	فرنسي	مجمعي بدمشق ــ جامعي في معهد مولاي يوسف بالرباط ــ مدير معهد الدراسات بالرباط .
٣ ــ بيرك ــ جاك Berque.J		فرنسي	استاذ التاريخ الاجتماعي في الكوليج دي فرانس ــ عين بالمجمع المصري ١٩٦٨ مدير البحوث الفنية والتجريبية في سرسي الليان (١٩٥٣) ومشرف على الدراسات العربية في بكيفا(١٩٥٥)
٤ ــ جب ــ هـ ــ ا ــ ر . Gibb-Hamilton-A.R	١٨٩٥ ــ ١٩٧١	انكليزي	مجمعي بدمشق ــ استاذ بجامعة لندن (١٩٣٠) واكسفورد (١٩٣٧) وهارفارد (١٩٥٥) مدير مركز الدراسات للشرق الأوسط (١٩٦٢) .
٥ ــ جبريل ــ فرنسيسكو Gabrieli-F	١٩٠٤	ايطالي	استاذ في جامعة روما ــ مجمعي بدمشق ــ متخصص بالشعر الجاهلي والتاريخ الاسلامي ــ غزير الانتاج .
٦ ــ جرمانوس عبد الكريم Germanus, J	١٨٨٤	مجري	مجمعي بدمشق ــ محاضر في عواصم غربية واسلامية ــ اسلم في مسجد دلهي الأكبر .
٧ ــ جروهمان ــ ادولف Grohmann,A	ـــــــ	نمساوي الماني	مجمعي بدمشق ــ جامعي بالقاهرة (١٩٥٤) متخصص باوراق البردي المحفوظة بدار الكتب المصرية .

المستشرق	حياته	بلده	أعمال أخرى
٨ ــ جوميز ــ ايميليو ــ جارسيا = غومز ــ اميليو Gomez, E	ــــــ	اسباني	مجمعي بدمشق ــ استاذ بجامعة غرناطة (١٩٢٩) ومدريد ، مدير المعهد العربي الاسباني ــ سفير في بغداد ثم لبنان .
٩ ــ رتستانو ــ امبرتو = رتوتانو Rizzitano Umberto	ــــــ	ايطالي	استاذ الدراسات الايطالية بجامعة بلرمو بصقلية ، عين بالمجمع المصري ١٩٦٨ ، وجامعة عين شمس ، معظم انتاجه ترجمات ودراسات لآثار وكتاب حديثين .
١٠ ــ فنستك Wensinck-Arent-Jan	١٨٨٢ ــ ١٩٣٩	الماني هولندي	معجمي ــ دراساته خطيرة مثل : العقيدة الاسلامية : نشاتها وتطورها التاريخي ــ اخرج من مجمع القاهرة اثر افترائه على الاسلام .
١١ ــ فيشر Fischer-Aug	١٨٦٥ ــ ١٩٤٩	ألماني	مجمعي بدمشق ــ متخصص في فن المعاجم وفقه اللغة ــ انشأ مجلة الدراسات السامية في ليبزج (١٩٣٢) .
١٢ ــ لاووست هنري Lause-H	١٩٠٥	فرنسي	مجمعي بدمشق ــ مدير المعهد الفرنسي بالقاهرة (١٩٤١) ــ استاذ بجامعة ليون (١٩٤٥) .
١٣ ــ ليتمان ــ انو Littmann-E	١٩٧٥ ــ ١٩٥٨	ألماني	جامعي بمصر وألمانيا والولايات المتحدة ــ اشترك في بعثات التنقيب الى سورية وفلسطين والحبشة ــ آثاره تزيد على (٥٥٠) اشترك في تحرير دائرة المعارف ــ اختص باللغات الشرقية ولاسيما العربية ولهجاتها .

المستشرق	حياته	بلده	أعمال أخرى
١٤ ـ كونتز ـ شارل(١)		فرنسي	
١٥ ـ ماسينون لويس Massignon, L	١٨٨٣ ـ ١٩٦٢	فرنسي	مجمعي بدمشق ـ كبير المستشرقين في فرنسا ـ مستشار بوزارة المستعمرات ـ تولى تحرير مجلة العالم الاسلامي (١٩١٩) في القاهرة .
١٦ ـ نيللنو ـ كارل Nallino-C-A	١٩٧٢ ـ ١٩٣٨	ايطالي	مجمعي بدمشق ـ جامعي بالقاهرة ـ مجمعي بايطاليا ـ اشرف على مجلة الدراسات الشرقية ـ فمجلة الشرق الحديث .
١٧ ـ نيللنو ـ ماريا Nallino, Maria	١٩٠٨	ايطالية	ابنة كارل نيللنو ـ تابعت كتابة أبيها عن الحياة الدينية والثقافية بالمملكة العربية السعودية (١٩٣٩) وخلفت اباها في مجلة الشرق الحديث .

* أخذت اسماء هذه القائمة من (٣٢) مجلداً من المجمع اللغوي المصري بالاضافة الى المراجع المعروفة .

(١) لم أعثر له على ترجمة في المراجع المعروفة .

دراسة وتعقيب :

بدأ تعيين المستشرقين في المجمع المصري سنة ١٩٣٣ بخمسة أعضاء عاملين ومؤسسين سبق الكلام عليهم ، ثم تم تعيين عشرة منهم اعضاء مراسلين سنة ١٩٥٦ ، وكان آخر المستشرقين عضوية (جاك بيرك) الفرنسي ، و(امبرتو رتستانو) الايطالي سنة ١٩٦٨ العضوان المراسلان ايضاً ، ولم نعلم أنه تعين بعدهما أحد حتى إن مؤتمر المجمع المنعقد في ٢١ / ١٩٧٢ كان اعضاؤه قد اختيروا من الأقطار العربية وحدها أعضاء مراسلين .

وبدارسة موجزة من خلال الجدول السابق يمكن أن نتبين مايلى :

١ ـــ أعمال استشراقية متنوعة :

ان معظم الأعضاء مراسلون (١٢) عضواً ، وهم جميعاً على قلتهم (١٧ ـــ ١٨) عضواً يعدون من أعلام المستشرقين عموماً لهم صيتهم الذائع في المجامع والجامعات والمؤتمرات بكثرة انتاجهم وتنوعه .

فقد كان العديد منهم مجميعون في دمشق مثل : آربري ، وبلاشير ، وجبرييل ، وجرمانوس ، وجروهان ، وجوميز ، ولاووست ، وماسينون .

وبعض هؤلاء وغيرهم قد حاضر في أكثر من جامعة عربية وغربية مثل : بلاشير المحاضر بمعهد مولاي يوسف بالرباط ، وجرمانوس المحاضر في عواصم عربية واسلامية ، ونللينو أستاذ في جامعة القاهرة ، وأمبرتورتستانو أستاذ الدراسات الايطالية بجامعة بلومو وجامعة عين شمس ، وجاك بيرك : أستاذ التاريخ الاجتماعي بجامعة الكوليج دي فرنسى . واشترك بعضهم الآخر في أعمال ادارية حساسة مثل : بلاشير مدير معهد الدراسات بالرباط ، وجوميز : مدير المعهد العربي الاسباني ، ولاووست : مدير المعهد الفرنسي بالقاهرة .

وصفات وأعمال أخرى عرضنا لها في مناسبات سابقة .

٢ ـــ من إنتاجهم المجمعي :

يدل تقدم المستشرقين الفرنسيين على غيرهم عدداً ونوعاً حيث بلغوا خمسة من

مشاهيرهم . على ممارسة ضغوط نفوذية وأدبية على الصعيد الثقافي الفرنسي الرفيع ، ويتبعهم الايطاليون حيث بلغوا ثلاثة ، وكذلك الألمان ، على حين كان انكليزيان ، وواحد فقط من كل من المجر واسبانيا والنمسا والسويد .

وكان إنتاج هؤلاء المجمعي على قلته يزيد قليلاً عن إنتاجهم أنفسهم في مجمع دمشق ، كما يزيد على إنتاج زملائهم الدمشقيين أيضاً .

ويتقدم (ماسينون) على غيره بإنتاجه المجمعي المتنوع بين مقالة ومحاضرة في مجلة المجمع وردهاته كما سبق الكلام ، ولابد من أن نشير إلى شيء من إنتاج الآخرين بالاضافة إلى ماذكر من البحوث الأولى في العدد الأول ، وحين تسمى المجمع بـ (مجمع اللغة العربية) وهي كما جاءت في مجلة المجمع :

١ ـــ في العدد الثالث : لهجات عربية شمالية قبل الاسلام : ليتمان .

٢ ـــ في العدد السابع : في الأدب الشعبي : ليتمان .

٣ ـــ في العدد الثامن : أثر اللغة البربرية في عربية المغرب : شارل كونتر .

٤ ـــ في العدد الرابع عشر : مقارنة بين اللغات المجرية وبين اللغة العربية : عبد الكريم جرماتوس .

بالإضافة الى مقالات لمستشرقين لم يكونوا أعضاء في المجمع ومنهم :

١ ـــ في العدد الثالث : بعض اصطلاحات يونانية في اللغة العربية : بندلي جوزي .

٢ ـــ في العدد الثامن : الثنائية والألسنة السامية : الأب مرجرجي الدومينكي .

٣ ـــ في العدد الثاني عشر : اللغة العربية الفصحى ولغة حمورابي : أدواردورم

٤ ـــ في العدد التاسع والعشرين : الألفاظ ذات الأصل العربي الدخيلة في اللغة الرومانية بواسطة اللغة التركية : نيقولار وبرشان .

وهناك كلمات قصيرة بعضها اعتذار أو شكر ، وبعضها الآخر اقتراحات مجمعية منها :

١ ـــ في العدد السابع : كلمة (ماسينون) في المؤتمر الرابع عشر ، وكلمة اعتذار لـ (جب) عن تقصيره بسبب عمله في انكلترا بشأن اللغات الشرقية .

٢ ـــ في العدد الثالث والعشرين : كلمة شكر واقتراح للفرنسي : جاك بيرك ، شكر فيها المجمع لاختياره عضواً مراسلا واقترح في آخرها دراسة موضوع : البيان الاجتماعي في الأقطار الشرقية ، وإلحاقه بعلم البيان البلاغي .

ولا حاجة بنا أن ننوه بأن المقالات والكلمات جميعها في اللغويات أصلاً واقتباساً وموازنة ولكن الذي ينبغي أن ننوه به هو التعريض ببدعة الشعبية أو العامية واعلاء شأن البربرية على العربية ثم العبث بالحروف العربية ونحوه كما سيأتي .

٣ ـــ أخطر الشبهات والافتراءات : وإذا عدّ معظمهم من الأعلام فإن أعلام الشبهات وأخطرها من افتراءاتهم وضلالاتهم .

أ ـــ فقد طرد (فنسنك) من المجمع اللغوي وعين مكانه (ليتمان) بسبب ماأعلنه من أصل الإسلام ومصدره الشرقي والجاهلي ، وقد لوحظ هذا في كتابه : العقيدة الإسلامية : نشأتها وتطورها التاريخي ، وظهر هذا بشكل جلي في كلامه عن الحج ، وذلك على الرغم من اعماله المعجمية في فهرسة الحديث النبوي الذي استعان له بـ (٣٨) باحثاً من بلدان مختلفة .

ب ـــ ودس المستشرق (جب) افتراءه عن (بشرية القرآن) وأنه من صنع الرسول في كتابه (المحمدية) بأسلوب خفي يوضح فيه نبوة الرسول باطنية داخلية دينية . وكتابه الآخر (وجهة الاسلام) حيث دس فكره التغريبي في ثقافة المسلمين وعقولهم وحياتهم ومناهجهم التعليمية .

ج ـــ و(ماسينون) معروف بآرائه (الحلاجية) التي جعلت من المقتول شهيداً ، إلى جانب آرائه الاستعمارية التي تخدم المارشال الفرنسي في المغرب (ليوتي) ، وكذلك آراءه في الاتجاه الى العبث بالفصحى كتابة ، وحذف التنقيط من حروفها ...

د ـــ و(ليتمان) الذي كان يركز على اللهجات في العربية مثل كتاباته عن : لغة دمشق العربية ، وملاحظات على كتابة حوران ـــ ولهجة حماة ، واللهجات العربية ، وأنشودة عربية شعبية من مصر ..

هـ ـــ و(فيشر) المعجمي الذي تبنى المجمع طباعته معجمة الكبير ونشره أول الأمر ، ثم بددت مواده ، وأخرج (فيشر) من عضوية المجمع ١٩٤٥ ، حيث عمل كتاباً أو رسالة بعنوان : آية مقحمة في القرآن . و : الاسم محمد عند البيزنطيين ، وكان يرى أن سكان مكة والمدينة وأجزاء من المناطق المحيطة بهما كانوا قد تخلوا عن (الإعراب) في زمان النبي وقبله .

و ـــ (بلاشير) المنظم القرآن حسب مايراه والواهم أن (الغرانيق) منه ، وأن احتمالاً قوياً يدفع إلى ضياع بعض الآي كتابة وحفظاً ، حتى أدى به تقصيه مواقف المستشرقين الى تأليف : (معضلة محمد) ، واضعاً قضية (المصدرية) اليهودية والمسيحية للقصص القرآني في المقام الأول معتمداً على إنجيل غير معروف به هو انجيل الطفولة ...

ز ـــ و(لاووست) الذي عالج قضايا إسلامية من خلال الواقع الغربي ومفهومه عنها ، ومن خلال آراء (ابن تيمية) ثم اتهام (ابن تيمية) بالقول بالتجسيم واثارة مسألة (الأقليات الدينية) و(الأفكار المناهضة) للاستعمار الفرنسي ...

ج ـــ و(كارل نللينو) الجامعي بالقاهرة والمجمعي بدمشق والمشرف على مجلة (الشرق الحديث) مدة (١٧) سنة حيث كانت (تعنى بسياسة الشرق وتقديم بلدانه **وأصول** سكانه وتطور الثقافة الحديثة) .

وإذًا فهي شبهات وافتراءات تحاول القضاء على الجذور الإسلامية وأصول العقائد الدينية حرصاً منها على إضعاف الثقة لدى المسلمين بهذه الأصول ، والأخذ بالثقافة الغربية .

فمن الطعون بأصالة الاسلام واستقلالية الوحي القرآني وتجريد الرسول من النبوة والرسالة تبدو خطورة آثارها من الوجهة الفكرية العقدية ...

ومن صوفية (ماسينون) القريبة إن لم تكن المماثلة من (الماسونية) العالمية بأفكارها وتعاليمها إلى (سلفية) (لاووست) في اتهاماتها العقدية تشويهاً وتزييفاً ،

وربط هذين الاتجاهين المختلفين بالإطار الاستعماري ، مايؤكد غرض الغزو الفكري في تغريب الشخصية الإسلامية وتمزيق وحدة المسلمين .

واللغة العربية الفصحى قد نالتها شبهاتهم في جوانب تتصل بها من حيث المصدر العربي ، والعبث بحرفها ونحوها وإثارة مشكلات لسانية حولها .

وإذا كان المجمع قد وفق أحياناً بالغاء العضوية عن (فيشر) و(فنسنك) فلا أقل من أن ينبري بعض علمائه وباحثيه ليردوا طعون زملائهم وهم قادرون .
ومهما استساغ المجمع العلمي العربي بدمشق اختيار أمثال هؤلاء المستشرقين الذين جمعوا عضوية المجمعين فإن المسئولية المجمعية تدفع الغيورين من المجمعيين العرب والمسلمين إلى **دحض** افتراءاتهم .

ومن الإنصاف في القول أن الردود على ضلالاتهم وانحرافاتهم وقعت من علماء وباحثين خارج المجمع أكثر مما وقعت من بين المجمعيين انفسهم الذين كانت تغلب على بعضهم روح المجاملة والإعجاب .

٤ ــ الأغراض السياسية الاستعمارية : أشرت الى النزعة الاستعمارية ضمن الشبهات والافتراءات العقدية واللغوية والاجتماعية ، كما نوهت باهتمامات الفكر الاستشراقي السياسي سواء كانت بدافع ذاتي أو بدافع وظيفي .

ولأطيل الكلام في هذا الجانب الذي يكاد يستحوذ على معظم أعمال وآثار الفكر الاستشراقي الفرنسي والايطالي والانكليزي والألماني والأمريكي والهولندي ...
وحسبي ان أذكر بهذه الشخصيات التي سبق الكلام عنها مثل : ماسينون في المغرب العربي وزميله لاوست ، وجب في السياسة الانكليزية الأمريكية ، ونللينو في الاستعمار الايطالي .

أما وزير الأنباء البريطاني (آربري) فقد خدم بلده في إنتاجه الاستشراقي أكثر من خدمته له في منصبه الوزاري ، وعضويته في المجمعين الدمشقي والقاهري كفيلة أن تؤدي أجل الخدمات الاستعمارية الفكرية .

إن الالتزام السياسي عملاً وإنتاجاً وغرضاً يقوض دعائم الموضوعية التي يعلون شأنها ويتظاهرون بالعمل في إطارها ، ويدفع المثقفين المسلمين إلى إعادة النظر بأعمالهم وإنتاجهم لامن الناحية السياسية الاستعمارية فحسب وإنما من الناحية الفكرية البحثية أيضاً .

مراجع البحث وهوامشه :

(١) مجلة المجمع المصري العدد ٩ / ٢٩٥ ، (٢) العدد الأول ١٩٣٤ ، (٣) الجلسة العاشرة للمؤتمر ١٠ فبراير (شباط) ١٩٤٧ ، انظر المجلد ٧ / ٥٥ ، (٤) العدد ٧ / ١٠٩ ، (٥) العدد ٨ / ٤٥١ ، (٦) العدد ٥ / ٢٠٨ (٧) قرار رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، انظر المجلة العدد ١٢ / ٣٣١ ، (٨) منهم : د / معروف الدواليبي ، وفارس الخوري ، وانظر الموضوع مفصلاً في : الاسلام والثقافة في مواجهة تحديات الاستعمار وشبهات التغريب من ص ٢٨٨ : أنور الجندي ، وفيه عرض للردود المختلفة ، وانظر الاسلام وموقف علماء المستشرقين ص ٢٧ د / عبد الحميد متولي (٩) د / البهي : المبشرون المستشرقون ص ٢١ ، (١٠) أنور الجندي السابق ، ٣٤٣ (١١) د / العقيقي في المستشرقون ١ / ٣٣٩ ، (١٢) انور الجندي في : طه حسين : حياته وفكره في ضوء الاسلام ص ٣٨ ، (١٣) د / البهي في الفصل الأول من : الفكر الاسلامي ، (١٤) د / البدوي في : موسوعة المستشرقين (١٥) السابق (١٦) السابق ، (١٧) السابق ، (١٨) السابق (١٩) السابق ، (٢٠) د / محمد محمد حسين في : الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ١ / ٣٦٨ ، ومواضع أخرى ، (٢١) موسوعة المستشرقين ، (٢٢) السابق ، (٢٣) مناهج المستشرقين ١ / ٣٦٥ ، (٢٤) موسوعة المستشرقين ، (٢٥) السابق ، (٢٦) مناهج المستشرقين ١ / ٣٢٠ ، (٢٧) موسوعة المستشرقين ، (٢٨) العدد ٨ ، (٢٩) العدد ١٠ ، (٣٠) العدد ٩ ، (٣١) السابق ، (٣٢) موسوعة المستشرقين ، (٣٣) مناهج المستشرقين ١ / ٣٣٢ ، (٣٤) السابق ، (٣٥) السابق ، (٣٦) السابق ، (٣٧) السابق (٣٨) انظر لفظاً قريباً منه في : الفتاوى لابن تيمية ٣٥ / ١١١ ولم يسنده ، (٣٩) الفتاوى السابقة ، وانظر اخباره فيها : ٢ / ٤٨٠ ـــ ٤٨٧ و ٣٥ / ١٠٨ ـــ ١١٠ ومواضع أخرى (٤٠) مناهج المستشرقين ١ / ٣٧٥ ،

(٤١) موسوعة المستشرقين (٤٢) تاريخ المجمع العلمي العربي بدمشق : احمد الفيتح ص ٢٣٦ ، (٤٣) انظر العدد الأول من المجلة ١٩٣٤ ، والموسوعة العربية الميسرة ، وموسوعة المستشرقين ، (٤٤) مجلة المجمع المصري ١٧ / ١١٣

ثالثا : المجمع العلمي العراقي

وانشئ عام ١٩٤٧ للعناية باللغة العربية ، والبحث في آدابها ، وفي تاريخ العرب ولغاتهم ، ولدراسة علاقات الشعوب الاسلامية ... كما ذكر في أهداف المجمع عند تأسيسه . وللمجمع أعضاء عاملون أو مساعدون من العراقيين ، وأعضاء مراسلون وفخريون قد ينتخبون من غير العراقيين . ففي هيكله العام شبه بالمجمعين : السوري والمصري ، مع إغفال العدد المحدد من المراسلين والفخريين .

ومن المناسب أولاً أن نورد مجملاً عن نظام المجمع وأبرز أعضائه .

(١) فقد شرعت وزارة المعارف في تنفيذ احكام المادة الثامنة من نظامه ، فاختار وزير المعارف أعضاء عاملين ، وفق الفقرة (١) من المادة المذكورة ، وهم الاساتذة :

١ ــ الشيخ محمد رضا الشبيبي .
٢ ــ الدكتور محمد فاضل الجمالي .
٣ ــ الدكتور هاشم الوتري .
٤ ــ الدكتور متي عقراوي .

واجتمع هؤلاء الاعضاء لتنفيذ الفقرة (ب) من المادة المذكورة من نظام المجمع فانتخبوا الأساتذة :

١ ـــ توفيق وهبي (وزير المعارف) .
٢ ـــ محمد بهجة الأثري .
٣ ـــ الدكتور جواد علي .

أعضاء عاملين

ثم انتخب هؤلاء الأعضاء السبعة ثلاثة آخرين ، وهم الأساتذة :

١ ـــ نصرة الفارسي .
٢ ـــ منير القاضي .
٣ ـــ الدكتور شريف عسيران .

وبذلك تألف المجمع . وصدرت الإرادة الملكية بالموافقة على هذا الانتخاب في اليوم الثاني والعشرين من صفر / ١٣٦٧هـ . الموافق لليوم الرابع من كانون الثاني / ١٩٤٨م .

وقد عقد المجمع أول جلساته في ١٢ ـــ ١ ـــ ١٩٤٨م . وانتخب ديوان الرئاسة الذي تألف من :

١ ـــ الاستاذ الشيخ محمد رضا الشبيبي ـــ رئيسا .
٢ ـــ السيد توفيق وهبي ـــ نائباً أول للرئيس .
٣ ـــ الدكتور هاشم الوتري ـــ نائبا ثانيا للرئيس .

ثم أعيد انتخابهم في ١ تشرين الأول ١٩٤٨م .

وبعد صدور نظام تعديل نظام المجمع العلمي العراقي رقم (٦٢) لسنة ١٩٤٧م . ظهر إلى الوجود تفسير الفقرة الثالثة من المادة الثلاثين من (القانون الاساسي) وهو يمنع الجمع بين الوزارة أو العضوية في المجلس التشريعي وبين عمل آخر من أعمال الدولة ، فتخلى الرئيس (الشيخ الشبيبي) في ١٦ ـــ ٢ ـــ ١٩٤٩م عن المجمع إذ كان عضوا في المجلس النيابي ، كما تخلى عنه في ١٥ ـــ ٢ ـــ ٩٤٩م نائبه الأول (توفيق وهبي) محتفظاً بعضويته في مجلس الاعيان ، وقبله العضو السيد نصرة الفارسي للسبب ذاته ، إذ كان عضوا في المجلس النيابي ، واستقال الدكتور هاشم الوتري في ٢ ـــ ٤ ـــ١٩٤٩م من

الرئاسة الثانية مقتصرا على عضويته في المجمع ، وفي ٨ ــ ١ ــ١٩٤٩ عقدت جلسة للنظر في ملء الشواغر بانتخاب أعضاء جدد فانتخب السيد محيى الدين يوسف ، والدكتور مصطفى جواد والسيد شيت نعمان أعضاء عاملين .

وأجري انتخاب ديوان الرئاسة الجديد في ٢ ــ ٤ ــ ١٩٤٩ فكان كما يأتي :

١ ــ الأستاذ منير القاضي ــ رئيسا .

٢ ــ الدكتور شريف عسيران ــ نائبا أول للرئيس .

٣ ــ الأستاذ محمد بهجة الأثري ــ نائبا ثانيا للرئيس .

ولما حلت السنة الثالثة أعيد في ١ / تشرين الأول / ١٩٤٩م انتخابهم لذلك .

وفي ١٥ / ١٠ / ١٩٤٩م قرر المجمع جعل الدكتورين : ناجي الأصيل وأحمد سوسه عضوين عاملين بدلا من الدكتورين : محمد فاضل الجمالي ، ومتي عقراوي نظراً لسفرهما خارج العراق لمدة طويلة .

وفي سنة / ١٣٧١ ــ ١٩٥٢م ــ أصبح ديوان الرئاسة يتألف من :

١ ــ الأستاذ منير القاضي ــ رئيسا .

٢ ــ الدكتور شريف عسيران ــ نائبا أول للرئيس .

٣ ــ محمد بهجة الأثرى ــ نائبا ثانيا للرئيس .

٤ ــ الدكتور جواد علي ــ سكريترا .

وفي سنة ١٩٥٣ ــ ١٩٥٤م أصبح ديوان الرئاسة يتألف من :

١ ــ الدكتور ناجي الاصيل ــ رئيسا .

٢ ــ الاستاذ محمد بهجة الاثري ــ نائبا أول للرئيس .

٣ ــ الدكتور مصطفى جواد ــ نائبا ثانيا للرئيس .

٤ ــ الدكتور جواد علي ــ سكرتيرا .

وفي سنة / ١٣٧٤هـ ــ ١٩٥٥م ، أصبح ديوان الرئاسة يتكون من :

١ ــ الأستاذ منير القاضي ــ رئيساً .

٢ ــ الأستاذ محمد بهجة الأثري ــ نائباً أول للرئيس .
٣ ــ الدكتور مصطفى جواد ــ نائبا ثانيا .
٤ ــ الدكتور جواد علي ــ سكرتيراً .

وكذلك أصبح ديوان الرئاسة لسنة / ١٣٧٥هـ ــ ١٩٥٦م يتألف من الأساتذة المتقدمة أسماؤهم اعلاه .

وفي مساء السبت الثالث من تشرين الأول من عام / ١٩٥٩م ، عقدت الجلسة الأولى لهذه السنة ، وانتخب بالاقتراع السري الأساتذة :

١ ــ السيد منير القاضي ــ رئيسا .
٢ ــ السيد محمد بهجة الاثري ــ نائبا اول للرئيس .
٣ ــ الدكتور أحمد نسيم سوسة ــ نائبا ثانيا .
٤ ــ الدكتور جواد علي ــ سكرتيرا .

لديوان الرئاسة ، وبناء على استقالة الدكتور أحمد سوسة من نيابة الرئاسة ، انتخب المجمع في جلسته المنعقدة مساء السبت ١٧ / ١٠ / ١٩٥٩م الدكتور مصطفى جواد في محله .

ومن الأساتذة المذكورين أعلاه ــ ماعدا الدكتور أحمد سوسه ــ أصبح يتكون ديوان الرئاسة لسنة / ١٩٦٠ ــ ١٩٦١م .

وفي سنة ١٩٦١م ــ ١٩٦٢م ، أصبح ديوان الرئاسة يتكون من الاساتذة :

١ ــ الدكتور ناجي الاصيل ــ رئيسا .
٢ ــ السيد محمد بهجة الاثري ــ نائبا أول للرئيس .
٣ ــ الدكتور مصطفى جواد ــ نائبا ثانيا .

ونظرا لغياب الدكتور جواد علي (السكرتير) عن العراق لمدة طويلة ، فقد عين الدكتور يوسف عز الدين ، سكرتيرا للمجمع ، وذلك في ٢٠ ــ ٦ ــ ١٩٦١ . منتدبا من كلية الآداب .

وفي سنة / ١٣٨٣هـ ــ ١٩٦٣م صدر مرسوم جمهوري يقضي بإلغاء المجمع العلمي العراقي . وإلغاء نظامه رقم (٦٢) لسنة / ١٩٤٧م . وتعديله رقم

(٤٠) لسنة ١٩٤٩ . وشرع قانون جديد للمجمع رقم (٤٩) لسنة / ١٩٦٣ .

من أبرز أعمالهم الفكرية :

أصدر المجمع مجلدات ضخمة من مجلته من اثني عشر جزءاً بدءاً من عام ١٩٥٠ حتى إلغائه ١٩٦٣ .

وتناول أعضائه المستشرقون المراسلون موضوعات محددة منها : الإسلامية والعلمية والاجتماعية والأدبية ونشرت ضمن أعداد المجلة التي جمعت في المجلدات السابقة .

ولم أعثر فيما أعد من دراسة عن المجمع العراقي على غبر مقالتين : الأولى بعنوان : دراسة الشريعة الاسلامية للمستشرق : اندروسن ، والثانية : مقدمة للرياضيات : للمستشرق : لوايت هيد وترجمة : محي الدين يوسف . وهاتان المقالتان منشورتان في المجلد الأول من السنة الأولى[٢] .

وهناك مقالة ثالثة متأخرة قدمها المستشرق المجري : عبد الكريم جرمانوس ، بعنوان : الإسلام في بلاد المجر ، في المجلد الحادي عشر عام ١٩٦٤[٣] ، أما المحاضرات فكانت على قلتها أكثر من المقالات ، ويلفت النظر أن المقالة الأولى كانت محاضرة ألقيت في المجمع ثم نشرت في مجلته . وفيما يلي جدول بهذه المحاضرات .

عنوان المحاضرة	المحاضر	تاريخ القائها
١ ـــ الشعر العربي	الفردجيوم	٢٢ / ١٢ / ١٩٤٨
٢ ـــ دراسة الشريعة في انكلترا والاتجاهات الفقهية الحديثة	ج . اندرسن	٢٠ / ٢ / ١٩٥٠
٣ ـــ خطط البصرة	ماسينون	١٧ / ١٢ / ١٩٥١
٤ ـــ خطورة موقفنا الفاصل في تاريخ العالم (بالانكليزية)	ايلسون	٣١ / ١٠ / ١٩٥٢
٥ ـــ ملحمة كلكاش قصة البحث عن الحياة الأبدية	هايدل	٢٧ / ٣ / ١٩٥٤
٦ ـــ العلوم والهندسة الحرة (بالانكليزية)	ايرل بنتك	٢٠ / ١٢ / ١٩٥٦(٤)

ويلاحظ هنا ، على قلة المحاضرات وتنوعها وعجز بعض المحاضرين عن القائها بالفصحى ، أنها قدمت في الفترة الأولى من إنشائه حيث لم تتجاوز سنة ١٩٥٦ .

وعموما فيمكن القول : إن قلة المستشرقين في المجمع تعني تحفظ المسئولين فيه عن النشاط الاستشراقي المجمعي بعد أن عرفوا كثيراً عن أوضاعهم الثقافية وتخبطاتهم في المجامع الأخرى .

وإذا علمنا أن المجمع العراقي كان متأخراً من حيث التأسيس فإنه استطاع ان يتخلص الى حد ما من كثير من المستشرقين العقديين الذي عاشوا أواخر القرن التاسع عشر ، وبذلك استبعد زيوفهم وانحرافاتهم التي كانت واسعة الانتشار في الشريعة والتاريخ واللغات ، وأمكنه أن يتجنب الزوابع الفكرية التي مرت على العالم العربي والإسلامي في (أقلمة) الفصحى وعاميتها ، وفي التيارات التي كانت ترفع من شأن القوانين المدنية الغربية ، واجتياح موجات التعليم الرسمي الاستعماري .

وهذا لايعني عدم تأثر العراق بالفكر الانكليزي الاستعماري في الاقتصاد والتعليم والحكم فإن الهجمة الاستعمارية الغربية كانت عامة في جميع الأقطار العربية والإسلامية . وعلى كل فان المجمعيين العراقيين العرب شاركوا في مناقشة كثير من القضايا الفكرية المطروحة في العالم العربي من المستشرقين خارج المجمع العراقي .

إن (الفردجيوم) و(ماسينون) وغيرهما مثلاً كانوا أعضاء في أكثر من مجمع عربي وإن افكارهم عن العربية والإسلامية كانت تحاول أن تجد لها طريقاً في أية مؤسسة فكرية ومجمعية ، في العراق وسورية ومصر والمغرب العربي .

ولذا فإن المتتبع شيئاً من تراجم المجمعيين يقع على انحرافات واضحة كما يقع على أفكار قديمة تبناها أساتذة متقدمون وحاول المتأخرون من المستشرقين اجترارها كما هي أو إلباسها أثواباً من السراب والخداع .

ومن المناسب أن أعرض ببعض التفاصيل لشخصيتين متغايرتين :

أولاهما :عبد الكريم جرمانوس Germanus, J : مجري مولود في بودابست (١٨٨٤) الذي يبدو من اسمه أنه اسلم وتسمى بعبد الكريم ، كما يلاحظ أنه مجمعي في القاهرة أيضاً حتى إن عضويته في مجمع القاهرة متقدمة (١٩٥٦) على عضويته في مجمع بغداد (١٩٦٢) ، وقبلهما في المجمع الإيطالي (١٩٥٢) ، والمستشرق جرمانوس نموذج متزن بعمق وموضوعية في دراساته وأعماله إجمالا ، فهو الدءوب على التصنيف بعد أن تعلم العربية والتركية على أعلام المستشرقين في المجر ثم تابع دراسته بعد عام ١٩٠٥ في جامعتي استنبول وفينا ، وعاد إلى بودابست أستاذاً فيما تعلمه في الجامعة ورئيس القسم العربي فيها (١٩٤٨) ، وظل يقوم بتدريس اللغة العربية ، وتاريخ الحضارة الإسلامية ، والأدب العربي قديمه وحديثه ، محاولاً إيجاد حلقات اتصال بين نهضات الأمم الإسلامية الاجتماعية والسيكولوجية حتى أحيل على التقاعد (١٩٦٥) .

ودعاه (طاغور) إلى الهند ، فعلم في جامعات : دلهي ، ولاهور ، وحيدرآباد (١٩٢٩ ــ ٣٢) ، وهناك أشهر اسلامه في مسجد دلهى الأكبر ، ونشر كتابيه : الأدب التركي الحديث (كلكتا : ١٩٣١) ، والتيارات الحديثة في الاسلام ، بالانجليزية (كلكتا : ١٩٣٢) .

ثم قدم القاهرة وتعمق في دراسة الإسلام على شيوخ الأزهر ، ثم قصد مكة حاجاً ، والمدينة زائراً ، وصنف كتابه : الله أكبر ، وقد نشر في عدة لغات (١٩٤٠) وقام بتحريات علمية متنوعة .

ثم دعته بعض الحكومات العربية ليحاضر بالعربية عن الفكر العربي المعاصر ، وصور من الأدب المجري في بغداد والقاهرة ودمشق .

ويبدو من آثاره : الاسلامية واللغويات ، وبعض التاريخ .

فمن إسلامياته : التيارات الحديثة في الاسلام السابق ، نهضة الثقافة الإسلامية .

ومن لغوياته : الأدب العثماني (١٩٠٦) ، ودراسات في التركيبات اللغوية

العربية (١٩٥٤) ، ومنتخب الشعر العربي (١٩٦١) ومن تاريخه : أثر الاتراك في التاريخ الإسلامي (١٩٣٢) ، واكتشاف الجزيرة العربية وسورية والعراق وغزوها (١٩٤٠) ، وكان بناؤه الفكري مزيجا من الثقافة الاسلامية والغربية ، فإن جدية دراساته وعمق إنتاجه تغري الناقدين والعلماء في اختبارها وتقويمها ، وذلك وفق منهجهم في قبول الفكر الرصين الموضوعي ورفض الشوائب الأخرى مهما سما قدر البحث والباحث ، فكل انسان يؤخذ منه ويرد عليه الا صاحب هذا المقام ، وبذلك يخلص الفكر من أية راسبة مدسوسة عن قصداً وغير قصد .

وثانيهما :الفريد جيوم :الانكليزي والمولود ١٨٨٨ Guillaume, A المجمعي في دمشق (١٩٤٨) فالمجمع العراقي (١٩٤٩) .

ويبدو من آثاره ميله الشديد إلى اليهود واليهودية مثل : محاضراته في اللغة العبرية في المعهد الملكي بلندن (١٩٢٠) وأثر اليهودية في الاسلام (١٩٢٧) ، واليهود والعرب (١٩٤٦) ... كما يبدو من مؤلفاته الأخرى روح التعصب ضد الاسلام وذلك بالروح التبشيرية التي شاعت في معظم دراساته ، ثم مطالبته صراحة من زميله (مونتجمري وات) Watt,M صاحب كتاب « محمد في مكة » أن يكون « موضوعياً » وان يستخدم الطريقة العلمية (الاستشراقية) ولايخرج عن خطه التقليدي (في التجني على الاسلام ورسوله)[٥] .

ومن أجل ذلك ، وبسبب تضلعه العلمي كان يستقدم إلى بلاد كثيرة في انكلترا وبيروت واستنبول وامريكا ... لالقاء المحاضرات فيها ، ثم تلمذة البعثات العربية المصرية وتخرجها على يديه في دراسة اللغات الشرقية مما ميزه عن بعض المستشرقين الآخرين ، فقد كانت آثاره التعليمية السلبية خطرة في كتاباته ومحاضراته ولقاءاته .

وفي مقدمة كتبه الخطيرة : حياة محمد (أكسفورد : ١٩٥٦) و : الإسلام (١٩٥٤) اللذان يقومان على فكرة رئيسية واحدة هي : أخذ الرسول ﷺ من التوراة والانجيل عند تأليفه القرآن ، أو بمعنى : الأصل اليهودي المسيحي في القرآن .

ويعتمد في ذلك على وجود (مقابلات) و(أخبار) و(قصص) مذكورة في التوراة والانجيل ثم ذكرت في القرآن . ولا ريب ان مثل هذه (الشبهة) و(الافتراء التاريخي والفكري) لايمكن ان يقبل هذه (المقابلات وحدها في موضع يحتاج إلى شواهد حاسمة ذات نتائج قاطعة ، وهيهات أن تكفي النتف المقتطعة ، والإشارات والاستدلالات المعتسفة ، والتخمينات الذكية في هذا المقام ، فضلا عن إي مقام ، ونحن نحتاج لخيال قوي جداً لمتابعة القول بأن محمد ــ الذي قررت الأصول الدينية أنه لم يكن يقرأ أو يكتب كان على التخطيط الذي أنشأه المستشرقون له ــ قد جلس عاكفا في مكتبته يبحث كتب الأولين لينقل عنها لأجل تأليف الكتاب المعروف بالقرآن)(٦) .

ومن المواضع التي نقل (جيوم) فيها المقتبسات : مقتطف من الحديث ، واشارة إلى الفصل الحادي والعشرين من الإنجيل ، وكتاب مونتغمري : الاسلام وتكامل المجتمع (مقتطفات من الانجيل توضح اعمال الاسلام)(٧) .

كما نقل (جيوم) في كتابه (الاسلام) ماقام به (قسيس إنجليكاني من عقد عدة مقارنات ليظهر أن الإسلام كان في صدق صورة غير محكمة ، أو مشروحة للمسيحية) . (وعلى كل حال فقد قدم المؤلف الحجة لتبرير التساؤل عن كفايته كقاض غير متحيز ، وليس فقط بما أبداه من آراء غير مقنعة ولكن ايضاً بما أقر به من مشاعر إزاء الرسالة المودعة في ثنايا القرآن ...)(٨) .

ويبدو أن (جيوم) قد فاق مستشرقين اخرين مثل (نيكلسون) و(روزنثال) في تهجمه على الرسول والقرآن ، والطعن بنبوته ، وبالوحي القرآني ، على حين أن (كل الاقتباسات قد حدثت حين لم يكن هناك ترجمة عربية للكتاب المقدس يقتبس عنها)(٩) . فمن أين يستمد الرسول هذه الاقتباسات وهي ماتزال في لغاتها ؟ ولماذا لم ينوه بها صحابته والكتابيون المعاصرون له ؟(١٠) واذا ذكر أن أول نص مسيحي ترجم الى العربية كان مخطوطاً بمكتبة القديس بطرسبرج كتب حوالى عام ١٠٦٠م بيد رجل يدعى ابن العسال(١١) ، فهل كان محمد تلقى مثل هذه الترجمات في عهد البعثة من كتاب مقدس أو من راهب أو من مركز ديني ليس

له وجود تاريخي ؟ واذا صح ذلك فهل يشذ عنه ترجمة التوراة وقد تحدى القرآن فطلب تلاوة (الأحبار) بقوله : قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين ؟ (آل عمران : ٩٣) .

على أنه ينبغي ان ننوه بأمرين : أولهما : التناقض في المقابلات أحياناً وذلك بالإشادة بطهارة النبوات في القرآن وغمسها في الرذائل والمفاسد في الروايات المقدسة ، ثم بالزيادات أو التعديلات التي نجدها في القرآن ولا نجد لها مثيلا في سائر الكتب المقدسة ، كما وقع لبعض القصص والتشريع والاخلاق[١٢] .

ثانيهما : انشاء وقائع قرآنية جديدة ليس لها ذكر سابق في أي كتاب مقدس مثل : هود ، وصالح وناقته ، ولقمان واهل الكهف ، وذوي القرنين ... وغيرهما فيما اختص القرآن بمادته التاريخية[١٣] .

وتنحسر قضية (المقابلات) نهائياً بتصريح قرآني فذ عن (رفع عيسى) عليه السلام وعدم قتله من قبل اليهودية ، حيث لانجد مثل هذا في أي مصدر سماوي سابق ، وإنما تتفق الروايات اليهودية المسيحية على قتله حقيقة وعياناً .

والمناقشة التي يعرض لها المفكر المسلم (مالك بن نبي) في (الظاهرة القرآنية) أن تبطل شبهة الأصول المسيحية اليهودية التي ركزوا عليها في (المقابلات) الآنفة الذكر[١٤] .

وقبل هذا كله إنما تصح دراسة (المقابلات) في الكتب المقدسة الثلاثة إذا كان لها الوثاقة التاريخية نفسها ، أما إذا تزاحمت الشكوك حول التوراة التي لم تعترف له بالصحة الدراسية النقدية فيما عدا كتاب أرمياء ، وحول الانجيل الذي الغى مجمع اساقفه (نيقية) ٣٢٥م[١٥] كثيرا من أخباره ، وأن اصحها كتب بعد المسيح بأكثر من قرن ، فإن مثل هذه الدراسة يقصد منها تقرير الحقائق القرآنية بطريق الوحي الإلهي قبل أن يقصد فيها مسايرة الخصم في احتمالاته الجدليه .

وواضح هنا أن مناقشة (المقابلات) كجزء من الوحي القرآني والتي لايتأبى القرآن وجودها لم تقتصر على اعتساف (جيوم) وحده ، وانما كان انصار هذه

الفرية العديدين . ممن قبله وبعده ، كما سبقت الإشارات إليها ، حتى أضحت من بدهيات العقيدة الاستشراقية في الاسلام أو من مسلماتها .

ولكن (جيوم) المتأثر باليهودية دراسة وإنتاجاً قد سيطرت على عقله سيطرة لم يستطع الانفكاك عنها في أي نتاج فكري . ولذا فان (ذيلاً) لقضيته قد برز فيما بعد وهو أن (ماجاء به الاسلام على عهد الرسول لايصلح للتطبيق بعد حياته في جماعة المسلمين ، ويجب أن يقصر اعتباره على عهده ووقته فقط)[١٦] ، فهو يقول : كل مسلم يعلم أن كثيراً من القرآن جاء للوجود كي يلتقي مع بعض أزمات معينة ، أو لأحوال مؤقته في حياة محمد ، لكن من هو الذي يعلم أن الواجبات والمحرمات والمكروهات التي جاء بها الاسلام مقصود أن تساس بها حياة الملايين (بعده) ، وكي تظل تعيش في أوضاع لا تتصور ، وهى أوضاع القرن السابع الميلادي[١٧] ...

وإذاً فهو اقتباس مرحلي يمكن أن يفيد عصر الرسالة ، ويلتقي مع أزمات معينة أو احوال مؤقتة ليس لها صفة الخلود ، وإن الأوضاع التي ستحدث فيما بعد ، أبعد ماتكون عن اطار الإسلام ، وعلى هذا فان (محمداً) ﷺ لم يكن نبياً للعرب وحدهم وانما ينبغي أن تقتصر نبوته على (عرب) الجاهلية الذين عاصروه .

وفي هذا أي تجاهل للنصوص الإسلامية في كل من القرآن والسنة ، لعموم رسالته وبقائها ، كما أن فيه تغافلاً عن أحداث السيرة العالمية وسير المسلمين بعده ، واخيرا فلم تعرف لـ (جيوم) نشاطات فكرية مجمعية مثل ماعرفت لأمثاله من المستشرقين .

من مراجع البحث وهوامشه :

(١) من كتاب المجمع العلمي العراقي : عبد الله الجبوري . (٢) السابق ص ٧٥ ، (٣) ذكره تاريخ المجمع العلمي العربي بدمشق : احمد الفتيح ، (٤) المجمع العلمي العراقي السابق ص ٧٠ ، وانظر ايضاً تاريخ المجمع العلمي العربي بدمشق ، (٥) د / محمد البهي في : المبشرون والمستشرقون ص ١٥ ، ٢٣ ، (٦) من مقال : المستشرقون الناطقون بالانكليزية : أ.ل ، طيباوي — ترجمة : فتحي عثمان ، ملحق كتاب الفكر الاسلامي الحديث وصلة بالاستعمار من ص ٤٨٦ ، (٧) السابق : ٤٨٦ حاشية ، (٨) السابق : ٤٩٢ حاشية ، (٩) السابق (١٠) فصّل مالك بن نبي ذلك في الظاهر القرآنية ، وانظر : دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة : موريس بوكاي . (١١) الظاهرة القرآنية ٣١١ ، (١٢) في سورة (يوسف) مثلا نلاحظ الاختلاف في سبعة مواقف ، وانظر : الظاهرة القرآنية ٣٠٠ ، (١٣) السابق : ٢٥١ والحاشية ، (١٤) السابق : ٢٤٠ وهو يرد على (جنيوبيرت) وامثاله من الفرنسيين (١٥) في الموسوعة العربية الميسرة : نيقية سنة ٣٢٥ أول مجمع مسكوني دعا اليه الامبراطور قصنطين لحل المشكلة التي أثارها (أريوس) ، ومؤداها أن المسيح ليس إلها بل مجرد إنسان ... (١٦) د / البهي في : الفكر الاسلامي الحديث من ص ٢٢٥ (١٧) السابق : ٢٢٥ بترجمة د / البهي عن كتاب : الاسلام : الفردجيوم ص ٧٣ .

صور مجمعية
من
مناقشات العرب والمستعربين

لقد تمت مراسم وإجراءات عضوية المستشرقين أو المستعمرين في المجامع اللغوية العربية على صور متعددة : فكان منهم أعضاء مؤسسون وفخريون ومراسلون حتى زاد عددهم على عدد المجمعيين العرب في بعض الفترات .

وقد أفادوا من هذه العضوية رواجاً لأعمالهم ، وشهرة شخصية وأدبية وعلمية واسعة في الآفاق الثقافية والانسانية في بلادهم والبلاد العربية ، وذلك على الرغم من أن نشاطاتهم الفكرية كانت محدودة لا تذكر إلى جانب نشاطات العرب .

ولكن الملاحظ مبادهتهم في إثارة الشبهات اللغوية والفكرية أحيانا ، ومشاركاتهم الجدية فيما يثار على الصعيد العربي أو العالمي من مشكلات تتصل بالعروبة والإسلام .

وحينئذ يضطر الغيورون من المجمعيين أن يتدخلوا بدراسات غنية بالمادة الفكرية ، ودقيقة في مرجعها وعرضها وبيانها ، ليوقفوا زحف المستعربين أو المستشرقين الفكري ، ويظهروا قدراتهم على مناقشة الأفكار والدراسات العملاقة التي كانت تأخذ صبغة العالمية الغربية .

وهذه المناقشات ظاهرة صحية وطبيعية في المؤسسات الفكرية وفي مقدمتها المجامع التي لاتقتصر على الدراسات المتعارضة بين المستشرقين والعرب ، وإنما تشمل وبشكل موسع الاختلافات بين العرب أنفسهم بسبب اختلاف وجهات نظرهم ، وكفاءاتهم العلمية والعقلية .

فقد ألقى العضو المصري الأستاذ مصطفى نظيف[1] ، موضوعاً عن (العلم) وأثار مناقشة واسعة مع المحاضر كل من المجمعيين . محمد رضا الشبيبي ، ود / أحمد زكي ، ود / عبد الوهاب عزام ، د / محمد علي النجار ، ود / طه

حسين ، والشيخ محمود شلتوت في العدد (١٣) عام ١٩٦٤م .

وقريب منها محاضرة عن (الزمن في اللغة العربية) ألقاها (العقاد) عضو المجمع المصري في الجلسة العلنية المسائية لمؤتمر المجمع بدار الجمعية الجغرافية المصرية في ١٦ / ١٢ / ١٩٥٧ ، وكانت هناك تعقيبات ومناقشات لكل من د / كمال بشر الاستاذ بدار العلوم ، ود / تمام حسان ، ود / عبد الله درويش ، ود / ابراهيم انيس ، الزملاء في دار العلوم أيضاً[٢] ، وعلى كل حال فإن صور المناقشات العربية الاستشراقية المجمعية تبرز وجهاً من النشاط اللغوي والعلمي العام :

١ ـ في المجمع السوري : فإن الصورة التي أذكرها بين علمين مشهورين في المجالات المجمعية العربية والأجنبية .

أولهما : عبد القادر المغربي (١٨٦٨ ــ ١٩٥٦م) نائب رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق ، وعضو في مجمعي القاهرة وبغداد ، ومحاضر في العربية وآدابها بالجامعة السورية .

وثانيهما : أوغست فيشر : August Fisher (١٨٦٥ ــ ١٩٤٩م) وسبق الكلام على بعض شبهه ، فهو المستعرب الألماني من المجمعيين المؤسسين لمجمع القاهرة واستاذ في جامعة « هالة » وصاحب المعجم الكبير الذي هو موضوع حديثنا حيث قضى أربعين سنة في جمعه وترتيبه واعداده للطبع ، وقرر المجمع المصري في الجلسة الثانية عشرة من جلسات دور الانعقاد الثالث الموافقة على طبعه ١٩٣٦م ، يقول (فيشر) في مقدمته[٣] : قصدي من هذا المعجم أن اضمنه (كل اللغة العربية) الأدبية ، الخاصة بزمان الجاهلية ، وبثلاثة القرون الأولى بعد الهجرة ... ثم يقول : وجمعت فيه كل الكلمات بلا استثناء والتي في دواوين امرئ القيس ... وطريقة المعجم : مثلاً في مادة (أخذ) يذكر مرادفات فعل (الأخذ) في اللغات السامية القديمة ، ثم يذكر مادة : (أخذ) وماتفرع عنها من المشتقات ... ثم يعمد الى معاني (أخذ) ومدلولاتها ، فيسردها تحت رقم متسلسل لمعنى واحد ، مجازي أو كنائي ...

وعلى الرغم من أن مجمعيين من سورية ومصر تناولوا هذا العمل الضخم بالتحليل والنقد ، مثل د / ابراهيم مدكور[٤] ، وغيره فان (المغربي) وهو المعروف بإباحته في قبول الدخيل إلى العربية ـــ كان من أبرزهم واكثرهم تفصيلا ودقة ، مع رضاه العام عن أعمال المستشرقين اللغوية .

يقول (المغربي)[٥] : إن المستشرق قسم طرائق استعمالات فعل (الأخذ) إلى (٣٢) قسماً أو بحثاً ، أودع كل بحث عدة شواهد على الاستعمال الواحد ... ثم يناقش معترضاً : غير أن مايلاحظ في هذه التقاسيم (التكرار) في الأقسام و(التداخل) فيها ... ثم يلتفت الى (المعاني) الواردة في المادة السابقة فيقول .

ومن الأمثلة التي خفي فيها المعنى الحقيقي ، وكان ينبغي ذكرها في المعاني المجازية آية (خذوه فغلوه) ، فالأقرب أن يكون معناه : استيلاء الملائكة على المجرم وحيازته بإحدى طرق الحيازة اللائقة بهم وبروحانيتهم ، لا أنهم اخذوه بأيديهم .

وكذلك حديث (ان الله ليملي للظالم ، حتى إذا أخذه لم يفلته) ليس الأخذ في هذا الحديث أخذاً حقيقياً ، وإنما هو كناية عن الإحاطة بالمجرم ، وحيازته ، والتمكن منه ..

وبعد أن ينهي (المغربي) ملاحظاته في البحوث الاثنين والثلاثين عن (الأخذ) يقول مقترحاً : وعندي يمكن إرجاعها الى ثلاثة بحوث مستقلة متحاجزة ، لا إلى اثنين وثلاثين بحثاً كما ذكره المستشرق ، وهي :

١ ـــ بحث فيه المعاني الحقيقية الأصلية (للأخذ) ويقتصر فيه من الشواهد على أوضحها دلالة .

٢ ـــ بحث فيه كلمات (الأخذ) على معنى الحيازة والغلبة والقهر ، وهو معنى معظم كلمات (الأخذ) الواردة في لغة فصحاء العرب ، وقد استشهد بها المؤلف .

٣ ــ بحث تذكر فيه ضروب من المعاني لفعل (الأخذ) ، وقد تجوز فيها ايضاً عن معنى الاستيلاء والغلبة ، لكنه تجوز في غاية الخفاء واللطافة بحيث أصبح وكأنه معنى جديد للاستيلاء مثل :

أخذه بلسانه : إذا عابه .

أخذ فلان : إذا سحر

فلان تأخذه العيون : أي تستعظمه .

أخذ فلان زينته : اي لبس ثوب زينته ...

ومن غير شك أن (فيشر) لم يعمل باقتراح (المغربي) الذي أراد منه حصر اشتقاقات المادة مع معانيها في أبحاث أقل عدداً وتعقيداً وأسهل تناولاً وقبولاً .

ومع تقديرنا للفكر المنظم عند (المغربي) ، واستدراكاته اللغوية الهامة ، وإحاطته بالمادة إحاطة العالم البصير ، فإنه لم يعرض الى جانب هام قصد اليه (فيشر) عند تصنيف (معجمه) وهو : إبراز الصلات بين العربية والفصائل اللغوية الأخرى من العبرية والآرامية وغيرها من اللغات التي تجتمع في (السامية) (الأم) .

وإذا استطاعت معرفة (المغربي) اللغوية ان تنهض لمستشرق عالمي بمناقشة ايجابية سليمة فإن تفرغ (فيشر) وصبره المضني على التصنيف المعجمي في العربية يكشف عن أغراض علمية لغوية ، وأخرى استشراقية أجنبية .

٢ ــ **في المجمع المصري** : وقد لاحظت الى جانب عدم اهتمام المستشرقين الأعضاء بالنشاطات المجمعية الفكرية ، قلة المناقشات والمعارضات فيما بينهم وبين المجمعيين العرب ، ويرجع السبب في ذلك الى ندرة المادة الفكرية المقدمة من المستشرقين التي تستتبع حالة من المهادنة المذهبية والفكرية .

ومع هذا فإنني أعرض صورة مختصرة من مناقشة بين : مصطفى نظيف والدكتور كيفورك ميناجيان حول اشتقاق مصطلح (الرئويات والرئوي)[٦] .

ومعلوم أن مصطفى نظيف من مشاهير الأعضاء في المجمع المصري وسبقت الإشارة إليه والمعروف بتحقيقاته العلمية واللغوية ، وأن الدكتور (كيفورك) مستعرب

روسي له مشاركته المجمعية في ميدان اللغة والادب ، داخل روسيا وخارجها .

فقد بعث (كيفورك) بدراسة مستفيضة عن المصطلح السابق ، وقدم له : وإذا درسنا معاجم المصطلحات العلمية العربية وجدنا بعض المصطلحات ركيكة من الناحية اللغوية ، وبعيدة عن المعني الدقيق من الناحية العلمية ... ثم أورد المصطلح الانكليزي Pneumutic وذكر أصله اليوناني Nymona الذي يقابله بالعربية (الرئة) ، ثم راح يذكر استعماله كصفة بإضافة أداة النسب (ic) حتى يصبح (رئوي) Pneumatic ، ولكن معاجم العربية المختلفة تبتعد عن هذا المعنى ، ثم كتب خمسة جداول لاشتقاقات المصطلح السابق مع اسم المرجع (المعجم) ، ومايقابله بالعربية والانكليزية .

فالجدول الأول بالصفة الأنكليزية كما سبق ، والثاني لترجمة المصطلحات المركبة من الصفة الانكليزية مثل Pneumatic و Buate, Pick وغيرها والتي ترجمت تباعاً : فرملة بالهواء المضغوط ، مثقاب بالهواء المضغوط ، صاقور بالهواء المضغوط ، زورق ينفخ بالهواء ....

وأقتصر هنا على نقل شيئ من جدول واحد ، واقتراحه مع مقارنته بالمصطلح القديم :

المصطلح المقترح ١	المصطلح القديم ٢	المصطلح بالانكليزية ٣	الأرقام ٤ بالتسلسل
رئـــوي	هوائي ، غازي ، تنفسي ، مختص بالهواء ، يتحرك بواسطة الهواء.	Pneumatic	1
الفرملة الرئوية	فرملة بالهواء المضغوط	Pneumatic Brake	2
الأجنة الرئوية	أجنة بالهواء المضغوط	Pneumatic CHisel	3
المحرك الرئـوي	محرك بالهواء المضغوط	Pneumatic Motor	4
الضغط الرئوي	الضغط بالهواء	Pneumatic Pressure	5
زورق التجسير الرئوي	زورق ينفخ للتجسير	Pneumatic Pontoon	6
الأرغن الرئوي	الأرغن الهوائي	Pneumatic Orgian	7
المحقن الرئـوي	المحقن الهوائي	Pneumatic Syringe	8

ومعنى هذا أن يستبدل بالترجمات المختلفة في المراجع والقواميس المتعددة مصطلح (رئة ــ رئوى) وما يشتق منها ، ثم يأمل (أن يدرس اقتراحه مجمع اللغة العربية ويتخذ القرار المناسب بخصوصه) ، واخيراً يذكر ثبتا للمصادر التي اعتمد عليها .

ويناقش الأستاذ مصطفى نظيف ، رأي (كيفورك) فيما قدمه ويقول : في هذا نظر ، ثم يورد المعاني الموجودة في معاجم أخرى فيقول : الوارد في القواميس التي بين أيدينا ومنها قاموس « وبستر » مثلاً أن المصطلح Pneumtic ، وفي اليونانية Pneumatikos اشتق من لفظ Pneuma بمعنى : النفس ، وهو بدوره مشتق من لفظ Pncin بمعنى : يتنفس ، وفي بعض القواميس الأخرى أن Pneuma بمعنى الهواء والريح ، وأن Pnein بمعنى يتنفس يطلق في العلوم الفيزيقية على كل مامن شأنه أن يحتوي على هواء ، أو أن ينفخ بالهواء ، او أن يكون عمله متوقفاً على ضغط الهواء ، فالاطار (أو العجلة) التي تنفخ بالهواء يقال لها : Pneumatic Tine ، والقناة التي يسحب فيها الهواء يقال لها Pneumatic Duct وبالمثل : المطرقة والمدفع والأجراس وغيرها من الأشياء التي يتوقف عملها على ضغط الهواء ... ثم يقول : ويطلق اللفظ في اصطلاح علم الحيوان صفة لما يحتوي على فراغات مملوءة بالهواء مثل عظام بعض الطيور ، ثم ان لفظ Pneumatics بصيغة الجمع يطلق على العلم الذي يبحث فيه عن خواص الهواء وغيره من الغازات فيما يتعلق بكثافتها ومرونتها وما إلى ذلك (وكذلك في العلوم الطبيعية حيث يورد أمثلة عليها) . ثم يقول : أما اللفظ الدال على الرئة في اليونانية فهو Pneu Mon وهو أيضاً مشتق من لفظ Pnein بمعنى يتنفس ، وترد النسبة إليه في مصطلحات علمية كثيرة يلاحظ فيها جميعاً معنى النسبة الى (الرئة) خلافاً لما يلاحظ في المصطلحات التي ذكرناها آنفا ، حيث المعنى الملاحظ فيها النسبة الى الهواء ، وبعد أن يعدد الكلمات العلمية الطبية لها يقول : وان كانت الكلمتان بمعنى الرئة والهواء ، أو النفس كلتاهما من أصل واحد فيلاحظ ان صيغة النسبة ليست واحدة في الحالتين : فالنسبة الى الرئة ترد بصيغة Pneumo أو Pneumono والنسبة الى الهواء ترد بصيغة Pneumato أو

Pneumatic وهذا مما يستدعى التفريق في العربية بين ماينسب الى الهواء وبين ماينسب الى الرئة ... ويختم كلامه بأن كلمة : (هوائي) الواردة في بعض المعاجم الحديثة هي في نظرنا ، على الرغم من الاعتراض عليها ، أدنى الى أداء معنى المصطلح الأجنبي من لفظ رئوي . ويقترح استعمال مصطلح (الروحانية) الذي ذكره المترجمون في العصر الأول والذي يعني : الروح التي بها حياة الأنفس ، وروح القدس ، إلى جانب استعماله (للآلات) التي يتوقف عمله على ضغط الهواء(٧) .

ويظهر مما سبق أن العضو العربي متمكن من العربية ، وقادر وبشكل دقيق على التمييز بين الاستعمالات الاجنبية والمعربة ، كما يلاحظ . إحاطته باستعمالات المصطلحات العلمية المتنوعة ، وذلك على الرغم من عدم اعتذاره الصريح عن المعجمات التجارية التي رجع اليها (كيفورك) وهي لاتراعي الدقة العلمية في ترجماتها ، فلا تعد مرجعية صالحة للبحث والدراسة .

من مراجع البحث وهوامشه :

(١) مجلة المجمع ٩ / ٦٩٦ ، (٢) السابق ، العدد ٢٣ / ٣١٢ (٣) المجلة : ٢٩ / ٣٠٥ ، (٤) انظر المحاضرة والتعقيبات عليها في مجلة المجمع المصري العدد ١٤ سنة ١٩٦٠ ، (٥) المجلة : العدد ٢٧ / ١٢ ، (٦) مجلة المجمع الدمشقي مج ٢٤ / ٥٠٠ وما بعده وقرأ الشيخ المغربي هذا التقرير على مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٢٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٣٦ ، (٧) راجع تفصيلات أخرى في المجلد ٢٦ / ٩٤ من مجلة اللغة العربية المصرية .

الخاتمـــة

حقائق هامة : إذا كانت البيانات الاحصائية ماثلة للعيان والنتائج الفرعية واضحة ، وأرقامها معبرة فليس من العسير باديء بدء ان **نستنتج** من مجموعها حقائق فكرية وعملية سلبية وايجابية ، لاتستنبط من فراغ أو من انفعال أو ردود فعل آنية ، وانما تؤخذ من ثبوتيات وشواهد تنوه بوثاقتها ، وربما كانت بعض النتائج معلومة لبعض الباحثين والدارسين لما توصلوا إليها من خلال دراساتهم العامة وثقافاتهم الغنية ، ولكن مزية هذا البحث ـــ فيما أقدر ـــ أنه أبرز نتائجه من أدلته وما تدعمه من أحصائيات .

فلا يخفي على مثقف منصف مايقوم به المستشرقون من تشويه الحقيقة الفكرية : دينية أو لغوية أو تاريخية أو علمية ماداموا يعالجون الموضوعات الثقافية بروح صليبية وصهيونية وسياسية ومذهبية .

وإذا ظل التآمر على الثقافة العربية الإسلامية موصولا بالروح السابقة فلن يبقى أثراً أو جانبا سليماً في اصطناع الموضوعية الدرسية التي يحمدونها لأنفسهم ويزينونها للآخرين ، ويبدو لي من زاوية أخرى ، أن السعار القومي أو الوطني قد طغى على أية نزعة إنسانية ، أو فضيلة آدمية . فالفكر فضيلة الإنسان ، والعلم حق وواجب لكل فرد ، والبحث عن الحقيقة مسئولية كل باحث بغض النظر عن أي اعتبار خاص ، وكرامة التقوى التزام بأمانة الحق ، وتجرد من امتهان الفكر والعلم والبحث .

ولذا فمن المستحسن ان تصنف النتائج الى : نتائج عامة للمستشرقين ، ونتائج عامة لأعمالهم وافتراءاتهم .

وهو تصنيف لايقوم على تجزئة في وحدة فكرية وترابط غير متكامل بقدر مايقوم على تنظيم فكري وتصنيفي ، يقصد منه تفاعل الشخصية مع الفكرة ، وفعالية الفكرة والشخص معاً في العمل الاستشراقي ، ثم تقدير الحجم العددي للاشخاص وتناسبه مع دعواتهم وضلالاتهم .

أولا في المستشرقين : ان الجهود المضنية التي أنفقها المستشرقون في هدفية العمل للاستشراق (كقضية) علمية وبحثية ومصيرية تدفع بهم الى الاستمرار في أعمالهم ونشرها بين صفوفهم وبين الآخرين من خلال مؤتمراتهم وإصداراتهم ، ثم من تداول دراساتهم على المستوى العالمي وفي لغات شتى ، وأخيرا في استبقاء العمل الاستشراقي إرثاً فكرياً تتوزعه فئاتهم في الدول الكبري والصغري أحياناً ليس عبر التاريخ الثقافي وحسب وانما في تتابع واقعي معاصر .

ويبدو أن وجهي العمل الاستشراقي تاريخاً ومعاصرة يؤذن باستمرارية عمله في المستقبل لما يجدونه من موضوعات ثقافية تستحق الدراسة ، وللصلات الدولية التي تحرص حكوماتهم على توجيهها وفق مصالحهم الوطنية والقومية .

١ ـــ تنوع العمل ووحدة الوجهة :

فمن المستشرقين جامعيون ومجمعيون وسياسيون في آن واحد ، وألف بعضهم في الاتجاهات جميعها أو معظمها ، حتى اشتهر بالعلمية والموسوعية والعالمية ، ومنهم : ماسينون الفرنسي ، ونلينو الايطالي وفنسنك الألماني وجب الأمريكي وآربري الانكليزي .

وفي غالب الأحيان ليست هذه أوسمة شرف أو ألقاب فخر وانما هي متمثلة في ذروة النشاطات المختلفة ، في ذورة المستويات والمؤسسات الفكرية والسياسية .

فإلى جانب الإنتاج الفكري الكثيف قاموا برحلات في عواصم العالم العربي والاسلامي ، وشارك بعضهم في ميادين الحروب أو مناصب السياسة أو أعمال اللجان العسكرية ، الى جانب مشاركاتهم الفعالة في قاعات المحاضرات والمجامع العربية .

فكيف تسنى لهم أن يوفقوا بين الجامعية والمجمعية والاستعمارية السياسية وقد ملئوا مكتباتهم بشتى المعارف اللغوية والفكرية حتى أصبحت شاغلة الناس ؟

إن اعتبار الاستشراق في اتجاهاته وأبعاده وأعماله المتنوعة والمتشعبة (قضية)

و(مسئولية) أعظم عامل على تنوع وضخامة أعمال المستشرقين واختصاصاتهم مع ماساعدتهم من ظروف داخلية ودولية مواتيه .

وفي ظني أنهم لو اقتصروا على الاستشراق (مهنة) و(دراسة مجردة) لاختلت موازين الأمور وتأخر تسلط الاستعمار ، وضعف الاستغراب ، وقل الانتاج الفكري .

وفي هذه الحال يمكن أن يفترض وبوجه مقبول ان يتجه المد الثقافي العالمي من إرسال غربي ، واستقبال عربي وإسلامي إلى مد ثقافي معاكس ، فيصبح المسلمون حامين فكرا وثقافة ولا يكونوا محميين وينشروا حضارة رائعة غير مغزوين أو مدافعين عن غزوهم .

وسبقهم أجدادنا فأثبتوا كفاءتهم في مضمار العمل الإسلامي والإنساني وصنعوا بطولات علمية وعملية حين جعلوا من علمهم (قضية) ، و(مسئولية) لا (مهنة) و(دراسة مجردة) ، فاشتهر منهم العلماء والدعاة والمجاهدون والمؤلفون والولاة في آن واحد .

٢ ـ التآزر الاستشراقي تآزر المتباينات :

إن تآزر الصهيونيين والصليبين والعلمانيين على الصعيد العالمي وفي جبهة واحدة يؤكد حرصهم على وحدة الهدف ضمن وحدة المنهج الفكري الدرسي ، والسياسي الاستعماري .

وقد حصل هذا عن طريق تأييد نتائج بعضهم بعضاً في الجانب العلمي والإحصائي تأييداً مجمعاً أو شبه إجماع ، فقلما نجد مستشرقاً لايسلم بحصيلة الدراسات الغربية لزملائه ومن ثم البناء عليها ومواصلة الدراسة بعدها .

ويكفي أن أشير إلى المراجع التي اعتمدوها عقب كل بحث قدموه ، أو من خلال قضية عالجوها ، في دوائر المعارف الإسلامية وفي الدراسات المستقلة ، ففيها حشد من الشخصيات الاستشراقية وأعمالهم بينما لانجد فيها أعلاما وأعمالا عربية اسلامية ، يضاف إلى هذا تلمذتهم على أعلامهم وكبارهم ، فقد يعتبر هذا

منقبة لهم بأن يعرف واحداً منهم درس على ماسينون ، أو كارل بروكلمان أو نولدكه أو هرجرونية . **أو تخرج من مدرسة فكرية معينة مثل : مدرسة سلفستردي ساسي ،** الفرنسية ، وجويدي الايطالية ، وفيشر الالمانية ، وكراتشكوفسكي الروسية . وهي نلمذة المتأخرين على المتقدمين ملتزمة بالقناعة الفكرية والاتجاه الاستشراقي التقليدي .

أما في الجانب السياسي الاستعماري فكان تنافساً وحسداً في أول الأمر ثم أضحى اقتساماً للغنائم وتوزعاً للمكاسب المادية ، إضافة إلى توزيع قضايا فكرية وسياسية لدراساتهم ضمن اختصاص كل منهم ، ومناقشة ذلك كله في مؤتمرات دولية تستقطب التاريخ الفكري الإسلامي وأحواله المعاصرة .

فمن العلمانيين : أماري الايطالي ، ورينان الفرنسي ، وكراتشكونسكي الروسي ، وسارتون الامريكي .

ومن اليهود الصهيونيين : كراوس التشيكي ، وسانتلانا الايطالي ، واسرائيل ولفنسون الألماني ، وجولدزهير المجري . ومن الصليبين : لامانس البلجيكي ، ومارتيني الاسباني ، ومرجليوث الأنكليزي ، وفانديك وزملائه رؤساء الجامعة الأمريكية من الأمريكيين .

ولا يكاد بلد غربي يخلو من يهودي ... وصليبي وعلماني متخاصمين فيما بين بعضهم بعضاً ، ولكنهم متعاونون في تشويه الحقائق الفكرية لدي المسلمين كل حسب اختصاصه واتجاهه المذهبي .

فهل شعر هؤلاء بالقوة المتعاظمة للإسلام والمسلمين فجندوا لها قدراتهم وامكاناتهم ووحدوها في وجهة وهدف يعملون لهما وفيهما . أم انتبهوا الى أن اضعاف المسلمين لا يؤدي إلى إضعاف الإسلام مثلما يؤدي إضعاف الإسلام إلى تمزيق المسلمين بعد غزوهم فكرياً وخلقياً ؟

ومن هنا فإن اصح الدلالات المصيرية هي أن تآزر القوي الفكرية والعملية المعادية على باطلها وانحرافاتها قد أغنى عن تفرق القوى الفكرية الإسلامية وتشتتها

على حقها وصلاحها ، فصانت الأولى قضيتها والتزمت بمسئوليتها ، بينما افتقدت الثانية حظها منهما ، فافترقتا جهداً ومصيراً .

٣ ـــ العموميات هي القاعدة :

فعمالقة الاستشراق الجامعيين والمجمعيين خاصة مثل : (جب) و(وآبل) و(ماكدونالد) من أعلام المستشرقين الامريكيين و(شاخت) و(موهل) و(هارتمان) من كبار المستشرقين الألمان ، و(بروفنسال) و(ماسه) و(ماسينون) من مشاهير المستشرقين الفرنسيين ، و (سانتلانا) و(نلينو) و(جويدي) من اساتذة المستشرقين الايطاليين ، و(ويلسون) و(جيوم) و(براون جرايفنل) من كبار المستشرقين الانكليز وغيرهم من السويديين والنمساويين ، والبلجيكيين والهولندليين والاسبان ممن تفتخر دولهم بهم وبأعمالهم ، وتقيم لهم وباسمهم المدارج والمعاهد . ومع علو كعبهم في الاستشراق ورسوخ قدمهم في أعماله وخصوبه إنتاجهم الشرقي والعربي الإسلامي كانوا مطايا سخرها الاستعمار لمصلحته أو لمصلحة القائمين عليه ، فما بالك بالمستشرقين الصغار والمغمورين ؟ إن السياسة التي وظفت قدراتهم المتفوقة ومعارفهم الجامعية وتحصيلهم الواسع حقرت فيهم فكرهم وإنسانيتهم من حيث أنها تظاهرت باحترامهم وتقديرهم ، وأوقعتهم في أحرج المواقف الفكرية الانسانية مع ضمائرهم وأخلاقاتهم حين تصبح نتائج أفكارهم ومعلوماتهم تدميراً و **إبادة** وسحقاً للانسان وقيمه ، ان كان للضمائر الأخلاقية هنا موضع . وربما كانت أصح المعادلات هي أن القوة الاستعمارية مع القوة الفكرية والعلمية ، تؤدي الى نجاح مادي وفشل معنوي واخلاقي .

ومن جهة أخرى فإن الاستعمار العسكري تخريب للبلاد واذلال للناس ، والفكر الاستشراقي تدمير لشخصية الأمة ومقوماتها المعنوية .

فإذا تضافرت جهود الاستعماريين والمستشرقين فإن محصلتها في تخريب البلاد وتدمير الشخصية فشل فكري ذريع ونفوذ عميق الجذور على المدى البعيد ، وخاصة إذا عملت أساطينهم وأعلامهم لخدمة الاستعمار وفي ركابه ، واذا توسعنا في دائرة

أعلام المستشرقين فإن شخصيات أقل منهم علماً وشهرة وإنتاجاً كانوا وزراء وقناصل ومستشارين وقادة حروب في وزارة المستعمرات والخارجية والحربية وإدارة الاستخبارت ، وقد مضى أكثرهم ، ولكن إذا استحدثنا دوائر أخرى فإن أعداداً كبيرة من المستشرقين يزيدون **على مائة** سياسي كانت لمعظمهم نشاطات علمية زاخرة في الجامعة والمجمع ، يمكن ... ان تجمعهم في أطرها الفسيحة ...

أما دائرة الاستشراق الفرنسي فهي أوسعها وأشملها حيث أنها تضمن مايزيد على ١٠٪ من المستشرقين الفرنسيين عموماً . وسواء كان المستشرق علماً او عادياً فان (وجهته) السياسية هي (الالتزام المبدئي) في خدمة مصالح بلاده (القومية) و(الوطنية) اياً كانت الوسيلة اليها .

وإذا تجاوزنا المستشرقين الى عموم الغربيين ــ وهم منهم ــ فإن الصورة المشوهة عن الإسلام والمسلمين تأخذ في الاتساع وتشتد في تسميم الرأي الأجنبي العام بكل مايؤذي الحقيقة الإسلامية ويسيء إليها .

وعموم الغربيين باحثين وعاديين قد تشبعوا بالمطاعن والضلالات مادامت منابع ثقافتهم ضحلة وآسنة ، يأخذونها من المستشرقين والمثقفين الحاقدين ، وتبقى في ازدياد وشدة حتى توصلهم الى أشد المواقف كراهية وعداء مستحكماً .

وعندئذ تثار حماسة الجماهير وانفعالاتهم المتأججة لأى سبب تختلقه رؤوس الفتنة والمنتفعين .

ولذا فإن أوربة عموماً خضعت أيضاً لغزو استشراقي وغربي خضوع كثير من المفكرين وعامة المسلمين وهي مسئولة عن هذا الخضوع كمسئولية المستشرقين عن الإخضاع .

وعلى كل حال . فإن الحجم العددي للمستشرقين السياسيين والموالين لهم يكشف عن ظاهرة توشك أن تصبح عامة ، وبالتالي فإن التقويم والحكم عليهم يعمهم باعتبارهم الفئة العظمى وليسوا أفراداً قلة لايقام لهم وزن ولا حساب .

ثانيا : في الاستشراق : ويلح تساؤل يفرض نفسه في قضية فكرية وعملية يحمل

جانبين : ماطبيعة التلازم بين الفكر والعمل وصلتهما ببعض في الاستشراق ؟ وماحجم الشبهات والافتراءات المطروحة في صعيد الفكر العالمي عدداً ونوعاً ؟

١ ـ التلازم بين الفكر والعمل في الاستشراق : ان طبيعة الاستعمار وصلته بعملائه الفكريين والعسكريين تقتضي ربط الفكر بالعمل من أجل بسط النفوذ المادي والفكري وتسلطهما على الشعوب المغلوبة .

وهو تلازم واقع في ثلاث جهات ، أولاها : تمثلهما في شخصية المستشرق ، في الرحلات الاستطلاعية والاستكشافية التي لاتخلو من مهام الاستخبارات والجاسوسيات مثل ماعمل كراوس ، وفيلبي ، وهرجرونيه ، وبالمر ، ...

وثانيتها : المشاركة في ميادين القتال والمساهمة الفعلية في أحداثه مثل ماقام به ماسينون ، وكلوب ، وجنيو ، وروسي ...

وثالثتها : سائر الأعمال السياسية الدبلوماسية التي كانت تزود الأجهزة الاستعمارية بمعلوماتهم واقتراحاتهم .

وإذاً : فالمستشرق هنا باحث ومقاتل ، أو سياسي أو مستكشف جاسوسي تفرض علية (قضيته) و(مسئوليته) ان يقدم مواهبه الفكرية العلمية من أجلهما وفي سبيلهما .

ثم ان الاجتياح العسكري والاستشراقي إلى جانب أنهما يتبادلان المكاسب فان نصيب كل منهما يستوعب الماديات والمعنويات .

فقد يتحقق بالغزو العسكري كسب الخيرات واستغلال المصالح المادية ، الى جانب مايحققه من النفوذ الفكري والسلوكي ، وكذلك الاستشراق فهو لايقتصر على التغيير الفكري في دراسات نظرية ومجردة وانما يوظفها في خدمة قضيته التي يعيش لها ويعمل جهده من أجلها ، ثم انه يهدف بعدها الى كسب مادي آخر في تسويق انتاجه وترويج بضاعته .

ولو أنه اقتصر على التغيير الفكري وتغريبه لتعثرت أعمال الاستعمار في الاجتياح والنفوذ ، ومن قبل لابد من ان نشير الى أن (صناعة) الاستشراق ، و(احتراف)

فعالياته ، رائجة السوق ، رابحة المردود ، ويكفي أن يمتهنها الطامعون من الغربيين وحدها لتعود عليها بعائدات مغرية .

فالإصدارات بالعربية والأجنبية ، والدوريات السنوية والموسمية بلغات شتى ، والمطبوعات المنفردة المستقلة وغير المستقلة ، وإنشاء المؤسسات الاستشراقية في الدراسات العليا وتزويدها بالأساتذة ، ثم ابتعاثهم كخبراء ومحاضرين تمنحهم مكاسب مادية مجزية ، وأحياناً مضاعفة لما يضيفونه اليها من حضور المؤتمرات واغتنام المخطوطات الإسلامية باثمان بخسة ثم بيعها بعد تحقيقها بأثمان باهظة .

والمثقفون المسلمون المولعون باقتناء المراجع والإصدارات الأجنبية وبخاصة إصدارات المستشرقين يدركون هذا تماماً .

وتتداخل المكاسب المادية مع المكاسب المعنوية في حساباتهم المتنوعة ، فلا أعظم من أن يرى أحدهم أن أفكاره حملها عمالقة العرب وقادة المسلمين إلى بلادهم وأهليهم ، وهي تعيش في عقولهم وسلوكهم وهم **يعيثون** بها في الأرض فساداً .

وأي كسب معنوي يمكن ان يتحول الى كسب مادي ــ أرضى لنفوسهم وأوقع في قلوبهم يوازي سريان (التغريب) في عقول الشباب المثقف المسلم وهم عماد الأمة وقوتها حتى يؤدي بهم إلى الضياع أو الذوبان أو إلى أبواق دعائية لإعلام رخيص الوسائل والهدف .

إن مثل هذه المكاسب قلبت في نفوسهم مفاهيم العدل والخير والإنسانية ، وجعلتهم يتحكمون بالقيم الأخلاقية من وجهة نظرهم ولمنفعتهم ومنفعة بلادهم وقومهم ، ولا يبالون من بعدها بالنتائج الوخيمة والآثار الجسيمة على الشعوب المغلوبة على أمرها .

٢ ــ **التعاظم الاستشراقي** : وحجم الشبهات والافتراءات المطروحة من المستشرقين يعظم فيهم عقدة التعالي والغرور بسبب مايفخرون به إعلامياً من خصائص استشراقية في (الاستيعاب) و(العمق) و(تحديث الأساليب) .

فالغربي عموماً مبتلى بضخامة هذه العقدة وان كان الواقع والمنصفون يقرون بمزايا كثيرة للعرب والمسلمين في مجالات البحث والتقنية ، وقد يتفوقون عليهم في ميادين عديدة .

ولكن عقدة (النقص) عند عامة العرب والمسلمين في مقابل عقدة (التعالي) عند الغربيين تؤكد من قناعة الكثيرين بقدرة الغربي المتفوقة بماصنعه لنفسه من تقدم صناعي ومدني على حين ترسخ التخلف والتأخر في نفسية العربي المسلم بما آلَ إليه حاله من الاستعمار والبؤس .

والمستشرق غربي الفكر والبيئة والمنبت ، شرقي الثقافة والاختصاص والصناعة ، فهو يتعاظم من جانبين : جانب البيئة المتطورة المتفوقه ، وجانب تقدمه في الدراسات الشرقية والاسلامية بالمناهج الاستشراقية .

ولذا فهو من وجهة نظره الأقدر فكراً وسياسة وعملا على احتواء العالم الإسلامي الفكري والعملي .

بيد أنه ان وجد من بينهم متفوقون في اختصاصات فإن بعض الباحثين العرب يتحدونهم وأمثالهم أن يأتوا بمثل ماأتوا به ، فلا يقلون عنهم قدرة وتفوقا واحاطة من غير دعاية أو دعوى .

ولا غرو فإن التراث الإسلامي زاخر بالعلم والعلماء والبحث والباحثين ، وهؤلاء المستشرقون عالة عليهم في الطريقة والمادة العلمية معاً .

ومع هذا فإن من الوفاء الاعتراف بمنقبية العلوم الاسلامية في أثرها العالمي وبعدها الانساني اللذين رفعت المستشرقين الى مستوى التقدير ، كما رفعت الاستشراق إلى مرتبة البحث العلمي .

ويعنينا هنا محاولتهم (استيعاب) القضايا الفكرية لكل مايتصل بالإسلام والمسلمين ، فقد غطت أبرز المسائل المتصلة بها ، حتى انهم بحثوا في مسائل تبدو تافهة ولكنهم يحسنون استغلالها في تحقيق أغراضهم ، فقد أطنبوا في الفرق والقبائل واللهجات والمدن والقرى المغمورة ...

وكنت تناولت شيئاً من (أخطر الشبهات) عند الكلام على المجمعيين المصريين ، وأكمل جوانب أخرى منها .

١ ــ في الأصول الإسلامية : فإلى جانب ماسعى إليه (جب) و(مرجليوث) من تجريد الرسول من الوحي ، والدعوة إلى بشرية القرآن ، والتغريب ، وكانت محاولة (فنسنك) و(آربري) وغيرهما طرح مقولات زائفه في تاريخ القرآن وتبعيته عقيدة وعبادة وأخلاقاً ، للتوراة والانجيل وكان (شاخت) و(كيتاني) يطعنان بالسنة النبوية حتى قال أدعياء الإسلام بالاكتفاء بالقرآن .

٢ ــ في التاريخ الاسلامي : و(حتى) يعطي النصارى أعظم الأدوار في مسيرة الحضارة الإسلامية ، إلى جانب مايثيره من النعرات القومية في الأمويين والعباسيين والسلطنة العثمانية ... و(لامانس) يشوه البطولات الاسلامية في شخصيات الصحابة وآل البيت النبوي ومع الرسول نفسه ، وتشويهات وانحرافات في تاريخ المغرب والأندلس من (بروفنسال) و(بلاثيوس) .

٣ ــ وفي الفقه الاسلامي وأصوله : يقف (سانتلانا) و(شاخت) موقفاً متطرفاً فيربطونه بالقانون الروماني ، وبعضهم بالأعراف الجاهلية ويشككون في صلاحيته واستقلاله ويعيبون على رجاله وعلمائه .

٤ ــ وفي الأدب واللغة : حاضر الجامعيون ومنهم (بلاشير) و(جويدي) و(كازانوفا) في تاريخ الأدب وفقه اللغة وأدخلوا في محاضراتهم شبهات في (الأدب الجاهلي) ، وعمل مجمعيون مثل (فيشر) و(بروكلمن) معاجم في السامية وأخرى في العربية والأجنبية ، وفهارس أدبية . وكانت مواقفهم من أدبية القرآن واعجازه متباينه ، ونظراتهم في كثير من شعرائنا كالبحترى والمتنبي والمعري متعارضة ثم ولغويات (دوزي) نولولكه) و(دي خويه) ، والاهتمام باللهجات المحلية والقبلية عُند (دومباي) و(روسي) ...

٥ ــ وفي التثقيف العام : فقد أساؤوا الى المجتمع الاسلامي بطرح شبهات حول (الخلافة) و(فصل الدين عن السياسة) وبتروا (النظام الاقتصادي من

الإسلام) ، (وأضعفوا روح الجهاد) ، (وقوضوا حصن الاسرة) ، (واثاروا النعرات الاقليمية) ، (وانتقدوا الأخلاق الإسلامية) ، (ومجدو القيم الغربية) .

٦ ـــ وفي العلوم الطبيعية والرياضية والتطبيقية تباينت دراساتهم ونتائجهم مابين مفرط ومفرط كما فعل (كراوس) و(روسكا) و(سديو) ...

انها قضايا فكرية وسلوكية وعلمية وأدبية مصيرية تتجه وجهتين الشمولية والاحاطة في تجميع القضايا والمسائل عن الإسلام والمسلمين تاريخاً ومعاصرة ، حيث انهم لم يدعوا قضية أو مسألة الا ونالوا منها بالتزييف والتشوية ، والثانية : تنوع المعالجات التي كانت تتناول القضية الواحدة من جميع جوانبها وتقليبها على وجوهها حتى تتأكد لديهم أنهم ينحجون في إقناع الآخرين بما يشوهون ويزيفون .

ولذا فإن أزمة خطيرة خلفتها الدراسات الاستشراقية في العالم العربي والغربي على حين أن اضافاتها لم تكن ذات بال إن جردت من المصالح القومية والاستشراقية .

ويتساءل الباحث ماذا قدم المستشرقون عموماً ، والسياسيون والمجمعيون والجامعيون خصوصاً من معارف علمية واجتماعية وأدبية ؟ واذا قدموا شيئاً فهل يتوازى مع طرح الشبهات والافتراءات في قدس المقدسات وأرسي المقومات ؟ وهل كانت مناهجهم في البحث والتصنيف والتحقيق مبتكرة حقاً ؟

لقد تناول باحثون مسلمون هذه المسائل وعرضوا وجهات نظرهم ونتائج ملاحظاتهم ، فوضع معظمهم الحق في نصابه ، وبين مالهم وماعليهم ، وما أفادوا وماأضروا ، ويبدو لي أن القضية تحتاج الى المزيد من الدراسة والعمق في التحليل .

وعلى كل حال فإن التجني على العالم الإسلامي في بعديه السطحي والعمقي جعل من بعض رواد الثقافة العربية الاسلامية يرتابون في فضائل حضارتهم وأحقية دينهم وألمعية تاريخهم ، وربما أوصلهم الى الأعتقاد بأن عوامل التقدم ليست في أيديهم ، وموازين التقويم خارجة عن تقديرهم ، وتحكم التغريب محيط بهم ومتسلط على حياتهم ، والفعاليات الحضارية المادية والعلمية مفروضة على حاضرهم

ومستقبلهم ... انها أزمة فكر وخلق وضمير وتصور .

فهل يرضي المسلمون أن يستمر الغزو الاستشراقي ومن ورائه الفكر السياسي الغربي من غير حذر ولا وعي ؟ واذا رفضوه كلاً أو بعضاً فهل يقدرون على تحرير طاقاتهم من تياراته المذهبية المعاصرة شرقية وغربية ؟ واذا تحررت طاقاتهم منها أو من معظمها فهل تعود إليهم ثقتهم بإسلامهم فيعملون له ومن أجله بروية وجدية ، علما وثقافة وحضارة ومنهج حياة طالما أن الإسلام يعمل لهم ومن أجلهم ؟

ثم إن عرفان الإسلام بأعمال استشراقية منهجية ملتزمة بأمانة الكلمة ومسئولية الفكر توجب على سائر المستشرقين التحرر ثقافياً من جميع الانحرافات والرواسب والأغراض والافتراءات ، وتدعوهم إلى الأصالة في الفكر والعمل ، وكشف الحقيقة ناصعة خالصة كاملة . (إن ذلك من عزم الأمور) .

ثبت المراجع

أولا : القرآن الكريم ، وتفاسيره . منها :

١ ــ تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل القرآن) (الطبري) أبو جعفر محمد بن جرير . البابي الحلبي ط ٣ ١٣٨٨هـ
٢ ــ تفسير الفخر الرازي (التفسير الكبير ومفاتيح الغيب) (الفخر الرازي) محمد بن ضياء الدين . دار الفكر دمشق ط ١ ١٤٠١هـ
٣ ــ تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي . دار المعرفة ــ بيروت ١٤٠٢هـ .
٤ ــ تفسير أبي السعود (ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم (ابو السعود) محمد بن محمد العمادي . احياء التراث العربي .
٥ ــ فتح القدير : الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (الشوكاني) محمد بن علي . دار الفكر .

ثانيا : الحديث النبوي وشروحه ومنها :

١ ــ الصحيحان (البخاري) محمد بن اسماعيل ، (ومسلم) مسلم بن الحجاج .

٢ ــ السنن (الترمذي) محمد بن عيسى ــ(أبو داود) سليمان بن الأشعث ، و(ابن ماجه) محمد بن القزويني ، و(النسائي) احمد بن شعيب ،
٣ ــ الموطأ (مالك) بن انس
٤ ــ المستدرك على الصحيحين (الحاكم) أبو عبد الله الحاكم النيسابوري محمد بن عبد الله
٥ ــ المسند (احمد بن حنبل) .
٦ ــ صحيح ابن خزيمة (ابن خزيمة) محمد بن اسحاق .. المكتب الإسلامي ١٤٠٠هـ
٧ ــ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (الهيثمي) على بن أبي بكر . دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٢هـ
٨ ــ فتح الباري شرح صحيح البخاري (ابن حجر) العسقلاني ، احمد بن علي ، قرأ الأجزاء الثلاثة الأولى تصحيحا وتحقيقا الشيخ عبد العزيز بن باز ، ورقمه : محمد فؤاد عبد الباقي ، وأخرجه محب الدين الخطيب .
٩ ــ شرح مسلم (النووي) يحيى بن زكريا . دار الفكر دمشق ١٤٠١هـ
١٠ ــ الجامع الصغير والجامع الكبير (السيوطي) عبد الرحمن بن ابي بكر .
١١ ــ الكامل في معرفة الضعفاء والمتروكين في خ (ابن عدي) عبد الله .

ثالثا : المراجع العامة(١)

١ ــ الآداب العربية : لويس شيخو في : فصل (المستشرقون)
٢ ــ الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر : د / محمد محمد حسين ــ دار النهضة العربية ط ٣ ١٣٩٢هـ ــ ١٩٧٢م .
٣ ــ أحداث وأعلام (ج ٢) : سمير شيخاني ــ بيروت ــ دار الفجر العربي .
٤ ــ الأدب العربي المعاصر في مصر د / شوقي ضيف ــ القاهرة ــ دار المعارف ١٩٧٦م .
٥ ــ الاستشراق والمستشرقين : د / عدنان وزان من سلسلة دعوة الحق ــ رابطة العالم الاسلامي العدد ٢٤ .

(١) معظم المراجع موثوق بها ــ وبعضها مشبوه وخطر ذكر للرد عليه وأقلها للاستئناس .

٦ ــ الاستعراب في الاتحاد السوفيتي : ت / محمد المعصراني .
٧ ــ الاسلام والثقافة في مواجهة تحديات الاستعمار وشبهات التغريب : أنور الجندي .
٨ ــ الإسلام وموقف علماء المستشرقين : د / عبد الحميد متولي ط ١٩٨٣م .
٩ ــ الإسلام والغرب : نورمان دانيال
١٠ ــ أشعة خاصة بنور الإسلام آتين دينيه
١١ ــ الإصابة في تمييز الصحابة : (ابن حجر) احمد بن علي العسقلاني ــ القاهرة ــ السعادة ١٣٢٨هـ .
١٢ ــ أضواء على الاستشراق : د / محمد عبد الفتاح عليان ــ الكويت ــ دار البحوث العلمية ١٤٠٠هـ ــ ١٩٨٠م .
١٣ ــ أيام فيلبي في العراق (من أيام عربية) : فيلبي ، ت وتعليق : جعفر خياط ــ دار الكشاف ١٣١٩هـ ــ ١٩٥٠م .
١٤ ــ البداية والنهاية في التاريخ (ابن كثير) : اسماعيل بن عمر ــ مصر ١٣٥١هـ
١٥ ــ البرهان في علوم القرآن : (الزركشي) محمد بن بهادر . تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . البابي الحلبي ١٩٧٢م .
١٦ ــ تاريخ الأدب العربي : (بروكلمان) كارل تحقيق د / عبد الحليم النجار المعارف ١٩٧٧م .
١٧ ــ تاريخ آداب اللغة العربية في الجاهلية وصدر الإسلام : جرجي زيدان ، مراجعة د / شوقي ضيف ــ القاهرة ــ دار الهلال .
١٨ ــ تاريخ المجمع العلمي العربي : أحمد الفتيح ط الترقي بدمشق ١٣٧٥هـ ــ ١٩٥٦م .
١٩ ــ التبشير والاستعمار : د / عمر فردخ ومصطفى الخالدي ــ منشورات المكتبة العصرية ١٩٨٢م .

٢٠ ــ التراتيب الادارية : (الكتاني) محمد عبد الحي . ط بيروت .
٢١ ــ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : (ابن تيمية) أحمد بن عبد الحليم الدمشقي . مطابع المجد التجارية .
٢٢ ــ السيرة النبوية : (ابن هشام) عبد الملك ــ تحقيق وضبط : السقا ، الابياري الشلبي ــ مؤسسة علوم القرآن .
٢٣ ــ الدراسات العربية الإسلامية في الجامعات الألمانية رودي بارشا . ت د / مصطفى ماهر ــ القاهرة ــ دار الكاتب العربي ١٩٦٧م .
٢٤ ــ دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة : موريس بوكاي . دار المعارف .
٢٥ ــ الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين : نذير حمدان ط ١ مقدمة ــ دار المنارة جدة ١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٦م
٢٦ ــ طه حسين : حياته وفكره في ضوء الإسلام : أنور الجندي ــ الاعتصام ــ القاهرة .
٢٧ ــ الظاهرة القرآنية : مالك بن بنى . ت / عبد الصبور شاهين ــ دار الفكر دمشق
٢٨ ــ العقيدة والشريعة في الإسلام : (جولدزهير) اجتناس . ت د / محمد يوسف موسى ، ود / علي حسن عبد القادر ، و : عبد العزيز عبد الحق . دار الكتب الحديثة القاهرة ، والمثنى بغداد ١٣٧٩هـ ــ ١٩٥٩م .
٢٩ ــ العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي : الدوميلي ، ت د / عبد الحليم النجار ود / محمد يوسف موسى ــ جامعة الدولة العربية ١٣٨١هـ ــ ١٩٦٢م :
٣٠ ــ علماء أجانب في خدمة الثقافة العربية : د / جمال الدين الرمادي ــ دار الكتاب العربي ١٩٦٧م

٣١ ـــ الفتاوى : (ابن تيمية) ٣٥ / ١٠٨ ـــ ١١١ ، ٢ / ٤٨٠ ـــ ٤٨٧ ـــ مكتبة المعارف ـــ الرباط .
٣٢ ـــ الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار : د / محمد البهي ـــ مكتبة وهبة ١٣٩٥هـ ـــ ١٩٧٥م .
٣٣ ـــ قصة الحضارة : ول ديورانت .
٣٤ ـــ المبشرون والمستشرقون : د / محمد البهي ـــ مطبعة الأزهر ـــ القاهرة .
٣٥ ـــ مجد الإسلام : فييت . ت وتحليل د / حسن مؤنس ، ملحق بالفكر الاسلامي الحديث السابق .
٣٦ ـــ المجمع العراقي : عبد الله الجبوري .
٣٧ ـــ المستشرقون الناطقون بالانكليزية (مقال) : ا . ل . طيبادي : ت / فتحي عثمان ملحق بالفكر الاسلامي الحديث السابق .
٣٨ ـــ مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ومكتب التربية العربي لدول الخليج ١٩٨٥م .
٣٩ ـــ نظريات شيخ الإسلام في السياسة والاجتماع هنري لاووست : ت / محمد عبد العظيم علي ، وتقديم د / مصطفى حلمي ـــ القاهرة ـــ دار الأنصار ١٩٧٩م .

رابعاً : المعاجم والموسوعات :

١ ـــ الأعلام (الزركلي) : خير الدين ـــ دار العلم للملايين ١٩٧٩ .
٢ ـــ لسان العرب : (ابن منظور) محمد بن مكرم ـــ الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٣٠٨هـ .
٣ ـــ موسوعة المستشرقين : د / عبد الرحمن بدوي ـــ دار العلم للملايين ١٩٨٤م .
٤ ـــ الموسوعة العربية الميسرة : إشراف / محمد شفيق غربال ـــ مؤسسة فرانكلن للطباعة والنشر ـــ صورة طبق الأصل عن طبعة ١٩٦٥م

خامساً : الدوريات :

١ ــ الثقافة : ١٨ / ٣٧ مقال المستشرقون ورسالة الرسول : محمد أحمد الفخراوي .

٢ ــ الغرب : ١٢ / ٢٠٦ مقال : الاستعراب والمستعربون .

٣ ــ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق الأعداد ١ / ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٨ و ٢ / ٩٣ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، و ٢٨ / ٦٤٥ .

٤ ــ مجلة المجمع اللغوي المصري الأعداد ، ٣ ، ٨ ، ١١ ، ١٤ .

٥ ــ مجلة المشرق البيروتيه : ٣٧ / ٧٢٤ .

٦ ــ مجلة الهلال : ٢٩ / ٣٥٥ ــ ٣٥٨ مقال : العلوم الشرقية في مدارس أوربا : فيليب حتى .

سادساً : مراجع بالأجنبية :

1- The Arab in history: Bernard lewis.
2- Article in Eneyclopaedia Judiea, 10 Jeurusalew 1971: Martin Plessner.
3- Catalogus Codicum Arabicarum, Bibl, Arab, Dozy.
4- David Sactillana: leuis della, Miliaco-Napoli.
5- Der Islam, 1953 Otto spiess
6- Eneyclopedia Britancia.
7- In Ja Vol 262 (1974) David Cohen.
8- In Arabica. T. 111 Fase, Avec, Bibliographie.
9- Massignon. J. Morillon Paris 1964.
10- Oriental Essays A.J. Arberry.
11- The Orgin of Islam inits Christian Enviroment: Bell richard.
12- The Spirit of Islam, Sayed Ameen Aly.

الفهرس

الموضوع | الصفحة